كتاب متن المفتاح

كتاب

متن المفتاح

للسكاكي

سراج المعالي يوسف بن محمد • بمفتاحه قد حل كل معقد

واعجز بالايجاز في سحر لفظه • فكان [illegible]

فلم يرو في كتب الاوائل مثله • و[illegible] به [illegible]

1438

القسم الثالث من مفتاح العلوم
للحبر العلامة ابي يعقوب سراج
الملة والحق يوسف بن محمد السكاكي
تغمده الله بغفرانه

من مصر عاج الى الفقير المدعو
مولانا زاده السيد احمد
... بن احمد البوقاني

1

من موهبة سبحانه تعالى
٢٨٧

Süleymaniye U. Kütüphanesi
Kısmı: H. Hüsnü
Yeni
Eski Kayıt No: 1438

بسم الله الرحمن الرحيم ائتم لنا بالخير

القسم الثالث من الكتاب في علمي المعاني والبيان وفيه مقدمة
لبيان حدي العلمين والغرض فيهما وفصلان لضبط معاقدهما
والكلام فيهما **المقدمة** اعلم ان علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب
الكلام في الافادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف
عليها عن الخطاء في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره واعني بتراكيب
الكلام التراكيب الصادرة عمن له فضل تمييز ومعرفة وهي تراكيب
البلغاء لا الصادرة عمن سواهم لنزولها في صناعة البلاغة منزلة
اصوات حيوانات تصدر عن محالها بحسب ما يتفق واعني بخاصية
التركيب ما يسبق منه الى الفهم عند سماع ذلك التركيب جاريا
مجرى اللازم له لكونه صادرا عن البليغ لا لنفس ذلك التركيب من حيث
هو هو او لازما له لما هو هو حينا واعني بالفهم فهم ذي الفطرة
السليمة مثل ما يسبق الى فهمك من تركيب ان زيدا منطلق اذا سمعته

عن العارف بصياغة الكلام من ان يكون مقصودا به نفي الشك
او رد الانكار او من تركيب زيد منطلق من انه يلزم مجرد القصد
الى الاخبار او من نحو منطلق بترك المسند اليه من انه يلزم ان يكون
المطلوب به وجه الاختصار مع افادة لطيفة مما يلوح بها مقامها و
كذا اذا لفظ بالمسند اليه وهكذا اذا عرف او نكر او قيد او اطلق او
قدم او اخر على ما يطلعك على جميع ذلك شيئا فشيئا مساق الكلام في
العلمين باذن الله تعالى **واما علم البيان** فهو معرفة ايراد المعنى الواحد
في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ليحترز
بالوقوف على ذلك عن الخطاء في مطابقة الكلام لتمام المراد منه وفيما
ذكرنا ما ينبه على ان الواقف على تمام مراد الحكيم تعالى وتقدس من كلامه
مفتقر الى هذين العلمين كل الافتقار فالويل كل الويل لمن تعاطى التفسير
وهو فيهما راجل ولما كان علم البيان شعبة من علم المعاني لم تنفصل عنه
الا بزيادة اعتبار جرى منه مجرى المركب من المفرد لا جرم آثرنا تاخيره

بسم الله الرحمن الرحيم اتمم لنا بالخير

القسم الثالث من الكتاب في علمي المعاني والبيان وفيه مقدمة
لبيان حدي العلمين والغرض فيهما وفصلان لضبط معاقدهما
والكلام فيهما **المقدمة** اعلم ان علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب
الكلام في الافادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف
عليها عن الخطاء في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره واعني بتراكيب
الكلام التراكيب الصادرة عمن له فضل تمييز ومعرفة وهي تراكيب
البلغاء لا الصادرة عمن سواهم لنزولها في صناعة البلاغة منزلة
اصوات حيوانات تصدر عن محالها بحسب ما يتفق واعني بخاصية
التركيب ما يسبق منه الى الفهم عند سماع ذلك التركيب جاريا
مجرى اللازم له لكونه صادرا عن البليغ لا لنفس ذلك التركيب من حيث
هو هو او لازما له لما هو هو حينا واعني بالفهم فهم ذي الفطرة
السليمة مثل ما يسبق الى فهمك من تركيب ان زيدا منطلق اذا سمعته

2

عن العارف بصياغة الكلام من ان يكون مقصودا به نفي الشك
او رد الانكار او من تركيب زيد منطلق من انه يلزم مجرد القصد
الى الاخبار او من نحو منطلق بترك المسند اليه من انه يلزم ان يكون
المطلوب به وجه الاختصار مع افادة لطيفة مما يلوح بها مقامها و
كذا اذا لفظ بالمسند اليه وهكذا اذا عرف او نكر او قيد او اطلق او
قدم او اخر على ما يطلعك على جميع ذلك شيئا فشيئا مساق الكلام في
العلمين باذن الله تعالى **واما علم البيان** فهو معرفة ايراد المعنى الواحد
في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ليحترز
بالوقوف على ذلك عن الخطاء في مطابقة الكلام لتمام المراد منه وفيما
ذكرنا ما ينبه على ان الواقف على تمام مراد الحكيم تعالى وتقدس من كلامه
مفتقر الى هذين العلمين كل الافتقار فالويل كل الويل لمن تعاطى التفسير
وهو فيهما راجل ولما كان علم البيان شعبة من علم المعاني لا تنفصل عنه
الا بزيادة اعتبار جرى منه مجرى المركب من المفرد لا جرم آثرنا تأخيره

الفصل الاول في ضبط معاقد علم المعاني والكلام فيه اعلم

ان مساق الخبر يستدعي تمهيد اصل وهو ان مقتضى الحال عند المتكلم

يتفاوت كما ستقف عليه اذا اتقنت التوبة الى التعرض له من هذا

الكتاب باذن الله عز وجل فان تقتضي مالا تفتقر في تادية الا ازيد

من دلالات وضعية والفاظ كيف كانت ونظم لها لجرد التاليف

ينبهنا عنها من حكم التنسيق وهو الذي سميناه في علم النحو الاصل و

ينزلنا منزلة اصوات الحيوانات واخرى تقتضي ما يفتقر في تاديته

الا ازيد وظاهر ان الخطا الذي نحن بصدده لا يجامع في الاول اذ في

التمييز فضلا ان يقع فيه من العاقل المتفطن وانما مثار الخطا هو الثاني

وان اختلج في وهمك ان الاحتراز عن الخطا في الثاني ان لم يتوقف على

علم المعاني استغنى عنه وان توقف عليه ولا شبهة في ان الكلام فيه الكلام

من القبيل الثاني فيتوقف تعريفه على تعريفه لسابق ويتسلسل او

يدور فاستمع ما اجبناه عن تعلم علم الاستدلال وعلم العروض اذ قيل

لو كان العقل او الطبع يكفي في الباب فليستغن عن تعلمهما والا كان

تعلمهما موقوفا على تعلم سابق والمآل اما الدور او التسلسل وستنظم لك

هذين العلمين في سلك التعرض لهما اذ لهما وقته باذن الله عز وجل في

اذ قد عرفت هذا فنقول ان التعرض لخواص تراكيب الكلام موقوف

على التعرض لتراكيبه ضرورة لكن لا يخفى عليك حال التعرض لها منتشرة فيجب

المصير الى ايرادها تحت الضبط بتعيين ما هو اصل لها وسابق عليها في

الاعتبار ثم حمل ما عدا ذلك عليه شيئا فشيئا على موجب المساق او

السابق في الاعتبار في كلام العرب شيئان الخبر والطلب المحصر بحكم

الاستقراء في الابواب الخمسة التي يأتي ذكرها وما سوى ذلك نتائج

امتناع اجراء الكلام على الاصل وعسالك فيما ترى ان تفتحه عسالك للكل

اذا اجليته او ان كشف القناع عنه وجدت من تفصيل البيان بجلائه

فلنعينهما اعني الخبر والطلب لافتتاح الحديث لما نحن له والله المستعان

اعلم ان المعتبرين بشانهما فرقتان فرقة تحوجهما الى التعريف وفرقة تعينهما

عن ذلك واختيارنا قول من قال انا في الخبر لما ان كل واحد من العقلاء
ممن لم يمارس الحدود والرسوم بل الصغار الذين لم ادنى تمييز يعرفون
الصادق والكاذب بدليل انهم يصدقون ابداً في مقام التصديق
ويكذبون ابداً في مقام التكذيب فلولا انهم عارفون للصادق والكاذب
لما تأتى منهم ذلك لكن العلم بالصادق والكاذب كما يشهد له عقلك موقوف
على العلم بالخبر الصدق والكذب هذا والحدود التي تذكر كقولهم الخبر هو الكلام
المحتمل للصدق والكذب او التصديق والتكذيب وكقولهم هو الكلام المفيد
بنفسه اضافة امر من الامور الى امر من الامور نفيا او اثباتا بعد تعريفهم
الكلام بانه المنتظم من الحروف المسموعة المتميزة وكقول من قال هو القول
المقتضي بصريحه نسبة معلوم الى معلوم بالنفي او الاثبات ليتها صلحت للتعويل
اما في الحد الاول فحين عرف صاحبه الصدق بانه الخبر عن الشيء
على ما هو به والكذب بانه الخبر عن الشيء لا على ما هو به كيف دار فخرج كونه
معرفا من ترك الصدق والكذب الى التصديق والتكذيب ما زاد على

على ان وضع الدائرة والحد الثاني حين اوجب ان يكون قولنا في باب
الوصف الغلام الذي لزيد او ليس لزيد خبرا لكونه كلاما على قول صاحبه
ومفيدا بصريحه اضافة امر وهو الغلام الى امر وهو زيد بالاثبات في
احدهما والنفي في الآخر مع انتفاء كونه خبرا بدليل انتفاء لازم الخبر وهو
صحة احتمال الصدق والكذب فلا نزاع في كون ذلك لازم الخبر اما النزاع
في كونه حدا والحال ما تقدم وكذا قولنا ان زيدا غلام او ليس غلاما نفع ان
كيف خرج عن ان يكون مطردا والحد الثالث حين اوجب ان لا يكون
قولنا ما لا يعلم من بوجه من الوجوه لا يثبت ولا ينفى خبرا لامتناع ان يقال
ما لا يعلم بوجه من الوجوه معلوم مع ان الكلام خبر كيف خرج عن ان يكون
منعكسا مع انتقاضه بالنقضين المذكورين في ما الغلام لزيد او ليس لزيد
وان زيدا غلام او ليس غلاما نفع ان ولسوال المعلومية وجه دفع يذكر
في الحواشي والمنافي الطلب فلان كل احد يتمنى ويستفهم ويامر وينهى وينادي
يوجد كلا من ذلك في موضع نفسه عن علم وكل واحد من ذلك طلب

مخصوص والعلم بالطلب الخصوص مسبوق بالعلم بنفس الطلب ثم
ان الخبر والطلب بعد افتراقهما حقيقتهما يفترقان باللازم المشهور وهو
احتمال الصدق والكذب والكلام في الطلب في ما سبق الينا بعض
على ما فرعنا به محمل هنا لكنا سنفرغ في صاحبي باذن الله تعالى او آن
التصدي لحقيقته ما يبقى صورته في ذهن النفس الجلي وللكشف بهذا
القدر من التنبيه على استغناء الطلب والخبر عن التعريف الحد ولتعين
لمساق الحديث في كل واحد منهما قانونا

القانون الاول

فيما يتعلق بالخبر واعلم ان مرجع الخبرية واحتمال الصدق والكذب الى حكم المخبر
الذي يحكمه في خبره بمفهوم لمفهوم كالحكم فاعلا ذلك اذا قال هو لزيد
او ليس لزيد لا الحاكم بمفعول يشير اليه اشارة اذا قال الذي هو لزيد او
ليس لزيد فاوقعه صلة للموصول الذي من حقه ان يكون صلته قبل
اقترانها به معلومة للمخاطب اذا قال انه زيد يعني انه فقبل الحكم بثبوت
الزيدية للضمير لا جعله تصورا مشارا اليه بحكم له او به اذا قال حتى انه

انه زيد او قال الذي ادعيه انه زيد فاما السبب في كون الخبر محتملا
للصدق والكذب فهو امكان تحقق ذلك الحكم مع كل واحد منهما من حيث
انه حكم مخبر ومرجع كون الخبر مفيدا للمخاطب الى استفادة المخاطب منه
ذلك الحكم ويسمى هذا فائدة الخبر كقولك زيد عالم لمن ليس واقفا على ذلك او
استفادته منه انك تعلم ذلك الحكم كقولك لمن حفظ التورية قد حفظت
التورية ويسمى هذا لازم فائدة الخبر والاولى بدون هذه ممتنع وهذه بدون
الاولى لا يمتنع كما هو حكم اللازم المجهول المساواة ومرجع كونه صدقا او كذبا
عند الجمهور الى مطابقة ذلك الحكم للواقع او غير مطابقته له وهو المتعارف
وعليه التعويل وعند بعض الى طباق الحكم لاعتقاد المخبر او ظنه وسلبه
لا طباقه لذلك سواء كان ذلك الاعتقاد او الظن خطأ او صوابا بناء
على دعوى تبرؤ المخبر عن الكذب متى ظهر خبره بخلاف الواقع واحتجاجه
لها بان لم يتكلم بخلاف الاعتقاد او الظن لكن نكذبنا لليهودي مثلا اذا
قال الاسلام باطل وتصديقنا له اذا قال الاسلام حق يبحثان بالقلع
[illegible]

قيل معنى احتمال الصدق والكذب
هو احتمال بعينه امكان تحققه مع كل منهما
فلا يصح تعليله به اجيب ان المراد بالامكان
ما هو بحسب نفس الامر والاحتمال هو الامكان
الذهني الذي هو عبارة عن تجويز الذهن فيه
فيصح التعليل

على هذا البناء وسنوجه ان طلب تأويل لقوله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وهو حمل قول المنافقين على كونه مقرونا بانه قول عن صميم القلب كما ينبئ عنه ان واللام وكون الجملة اسمية في قولهم لارباب البلاغة وسنشير لتعرض لهذه الآية واذ قد عرفت ان الخبر يرجع الى الحكم بمفهوم لمفهوم وهو الذي نسميه الاسناد الخبري كقولنا شيء ثابت شيء ليس ثابتا فانت في الاول تحكم بالثبوت للشيء وفي الثاني باللاثبوت عرفت ان فنون الاعتبارات الراجعة الى الخبر لا تزيد على ثلثة فن يرجع الى الحكم وفن يرجع الى المحكوم له وهو المسند اليه وفن يرجع الى المحكوم به وهو المسند اما الاعتبار الراجع الى الحكم في التركيب من حيث هو حكم من غير التعرض لكونه لغويا او عقليا فان ذلك وظيفة علم البيان فكون التركيب تارة غير مكرر ومجردا عن لام الابتداء وان المشبهة والقسم ولامه ونون التاكيد كنحو زيد عارف واخرى مكررا او غير مجرد كنحو عرفت ان زيد

لزيد عارف وان زيدا عارف وان زيدا لعارف ووالله لقد عرفت او لا غير ذلك في الاثبات وفي النفي كون التركيب غير مكرر ومقصورا على كلمة النفي مرة كنحو ليس زيد منطلقا وما زيد منطلقا ولا رجل عندي ومرة مكررا كنحو ليس زيد منطلقا ليس زيد منطلقا وغير مقصور على كلمة النفي كنحو زيد ليس بمنطلق وما ان يقوم زيد ووالله ما زيد قائما فهذا نوع يرجع الى الاسناد الخبري واما الاعتبار الراجع الى المسند اليه في التركيب من حيث هو المسند اليه من غير التعرض لكونه حقيقة او مجازا فكونه محذوفا كقولك عارف وانت تريد زيد عارف او ثابتا معرفا من اطر المعارف وسعتها مصحوبا بشيء من التوابع او غير مصحوب مقرونا بفصل او غير مقرون او منكرا مخصوصا او غير مخصوص مقدما على المسند او مؤخرا عنه واما الاعتبار الراجع الى المسند من حيث هو مسند ايضا فكونه متروكا او غير متروك وكونه مفردا او جملة وفي افراده من كونه فعلا او اسما منكرا او معرفا مقيدا كل من ذلك بنوع قيد او غير

مقيدوسه كونه جملة من كونها اسمية او فعلية او شرطية او ظرفية

وكونه مقدما او مؤخرا هذا اذا كانت الجملة الخبرية مفردة اما اذا

انتظمت مع اخرى فتعتور ذلك اعتبارات سوى ما ذكر من رابع وتتفح

الكلام في جميع ذلك اتضاحه الا بالتعرض لمقتضى الحال فالحري ان نتحفه

ظهيرا بما نقول والله الموفق للصواب لا يخفى عليك ان مقامات الكلام

متفاوتة فمقام الشكر يباين مقام الشكاية ومقام التهنئة يباين مقام

التعزية ومقام المدح يباين مقام الذم ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب

ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل وكذا مقام الكلام ابتداء

يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار او الانكار ومقام البناء على السوال

يغاير مقام البناء على الانكار جميع ذلك معلوم لكل لبيب وكذا مقام

الكلام مع الذكي يباين مقام الكلام مع الغبي ولكل من ذلك مقتضى

غير مقتضى الاخر ثم اذا شرعت في الكلام فلكل كلمة مع صاحبتها مقام ولكل

حد ينتهي اليه الكلام مقام وارتفاع شان الكلام في الحسن والقبول في باب

وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة المقام لما يليق به وهو الذي

نسميه مقتضى الحال فان كان مقتضى الحال اطلاق الحكم فحسن الكلام

تجريده عن موكدات الحكم وان كان مقتضى الحال بخلاف ذلك فحسن

الكلام تحليته بشيء من ذلك بحسب المقتضى ضعفا وقوة وان كان

مقتضى الحال طي ذكر المسند اليه فحسن الكلام تركه وان كان المقتضى

اثباته على وجه من الوجوه المذكورة فحسن الكلام وروده على الاعتبار

المناسب وكذا ان كان المقتضى ترك المسند اليه فحسن الكلام وروده

عاريا عن ذكره وان كان المقتضى اثباته مخصصا بشيء من التخصيصات

فحسن الكلام نظمه على الوجوه المناسبة من الاعتبارات المقدم ذكرها

وكذا اذا كان المقتضى عند انتظام الجملة مع اخرى فصلها او وصلها

والايجاز معها او الاطناب اعني طي جمل عن البين ولا طيها فحسن

الكلام تاليفه مطابقا لذلك وما ذكرنا حديث اجمالي لا بد من تفصيله

فاستمع لما يتلى عليك باذن الله تعالى وقد ترتب الكلام ههنا كما ترى على اربعة

فمن الفن الاول في تفصيل اعتبارات الاسناد الخبري الفن الثاني
في تفصيل اعتبارات المسند اليه الفن الثالث في تفصيل اعتبارات
المسند الفن الرابع في تفصيل اعتبارات الفصل والوصل والايجاز
والاطناب وقبل ان نخوض في هذه الفنون حقها في الذكر ننبهك على اصل
ليكون على ذكر منك وهو ان ليس من الواجب في صناعة وان كان المرجع
في اصولها وتفاريعها الى مجرد العقل ان يكون الدخيل فيها كالناشئ
عليها في استفادة الذوق منها فكيف اذا كانت الصناعة مستندة الى
تحكمات وضعية واعتبارات الفية فلا على الدخيل في صناعة علم المعاني
ان يقلد صاحبها في بعض فتاواه ان فاته الذوق هناك الى ان يتكامل له
على مهل موجبات ذلك الذوق وكان شيخنا الحاتمي ذلك الامام الذي لن
تنسى له الدهر ما دار الفلك الدوار تغمده الله تعالى برضوانه يحيلنا في
كثير من مستحسنات الكلام اذا راجعناه فيها على الذوق ونحن حينئذ ممن نبغ
في عدة شعب من علم الادب صبغ بعناية وعاني فيها ولكن وهما

ما هو الامام عبد القاهر قدس الله روحه في دلائل الاعجاز ثم بعد هذا
الفن الاول من المعلوم ان حكم حال اطلاق اللسان هو ان يفرغ المتكلم
في قالب الافادة ما ينطق به عما يشاء عن صفة اللاغية فاذا اندفع
الكلام مخبرا لزم ان يكون قصده في حكمه بالمسند للمسند اليه في خبره ذلك
افادته للمخاطب متعاطيا مناطها بقدر الافتقار فاذا القى الجملة الخبرية
الى من هو خالي الذهن عما يلقى اليه ليحضر طرفاها عنده وينتقش في ذهنه
استناد احدهما الى الآخر ثبوتا او انتفاء كفى في ذلك الانتقاش حكمه ويتمكن
لمصادفته اياه خاليا ٥ اتاني هواها قبل ان اعرف الهوى
فصادف قلبي فارغا فتمكنا ٥ فيستغني الجملة عن مؤكدات الحكم ويسمى هذا النوع
من الخبر ابتدائيا واذا القاها الى طالب لها متحير طرفاها عنده دون
الاستناد فهو منه بين بين لينقذه عن ورطة الحيرة استحسن تقوية المنقذ
بادخال اللام في الجملة او ان كقولك لزيد عارف او ان زيدا عارف ويسمى هذا
النوع من الخبر طلبيا واذا القاها الى حاكم فيها بخلافه ليرده الى حكم نفسه

استوجب حكمه ليترجح تأكيداً بحسب ما أشرب المخالف الإنكار في
اعتقاده كقولك إني صادق لمن ينكر صدقك ولكنه إني لصادق لمن يبالغ
في إنكار صدقك ووالله إني لصادق على هذا وإن شئت فتأمل كلام
رب العزة على كلمة إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا
إنا إليكم مرسلون قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم
إلا تكذبون قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون كيف يقرر ما ألقى ويسمى هذا النوع
من الخبر إنكارياً وإخراج الكلام في هذه الأحوال على الوجوه المذكورة يسمى
إخراج مقتضى الظاهر وإنه في علم البيان يسمى بالتصريح كما ستقف عليه وفي
الذي ذكرنا إذا أعملت فيه البصيرة استوثقت من جواب أبي العباس
للكندي حين سأله قائلاً إني أجد في كلام العرب حشواً يقولون عبد الله
قائم ثم يقولون إن عبد الله قائم ثم يقولون إن عبد الله لقائم والمعنى واحد فلك
أن قال بل المعاني مختلفة فقولهم عبد الله قائم إخبار عن قيامه وقولهم إن عبد الله
قائم جواب عن سؤال سائل وقولهم إن عبد الله لقائم جواب عن إنكار منكر قيامه

فانبه لهذا أنك ترى المفلقين السحرة في هذا الفن ينفثون الكلام لا على
مقتضى الظاهر كثيراً وذلك إذا أحلّوا المحيط بفائدة الجملة الخبرية وبلازم
فائدتها علماً محل الخالي الذهن عن ذلك لاعتبارات خطابية مرجعها
تجهيله بوجوه مختلفة وإن شئت فعليك بكلام رب العزة ولقد علموا
لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا
يعلمون كيف تجد صدره يصف أهل الكتاب بالعلم على سبيل التوكيد
القسمي وآخره ينفيه عنهم حيث لم يعملوا بعلمهم ونظيره في النفي والإثبات
وما رميت إذ رميت في قوله تعالى وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا
في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم فيسوقون الكلام لخالي الذهن مساقه
للسائل وهكذا قد يقيمون من لا يكون سائلاً مقام من يسأل فلا
يترددون في صياغة التركيب للكلام بينهما وإنما يصبونه لهما في قالب
واحد إذا كانوا قدموا إليه ما يلوح مثله للنفس اليقظى بحكم ذلك الخبر فيتركها
مستشرفة له استشراف المتردد الطالب المتحير يتمثل بين إقدام للتلويح

وإبهام لعدم التصريح فيرضخون للجملة التي مصطلح بأن ويسرون سلوك
هذا الأسلوب في أمثال هذه المقامات من كمال البلاغة وإصابة
المحز أوما ترى بشارا كيف سلكه في رائيته، بكرا صاحبيّ قبل الهجير،
إن ذاك النجاح في التبكير، حتى استهواه الفئة بأمة صناعة البلاغة
المهتدين بفطرتهم لتطبيق مفاصلها وهم الأعراب الخلّص من كل جارب
بربوع ومنتجب تلعاء في بلاغته يضع الهناء مواضع النقب دون
المولّدين الذين قصارى أمرهم في مضمار البلاغة أوان الاستباق
إذا استفرغوا مجهودهم الاقتداء بأولئك ومن الشواهد لما نحن فيه
شهادة غير مردودة رواية الأصمعي بتقبيل خلف الأحمر بن عيني
بشار بمحضر أبي عمرو بن العلاء حين استنشده قصيدته هل ... وروي
من أن خلفا قال لبشار بعدما أنشد القصيدة لو قلت يا أبا معاذ
مكان إن ذاك النجاح بكرا فالنجاح في التبكير كان أحسن فقال بشار
إنما قلتها يعني قصيدته أعرابية وحشية فقلت إن ذاك النجاح في

في التبكير كما تقول الأعراب البدويون ولو قلت بكرا فالنجاح
كان هذا من كلام المولدين ولا يشبه ذلك الكلام ولا يدخل في
معنى القصيدة فقام وقبّل فحل فحوى ما جرى بين بشار وصاحبيه
وهم من فحولة هذا النوع ومن المهرة المتقنين في السحر المؤخذين
الراسخة بتحقيق ما أنت منه على ريبة وقل في مثل بشار وقد
نشأ أن يهلّل بشقشقة سكان مهابّ الريح من كل ماضغ قيصوم
وشيح إذا خاطب ببكرا محرّضا صاحبيه على التشمير عن ساق
الجد في شأن التبكير إفرادا لا يتصور ما طبّتين حول هل التبكير يثمر
النجاح فيتجانف عن التوكيد ولا يتلقاها بأنّ هيهات ونظيره
فغنّها وهي لك الفداء، إنّ غناء الإبل الحداء، وفي التنزيل ولا
تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون، وكذا وما أبرئ نفسي إن النفس
لأمارة بالسوء، وكذا وصلّ عليهم إن صلاتك سكن لهم، وكذا يا أيها الناس
اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم، وأمثال ذلك كثيرة، وإذا صادف

ما اورثناك بصيرة مثل ما وقفت على ما بيناه لك في الفن الرابع اعني في
باب الفصل والوصل للجمل الخبرية في نحو اعبد ربك ان العبادة حق له
واعبد ربك فالعبادة حق له واعبد ربك العبادة حق له على تفاوتها
هناك واجدا من نفسك فضل الوصل على الفاصلة بحسب المقام وزيادة
الاخيرة تارة والحكم بالعكس اخرى وكشفنا لك الكلام المتصل باذن الله تعالى
وكذلك قد ينزلون منزلة المنكر من لا يكون ابا واذا راوا عليه شيا
من ملابس الانكار فيجعلون خبر الكلام لعله على منوال واحد كقولك
لمن تصدى لمقاومتك ومكاوحتك امامه غير متدبر مغترا بما لديه النفس
من سهولة تاتيها له ان امامك مكاوحا لك ومن هذا الاسلوب قوله
جاء شقيق عارضا رمحه ان بني عمك فيهم رماح ويقلبون هذه
القضية مع المنكر اذا كان معه ما ان تامله ارتدع فيقولون لمنكر الاسلام
الاسلام حق وقوله عز وعلا في حق القرآن لا ريب فيه وكم من شقي مرتاب
فيه وارد على ذا وهذا النوع اعني نفث الكلام لا على مقتضى الظاهر يقع عند النظار

النظار موقعا استهش الانفس وآنق الاسماع وهز القرائح ونشط الاذهان
ولامر ما تجد ارباب البلاغة وفرسان الطراد في ميدانها الرامية في
حدق البيان يستكثرون من هذا الفن في محاوراتهم وانه في علم البيان
يسمى بالكناية وله انواع تقف عليها وعلى وجه حسنها بالتفصيل هنالك
ان شاء الله تعالى وان هذا الفن لا تلين عريكته ولا ينقاد قرونه
لمجرد استقراء صدر منه وتتبع مظان اخواتها واتعاب النفس تكرارها
واستيداع الخاطر حفظها وتحصيلها بل لابد من ممارسات لها كثيرة ومراجعات
فيها طويلة مع فضل الهي من سلامة فطرة واستقامة طبيعة وشدة
ذكاء وصفاء قريحة وعقل وافر ومن اتقن الكلام في اعتبارات
الاثبات وقف على اعتبارات النفي واعلم انك اذا احذقت في هذا الفن
لصدق همتك واستفراغ جهدك فيه وبلحوق امكنك التسلق به على
العثور على السبب في انزال رب العزة قرآنه المجيد على هذه المناهج ان
شاء الله تعالى **الفن الثاني** لما كان مدار حسن الكلام وقبحه على انطباق

وتركيبه على مقتضى الحال وعلامة انطباقه وجب عليك ايها الحريص على
ازدياد فضلك المنتصب لاقتداح زناد عقلك المتفحص عن تفاصيل
المزايا التي بها يقع التفاضل وينعقد بين البلغاء في شأنها التسابق
والتناضل ان ترجع لفكرك الصائب وذهنك الثاقب وخاطرك النقاد
وانتقادك العظيم الشأن ناظرا بنور عقلك وعين بصيرتك في التصفح
لمقتضيات الاحوال في ايراد المسند اليه على كيفيات مختلفة وصور متنافية
حتى يتأتى بروز عندك لكل منزلة في معرضها فهو الرهان الذي يجرب
به الجياد والنضال الذي يعرف به الايدي الشداد فتعرف ان حالة
تقتضي طي ذكره وان حالة تقتضي خلاف ذلك وان حالة تقتضي تعرفه مضمرا
او علما او موصولا او اسم اشارة او معرفا باللام او بالاضافة وان حالة
تقتضي تعقيبه بشيء من التوابع الخمسة والفصل وان حالة تقتضي تنكيره
وان حالة تقتضي تقديمه على المسند وان حالة تقتضي تاخيره عنه وان حالة
تقتضي تخصيصه او اطلاقه فحالة التنكير وان حالة تقتضي قصره على الخبر اما

اما الحالة التي تقتضي طي ذكر المسند اليه فهي اذا كان السامع مستحضرا له
عارفا منك القصد اليه عند ذكر المسند والترك راجح اما لضيق
المقام واما للاحتراز عن العبث بناء على الظاهر واما لتخييل ان في
تركه تعويلا على شهادة العقل وفي ذكره تعويلا على شهادة اللفظ من
حيث الظاهر وكم بين الشهادتين واما لايهام ان في تركه تطهيرا
للسان عنه او تطهيرا له عن لسانك واما للقصد الى عدم التصريح
ليكون لك سبيل الى الانكار ان مست اليه حاجة واما لان الخبر
لا يصلح الا له حقيقة كقولك خالق لما يشاء فاعل لما يريد او ادعاء
واما لان الاستعمال وارد على تركه او ترك نظائره كقولهم نعم الرجل
زيد على قول من يرى اصل الكلام نعم الرجل هو زيد واما لاغراض
سوى ما ذكر مناسبة في باب الاعتبار بحسب المقامات لا يهتدي
الى مثلها الا العقل السليم والطبع المستقيم وقل ما ملك الحكم هناك
شيء غيرهما فاحفظ مثل قوله قال لي كيف انت قلت عليل

سهرٌ دائمٌ وحزنٌ طويل ۔ كيف تجد الحكم اذ لم يقل انا عليل
وفي مثل قوله حين شكا ابن عمه فلطمه فانشأ يقول ۔ سريع
الى ابن العم يلطم وجهه ۔ وليس الى داعي الندى بسريع ۔ حريص
على الدنيا مضيع لدينه ۔ وليس لما في بيته بمضيع ۔ حيث لم يقل
هو سريع وفي مثل قوله ۔ ساشكر عمرا ان تراخت منيتي ۔ ايادي
لم تمنن وان هي جلت ۔ فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ۔
ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت ۔ اذ لم يقل هو فتى وفي مثل قوله
اضاءت لهم احسابهم ووجوههم ۔ دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه ۔
نجوم سماء كلما انقض كوكب ۔ بدا كوكب تاوي اليه كواكبه
حين لم يقل هم نجوم سماء وقوله عز قائلا سورة انزلناها وفرضناها
اذ لم يقل هذه سورة انزلناها وقوله وما ادراك ما هيه نار حامية اذ
لم يقل هي نار حامية وقوله فصبر جميل وقوله طاعة معروفة على
احد الاعتبارين فيهما وهو فامري صبر جميل وامركم او الذي يطلب

يطلب منكم او طاعتكم طاعة معروفة بحسب تفسير المعروفة و
اما الحالة التي تقتضي اثباته فهي ان يكون الخبر عام النسبة الى كل مسند اليه
والمراد تخصيصه بمعين كقولك زيد جاء وعمرو ذهب وخالد في
الدار وقوله ۔ الله اخ ما طلبت به ۔ والبر خير حقيبة الرحل ۔
وقوله ۔ النفس راغبة اذا رغبتها ۔ واذا ترد الى قليل تقنع ۔ او يذكر
احتياطا في احضاره في ذهن السامع لقلة الاعتماد بالقرائن او
للتنبيه على غباوة السامع او لزيادة الايضاح والتقرير او لان في ذكره
تعظيما للمذكور او اهانة له كما يكون في بعض الاسامي والمقام مقام
ذلك او يذكر تبركا به واستلذاذا له كما تقول الوجه الله خالق كل شيء
ورازق كل حي او لان اصغاء السامع مطلوب فيبسط الكلام افتراصا
بسط موسى عليه السلام اذ قيل له وما تلك بيمينك يا موسى وكان يتم
الجواب بمجرد ان يقول عصا ثم ذكر المسند اليه وزاد فقال هي عصاي
اتوكأ عليها واهش بها على غنمي ولي فيها مآرب اخرى ونظيره في البسط

نعبد اصنا ما فظل لها عاكفين فبسطوا الكلام ابتهاجا منهم بعبادة
الاصنام وافتخارا بمواظبتها معرضين عن الجواب المطابق المختصر وهو
اصنا ما ولان الاصل في المسند اليه هو كونه مذكورا او ما جرى
مجرى الجرى واما الحالة التي تقتضي تعريفه فهي اذا كان المقصود من الكلام
افادة السامع فائدة يعتد بمثلها والسبب في ذلك هو ان فائدة الخبر
لما كانت هي الحكم او لازمه كما عرفت في اول قانون الخبر ولازم الحكم وهو
انك تعلم الحكم ايضا ولا شبهة ان احتمال تحقق الحكم متى كان ابعد كانت
الفائدة في تعريفه اقوى ومتى كان اقرب كانت اضعف وبعد تحقق
الحكم بحسب تخصيص المسند اليه والمسند كلما ازداد تخصصا ازداد
الحكم بعدا وكلما ازداد عموما ازداد الحكم قربا وان شئت فاعتبر
حال الحكم في قولك شيء ما موجود وفي قولك فلان بن فلان حافظ
للتورية والانجيل يتضح لك ما ذكرت ثم ان تخصص المسند اليه اما
ان يكون لكونه احد اقسام المعرفات فحسب وهي المضمرات الاعلام المبهمات

المبهمات اعني الموصولات واسماء الاشارة المعرفات باللام المضافات
الى المعارف اضافة حقيقية مع القيد المذكور في علم النحو ولما ازداد على
ذلك من كونه مصحوبا بشيء من التوابع الخمسة والضمير المسمى فصلا
واما ان يكون لما ذكر كاستقف عليه لكل من ذلك حالة تقتضيه
اما الحالة التي تقتضي كونه مضمرا فهي اذا كان المقام مقام حكاية كقوله
انا الذي تجدوني في صدورهم لا ارتقي صدرا منها ولا ارد
وقوله انا المرعث لا اخفى على احد ذرت بي الشمس للقاصي وللداني
وقوله ونحن التاركون لما سخطنا ونحن الآخذون لما رضينا
وقوله ونحن بنو عم على ذاك بيننا زرابي فيها بغضة وتنافس
ونحن كصدع العس ان يعط شاعبا يدعه وفيه عيبه متشاخس
او مقام خطاب كقوله يا ابن لكارم من عدنان قد علموا وثالد
المجد بين العم والخال انت الذي تنزل الايام منزلها وتمسك
الارض من خسف وزلزال وقوله فقد كان قبلك اقوام فجعت بهم

خلق لنا ملكهم سمعا وابصارا، انت الذي لم تدع سمعا ولا بصرا
الا شغلا فامر العيش امرارا، وقوله: وانت التي كلفتني دلج السرى
وجون القطا بالجلهتين جثوم، وقولها: وانت الذي اخلفتني ما وعدتني
واشمت بي من كان فيك يلوم، وحق الخطاب ان يكون مع مخاطب
معين ثم يترك الى غير معين كما تقول فلان لئيم ان اكرمته اهانك
وان احسنت اليه اساء اليك فلا تريد مخاطبا بعينه كانك قلت ان
اكرم او احسن اليه اساء فتقصد ان سوء معاملته لا يختص واحدا دون
واحد وهو في القرآن كثير كقوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسو
رؤسهم على العموم فقصد بيان تفظيع حال المجرمين وانه قد بلغت
من الظهور الى حيث يمتنع خفاؤها البتة فلا يختص بها راء دون
راء بل كل من يتأتى منه الرؤية فله مدخل في هذا الخطاب وكذا ان
امثال له او كان المسند اليه في ذهن السامع لكونه مذكورا او في حكم
المذكور لقرائن الاحوال وبراد الاشارة اليه كقوله: من البيض الوجوه

الوجوه بني سنان، لو انك تستضيء بهم اضاءوا، هم حلّوا من الشرف المعلّى
ومن حسب العشيرة حيث شاءوا، وقوله: بيمن ابي اسحق طالت يد العلى
وقامت قناة الدين واشتد كاهله، هو البحر من اي النواحي اتيته
فلجته المعروف والجود ساحله، وقوله: ارى الصبر محمودا وعنه مذاهب
فكيف اذا ما لم يكن عنه مذهب، هو المهرب المنجي لمن احدقت به
مكاره دهر ليس عنهن مهرب، واما العلمية فلانه تقتضي كونه علما
فهي اذا كان المقام مقام احضاره بعينه في ذهن السامع ابتداء
بطريق يخصه نحو زيد الصديق لك وعمرو عدو لك ونحو قوله
ابو مالك قاصر فقره على نفسه ومشيع غناه، وقوله: الله يعلم ما تركت
قتالهم حتى علوا فرسي باشقر مزبد، قال الله تعالى تبت يدا ابي لهب
او مقام تعظيم والاسم صالح لذلك كالفاظ الكنى والالقاب المحمودة او اهانة
والاسم صالح كالاسامي المذمومة او كناية مثل قوله تبت يدا ابي لهب
اي يدا جهنمي او مقام ايهام انه يستلذ اسمه العلم او يتبرك به او ما اشبه

ذلك ما له مدخل في الاعتبار وأما الحالة التي تقتضي كونه موصولا

فهي متى صح إحضاره في ذهن السامع بواسطة ذكر جملة معلومة الانتساب

إليه واتصل بإحضاره بهذا الوجه غرض مثل أن لا يكون

لك منه أمر معلوم سواه أو المخاطب فتقول الذي كان معنا أمس لا نعرفه

أو الذي كان معنا أمس رجل عالم فاعرفوه والذين في بلاد الشرق

لا نعرفهم أو أن يستهجن التصريح بالاسم أو أن يقصد زيادة التقرير كقوله

قوله عز وعلا وراودته التي هو في بيتها عن نفسه والعدول عن

التصريح باب من البلاغة يصار إليه كثيرا وإن أردت نظيرا لما حكي

عن شريح أن رجلا أقر عنده بشيء ثم رجع ينكر فقال له شريح شهد عليك

ابن أخت خالتك آثر شريح التطويل ليعدل عن التصريح بنسبة الحماقة

إلى المنكر لكون الإنكار بعد الإقرار إدخالا للعنق في ربقة الكذب أو الحماقة

أو للتهمة وكذا ما يحكى عنه أن عدي بن أرطاة أتاه ومعه امرأة له من أهل

الكوفة يخاصمها فلما جلس بين يدي شريح قال عدي لشريح أين أنت

أنت قال بينك وبين الحائط قال إني امرؤ من أهل الشام قال بعيد

سحيق قال إني قدمت العراق قال خير مقدم قال وتزوجت هذه

قال بالرفاء والبنين قال وإنها ولدت غلاما قال ليهنك الفارس

قال وأردت أن أنقلها إلى داري قال المرء أحق بأهله قال وقد كنت

شرطت لها دارها قال الشرط أملك قال اقض بيننا قال فعلت قال

فعلى من قضيت قال على ابن أمك عدل عن لفظ عليك لئلا يواجهه

بالتصريح على ما يشق على المخاصم من القضاء عليه أو أن تومي بذلك

إلى وجه الخبر الذي تبنيه عليه فتقول الذين آمنوا لهم درجات

النعيم والذين كفروا لهم دركات الجحيم ثم يتفرع على هذا اعتبارات

لطيفة ربما جعل ذريعة إلى التعريض بالتعظيم كقولك الذي يرافقك

يستحق الإجلال والرفع والذي يفارقك يستحق الإذلال والصفع

ومنه قوله جاء بعد اللتيا والتي وستسمعه في فصل الإعجاز معنا

أو بالإهانة كما إذا قلبت الخبر في الصورتين وربما جعل ذريعة

تعظيم شان الخبر كقوله: ان الذي سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه اعز واطول

وربما جعل ذريعة الى تحقيق الخبر كقوله: ان التي ضربت بيتا مهاجرة

بكوفة الجند غالت ودها غول، وربما جعل ذريعة الى التنبيه للمخاطب

على خطاء كقوله: ان الذين ترونهم اخوانكم، يشفي غليل صدورهم ان تصرعوا

او على معنى آخر كقوله: ان الذي الوحشة في داره، تؤنسه الرحمة في لحده

وربما قصد بذلك ان يتجه ذهن السامع الى ما سيخبر به عنه منتظرا

لوروده عليه حتى ياخذ منه مكانه اذا ورد كقوله: والذي حارت البرية فيه

حيوان مستحدث من جماد، وفي هذه الاعتبارات كثرة فتحكم الحلول

ذلك، واما بالحالة الاشارية فلكونه اسم اشارة فيصح في مقام احضاره في

ذهن السامع بواسطة الاشارة اليه حسا واتصل بذلك داع مثل

ان لا يكون للمتكلم او للسامع طريق اليه سواها او ان يقصد بذلك اكمل

تمييزه وتعيين كقوله: هذا ابو الصقر فردا في محاسنه

من نسل شيبان بين الضال والسلم، واذا تاتى شخص ضيف بقبل

مقبل، متسربل سربال ليل اغبر، اوما الى الكوماء هذا طارق

نحرتني الاعداء ان لم تنحري، وقوله: ولا يقيم على ضيم يراد به الا الاذلان

عير الحي والوتد، هذا على الخسف مربوط برمته، وذا يشج فلا يرثي له احد

او لان يعرض بالهذا او ان المنفس دونه من قبل هذا فاصبر وقوله

اولئك قوم ان بنوا احسنوا البنى، وان عاهدوا اوفوا وان عقدوا شدوا

او ان يقصد بذلك بيان حاله في القرب والبعد والتوسط كقولك

هذا وذلك وذاك ثم يتفرع على ما ذكر وجوه من الاعتبار مثل ان يقصد

بذلك كمال العناية بتمييزه وتعيينه كقوله عز من قائل: اولئك على هدى

من ربهم واولئك هم المفلحون، او ان يقصد به ان السامع غبي لا يميز الشيء

عنه الا بالحس كقول الفرزدق في خطابه جريرا: اولئك آبائي فجئني بمثلهم

اذا جمعتنا يا جرير المجامع، او ان يقصد بقربه تحقيره واستنزاله

كما قالت عائشة رضي الله عنها: يا عجبا لابن عمرو هذا المخبرة له وهو عبد الله

ابن عمرو بن العاص، وكما حكيه عز وجل عن الكفار: ماذا اراد الله بهذا

مثلا وفي موضع آخر أهذا الذي بعث الله رسولا وفي موضع آخر أهذا
الذي يذكر آلهتكم ومنه وما هذه الحيوة الدنيا إلا لهو ولعب وفي حكاية
القائل عن امرأته تقول ودقت نحرها بيمينها أبعلي هذا بالرحى المتقاعس
وبمعنى تعظيمه كما تقول في مقام التعظيم ذلك الفاضل وأولئك الفحول
المفلحون وكقوله عز وعلا الم ذلك الكتاب ذهابا إلى بعد درجته وقوله
فيما حكيه جل وعلا قالت فذلكن الذي لمتنني فيه لم تقل فهذا وهو حاضر
رفعا لمنزلته في الحسن واستحقاق أن يحب ويفتتن به واستبعادا لمحله
ومن التبعيد لقصد التعظيم قوله تعالى وتلك الجنة التي أورثتموها أو
خلاف تعظيمه كما تقول ذلك اللعين فعل كذا وفذلك الذي يدع اليتيم أو
ما سوى ذلك مما له انخراط في هذا السلك ولطائف هذا الفصل
لا تكاد تنضبط وأما الحالة التي تقتضي التعريف باللام فهي متى أريد
بالمسند إليه نفس الحقيقة كقولك الماء مبدأ كل حي قال عز من قائل
وجعلنا من الماء كل شيء حي أي جعلنا مبدأ كل شيء حي هذا الجنس الذي

الذي هو جنس الماء بدليل في الروايات أنه جل وعلا خلق الملائكة من
ريح خلقها من الماء والجن من نار خلقها منه وآدم من تراب خلقه
منه وكقولك الرجل أفضل من المرأة والدينار خير من الدرهم
والكل أعظم من الجزء ونعم الرجل أو بئس الرجل ومن تعريف الجنس
قوله والخل كالماء يبدي لي ضمائره مع الصفاء ويخفيها مع الكدر وقوله
الناس أرض بكل أرض وأنت من فوقهم سماء وقوله عز قائلا
أولئك كالأنعام الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة ولقرب المسافة
إذا تأملت بين أن تعرف الاسم هذا التعريف وبين أن تتركه غير معرف
به تعامل معرفه كثيرا معاملة غير المعرف قال ولقد أمر على اللئيم يسبني
فمضيت ثمت قلت لا يعنيني فعرف اللئيم والمعنى ولقد أمر على لئيم من
اللئام ولذلك نقل يسبني وصفا لا حالا وله في القرآن غير نظير أو العموم
والاستغراق كقوله عز وعلا إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا
وعملوا الصالحات وقوله والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ولا يفلح

ثم ان المصنف لما اورد امثلة تعريف الحقيقة وكان لقائل ان يقول في بعض تلك الامثلة ان التعريف فيها العهد لا الجنس كما في قوله في آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان الذي اعطاهم اياه كتاب معين وحكم معين ونبوة معينة وكذلك في قوله نعم الرجل فان الرجل فيها عبارة عن ذلك الممدوح بدليل انهم قالوا ان فيه جواب لسؤال مقدر وانه اى رجل فقيل هو زيد اذا ان يشترط الجواب صدا السؤال فعال بسبب فله التفاوت في المعنى بين الاسم المعرف تعريف الجنس وبين الاسم الغير المعرف اعنى النكرة تعامل المعرف تعريف الجنس في كثير من الاوقات معاملة النكرة فتجرى احكام النكرة عليه مثل وصفه بالجمل التي هي نكرة

السلاح حيث لا اذا كان المسند اليه حصة معهودة من الحقيقة

كما اذا قال لك قائل جاءني رجل من قبيلة كذا او رجلان او رجال

فتقول له الرجل الذي جاءك امر فلا او الرجلان اللذان جاءاك

او الرجال الذين جاؤك وفي التنزيل وابعث في المدائن حاشرين

يأتوك بكل ساحر عليم فجمع السحرة وفي موضع اخر كما ارسلنا الى

فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول وتقرير ما ذكرنا من افادة اللام

الاستغراق او العهد يذكر في الفن الثالث ان شاء الله تعالى

واما الحالة التي تقتضي التعريف بالاضافة فهي متى لم يكن للمتكلم

اليه احضاره في ذهن السامع طريق سواها اصلا كقولك غلام

زيد اذا لم يكن عندك منه شيء سواه او عند سامعك او طريق

سواها اخصر والمقام مقام اختصار كقوله هواي مع الركب اليمانين

مصعد جنيب وجثماني بمكة موثق او لان في اضافته حصول

مطلوب اخر مثل ان تغني عن التفصيل المتعذر او الاولى تركه لجهة

من الجهات كقوله بنو مطر يوم اللقاء كأنهم اسود لها في غيل

خفان اشبل وقوله اذا دجنة حول قبرابهم فقبر ابن مارية الكريم

المفضل وقوله قومي هم قتلوا اميم اخي فاذا رميت يصيبني سهمي

وقوله فقبلنا سبع وانتم ثلاثة وللسبع خير من ثلاث واكثر

او مثل ان يتضمن اعتبارا لطيفا مجازيا كقوله اذا كوكب الخرقاء

لاح بسحرة سهيل اذاعت غزلها في القرائب وقوله اذا قال قدني

قال بالله حلفة لتغني عني ذا انائك اجمعا او مثل ان يتضمن

تعظيما باعتبار كما تقول عبدي حضر فتعظم شأنك ان لك عبدا او

كما تقول عبد الخليفة حضر فتعظم شأن العبد او كما تقول عبد الخليفة

عند فلان فتعظم شأن فلان او نوع تحقير كما تقول ولد الحجام عنده

او غرضا من الاغراض ممكن التعلق بالاضافة واما الحالة

التي تقتضي وصف المعرف فهي اذا كان الوصف مبينا له كاشفا عنه

كما اذا قلت الجسم الطويل العريض العميق يحتاج الى فراغ يشغله

او قلت المتقي الذي يؤمن ويصلي ويزكي على هدى من ربهم
فبينت بالوصف على الطف الوجه ان المتقي هو الذي يفعل
الواجبات باسرها ويجتنب الفواحش والمنكرات عن اخرها وكشفته
كشفا كاملا حقيقته ووجه اللطافة هو انك ذكرت اساس الحسنات
ومنصبها وهو الايمان وعقبته باتى العبادات البدنية والمالية
المستتبعتين لسائر العبادات وهما الصلوة والزكوة فافدت
بذلك فعل الواجبات باسرها وذكرت الناهي عن الفحشاء والمنكر
وهو الصلوة فافدت بذلك اجتناب الفواحش عن اخرها ونظيره
في تنزيل الوصف منزلة الكاشف المجرى عليه قول اوس
الالمعي الذي يظن بك الظن كان قد راى وقد سمعا
حكي عن الاصمعي انه سئل عن الالمعي فانشد ولم يزد وما يوافي
هذا قوله جل وعلا ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر
جزوعا واذا مسه الخير منوعا عن احمد بن يحيى قال سال محمد بن عبد الله

ابن طاهر ما الهلع فقلت قد فسره الله او مدحا كقولك الله الخالق
البارئ المصور او لا اذا قلت المتقي الذي يؤمن ويزكي ويصلي على
هدى ولم ترد الا مدحه او ذما كقولك ابليس اللعين ضالا مضل او
مخصصا له بان يكون تخصيص مقبلا من قابلة الكشف او المدح كقولك
زيد التاجر عندنا او لا اذا قلت المتقي الذي يؤمن ويصلي ويزكي على
هدى وانت تريد بالمتقي المجتنب عن المعاصي او بالرديد التجرد كقولك
امس الدابر لا يعود وكان ما تعلق بالوصف مطلوبا وما يرى من طلب
التميز بالوصف امتنع ان تميز شيئا عن شيء ما لم تعرفه له يكلل ان يتوصل
بسببه ان حق الوصف كونه عند السامع معلوم الثبوت للموصوف ولعلك
بان يحقق الشيء للشيء فرع على تحققه في نفسه لا شبهة ان حق كل وصف
هو ان يكون في نفسه ثابتا محققا وان كل ما لا يتحقق ثبوته للغير لا يكون
~~في نفسه ثابتا وعندك فلا يكون ثابتا لذلك او محققا~~ وان حق كل ما يقصد
ثبوته للغير ان يكون في نفسه ثابتا وعندك فلا يكون ثابتا لذلك ومحققا

يمنع مثل جعله وصفا وكذا خبرا ايضا لما علم على النقص و
عسى اذا استوصفت بارتيابك ان يحدث تشتغل في تزييف راي
من لم ير الصفة معلومة وان يتحقق ان محاولة اثبات الثابت
في نفسه لشيء لم يستدعي ثبوت ذلك الشيء له في نفسه محالة
ثم لعلمك ان الطلب سعي في التحصيل وان تحصيل الحاصل ممتنع
لا سيما تحكي كل ذلك في قانون الطلب نعلم ان مطلوبك مثله في
نحو هل رايت كذا وفي نحو اضرب يمتنع ان يكون ثابتا عندك ومحققا
فيمتنع ان تجعل مثله وصفا او خبرا ولذلك تستعمله في مثل قوله
جاؤوا بمذق هل رايت الذئب قط، تقول تقديره جاؤوا بمذق مقول عنده
في حقه هذا القول اي يحمل المذق رائيه ان يقول لمشاهده هل
رايت الذئب قط لمراده في خيال الرائي لون الذئب بورقته لكونه
شمالا او في مثل زيد اضربه او لا تضربه لتعمول على يقال اي يقال في
حقه اضربه او لا تضربه ونفسر قراءة ابن عباس رضي الله عنهما ولقد نجينا

بني اسرائيل من العذاب المهين من فرعون على لفظ من
ورفع فرعون بانه لما وصف الله تعالى العذاب بكونه مهينا بانا لشدة
وفظاعة امره واراد ان يصور كنهه قال من فرعون هل تعرفونه
من هو في فرط عتوه وشدة شكيمته في تفرعنه ما ظنكم بعذاب
يكون المعذب مثله ثم عرف حاله في ذلك قائلا انه كان عاليا من
المسرفين وستطلع من كتابنا هذا من حذو مثل على مراتب
محتجبة في الكلام واما الحالة التي تقتضي التاكيد فهي اذا كان المراد
ان لا يظن بك السامع في حملك ذلك تجوزا او سهوا او نسيانا
كقولك عرفت انا وعرفت انت وعرف زيد زيدا ونفسه او عينه
وربما كان القصد مجرد التقرير كما يطلعك عليه فصل اعتبار التقديم
والتاخير مع الفعل او خلاف الشمول والاحاطة كقولهم عرفني
الرجلان كلاهما او الرجال كلهم ومنه كل رجل عارف وكل انسان حيوان
واما الحالة التي تقتضي بيانه وتفسيره فهي اذا كان المراد زيادة

ايضاحه بما يخصه من الاسم كقولك صديقك خالد قدم وقوله
تعالى لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد من هذا القبيل
فسر الهين باثنين واله بواحد لان لفظ الهين يحتمل معنى الجنسية
ومعنى التثنية وكذا لفظ اله يحتمل الجنسية والوحدة والذي له
الكلام مسوق هو العدد في الاول والوحدة في الثاني ففسر
الهين باثنين واله بواحد بيانا لما هو الاصل في الغرض ومن هذا
الباب من وجه قوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير
بجناحيه ذكر في الارض مع الدابة ويطير بجناحيه مع طائر لبيان
ان القصد من لفظ دابة ولفظ طائر انما هو الى الجنسين ولبيان تقريرهما

واما الحالة التي تقتضي البدل عنه فهي اذا كان المراد منه تقرير الحكم
وذكر المسند اليه بعد توطئة ذكره لزيادة التقرير والايضاح كقولك
سلب زيد ثوبه وجاءني القوم اكثرهم وحسن عليك الصراط المستقيم
صراط الذين انعم الله عليهم في الانواع الثلثة من البدل دون الرابع وسائر

فليتأمل واما الحالة التي تقتضي العطف فهي اذا كان المراد تفصيل
المسند اليه مع اختصار كقولك جاء زيد وعمرو وخالد او تفصيل المسند
مع اختصار كقولك جاء زيد فعمرو فخالد او ثم عمرو ثم خالد ولا بد في
ثم من التدريج كما ينبئ عنه قول من قال وكنت فتى من جند ابليس
فارتقى بي الحال حتى صار ابليس من جندي او كان المراد رد السامع
عن الخطأ في الحكم الى الصواب كقولك جاءني زيد لا عمرو لمن في
اعتقاده ان عمرا جاء دون زيد او انهما جاءا معا وكقولك ما جاءني
زيد لكن عمرو لمن في اعتقاده ان زيدا جاء دون عمرو او كان المراد
صرف الحكم عن المحكوم له الى آخر كقولك جاءني زيد بل عمرو وما جاءني
زيد بل عمرو او كان المراد الشك فيه او التشكيك كقولك جاءني زيد او
عمرو او اما جاءني زيد واما عمرو او كان المراد التفسير كقولك جاءني
اخوك اي زيد على قول في العطف لا سيما العطف بالواو كلام
يأتيك في الفن الرابع واما الحالة التي تقتضي الفصل فهي اذا كان المراد
ان شاء الله

تخصيصه للمسند بالمسند اليه كقولك زيد هو المنطلق زيد هو افضل
من عمرو او خير منه زيد هو يذهب واما الحالة المقتضية لتنكيره فهي اذا
كان المقام للافراد شخصا او نوعا كقولك جاءني رجل اي فرد من
اشخاص الرجال وقوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء اي من نوع
من الماء مختص بتلك الدابة او من ماء مخصوص وهي النطفة او
كان المقام غير صالح للتعريف اما لانك لا تعرف منه حقيقة الا ذلك
القدر وهو انه رجل او تتجاهل وترى انك لا تعرف منه الا جنسه
كما سمعت شيئا في اعتقادك فاسدا عمن هو عندك مفتر
كذاب واردت ان تظهر انه صاحب لك سوء اعتقادك به قلت هل لكم
في حيوان على صورة انسان يقول كيت وكيت مستفادا بان تقول
في فلان فتسميه كانك لست تعرف منه ولا اصحابك الا تلك الصورة
ولعله عندكم اشهر من الشمس وعليه ما حكى جل وعلا عن
الكفار في حق النبي عليه السلام هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا

اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد كانهم لم يكونوا يعرفون منه
الا انه رجل ما وباب التجاهل في البلاغة وكما يتجوها وان شئت فانظر
لفظ كان في قول الخارجية ايا شجر الخابور ما لك مورقا كانك لم تجزع على ابن
طريف ما ذا ترى او الاستصغار في قول علام الغيوب فهل عسيتم ان توليتم
ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم متضمنا للتوبيخ لهم على تربيتهم
وربطوا عقدهم في الايمان ناعيا عليهم ان يتوقع من امثالهم ان تولوا
امور الناس وتامروا عليهم ان يفسدوا في الارض ويقطعوا ارحامهم
تناحرا في الملك وتهالكا على الدنيا ليتجه بهم التامل في المتوقع على ما تخبر
من اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم لئلا يلبسوا الملك اذا
عرض لهم بذلك على سبيل النصيحة جلا العرفان لا نتغلب لرجالهم
واما لانه لا طريق لك الى تعريف الزايد على هذا القدر لما تعقل واما لانه
في تعيينه مانعا متعقل واما لان في شانه ارتفاعا او انحطاطا واصل
للاحد يوهم انه لا يمكن ان يعرف فتقول في جميع ذلك عندي رجل او

حضر رجل وقولهم شر اهر ذاناب من الاعتبار المخير وسنسمع

في مثل هذا التركيب اعني نحو رجل جاء . وامرأة تحضر فوائد

وكذا قولك فتى من تحت معناه في نوع من الانواع عند شمة

قال تعالى ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ومنه ان نظن الا ظنا و

قول ابن ابي السمط له حاجب في كل امر يشينه ، وليس له عن طالب

العرف حاجب ، منه ايضا انظر اليه كيف تجد الفهم والذوق يتضيالك

كان ارتفاع شان حاجب الاول وكان انحطاط شان حاجب الثاني

وقال تعالى وعلى ابصارهم غشاوة فنكر لتهويل امرها وقال ولكم في

القصاص حيوة فنكر على معنى لكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو

القصاص حيوة عظيمة لمنعه عما كانوا عليه من قتل الجماعة

بواحد متى اقتدروا او نوع من الحيوة وهي الحيوة الحاصلة للارتداع

عن القتل لمكان العلم بالاقتصاص او ما ترى اذا هم بالقتل فيذكر

الاقتصاص فاورثه ان يرتدع كيف يسلم صاحبه من القتل وهو

من القتل وهو من القود فتسبب لحيوة نفسين ولمعنى طلب التعظيم

والتهويل بالتنكير قال تعالى فاذنوا بحرب من الله ورسوله دون ان يقول

بحرب الله ورسوله وبخلاف ذلك قال وعد الله المؤمنين والمؤمنات

جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في

جنات عدن ورضوان من الله اكبر دون ان يقول ورضوان الله

قصد البلا افادة وقدر يسير من رضوان الله خير من ذلك كله

لان رضاه سبب كل سعادة وفلاح وسيادة ونجاح واما قوله

اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن بالتنكير دون عذاب الرحمن

بالاضافة فاما للتهويل واما لخلافه يعني اخاف ان يصيبك نفيان

من عذاب الرحمن وقال تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من

قبلك المعنى رسل اي رسل ذوو عدد كثير واولو آيات ونذر واهل

اعمار طوال واصحاب صبر وعزم وما اشبه ذلك واما الحالة

التي تقتضي تقديمه على المسند فهي متى كان ذكره اهم ان كونه اهم تقع

باعتبارات مختلفة اما لان اصله التقدم ولا مقتضى للعدول

عنه وستسمع كلاما فى هذا المعنى فى اخر الفن الثالث ان شاء الله تعالى

واما لانه متضمن للاستفهام كقولك ايهم منطلق وسيقرر فى القانون

الثانى واما لانه ضمير الشان والقصة كقولك هو زيد منطلق

وعن قريب تعرف السر فى التزام تقديمه واما لان فى تقديمه تشويقا

للسامع الى الخبر ليتمكن فى ذهنه اذا ورده كما اذا قلت صديقك

فلان الفاعل الصانع رجل صدوق وهو احسن خواص تراكيب

الاخبار فى باب الذى كما اذا قلت بدل قولك زيد منطلق الذى هو

زيد هو منطلق او بدل قولك خبر مقدم كذا الذى هو شرح فى

خبر مقدم كذا او الذى خبره شرح فى مقدم كذا وهو السبب فى التزام تاخير

الخبر فى هذا الباب فى امتناع الاخبار عن ضمير الشان والمراد بالاخبار

فى عرف النحويين رحمهم الله فى هذا الباب هو ان تعمد الى اى اسم شئت

فى الكلام فتزحلقه الى العجز وتصير ما عداه صلة للذى ان كانت الجملة

الجملة اسمية وان كانت فعلية فله او للالف واللام بمعناه واضعا

مكان المزحلق ضميرا عائدا الى الموصول مراعيا فى ذلك ما انا حاك

علم النحو مثل ان ضمير الشان ملتزم التقديم وان الضمير لا ينتصب مفعولا

وان الحال لا يكون معرفا وان ربط المعنى بالمعنى اذا كان بسبب الضمير

فلا بد منه وانا اضرب لك امثلة ليتحقق جميع ذلك قل فى الاخبار عن

ضميرك فى اظن الذباب يطير فى الجو فيغضب ابا زيد الذى يظن

الذباب يطير فى الجو فيغضب ابا زيد انا او الظان الذباب وعن الذباب

الذى اظنه يطير فى الجو فيغضب ابا زيد الذباب وعن الجو الذى

اظن الذباب يطير فيه فيغضب ابا زيد الجو وعن زيد الذى

اظن الذباب يطير فى الجو فيغضب ابوه زيد وعن زيد الذى

اظن الذباب يطير فى الجو فيغضب اباه زيد ولا تخبر فى قولك هو

اكرامى زيدا قائما واجب عن ضمير الشان لئلا يلزم تاخيره الممنع

ولا عن الاكرام لئلا يلزم اعمال الضمير الذى يقع موقعه فى زيد ولا

عن فائدة ما لئلا يلزم وقوع الضمير الذي هو معرفة موقع الممتنع عن التعريف
وهو الحال ولما عن الضمير في واجب لئلا يلزم من عود الضمير العام معا
اذا عاد اليه الموصول كما يجب ترك ربط الخبر بالمبتدأ وأما لأن يتعين
استعمال الخبر اليه على الظاهر كما ستعرفه في الفن الثالث وأما لأن الاسم
المسند اليه يصلح للتفاؤل فيفيد تطلع السامع لتبشيره او تسويئه مثل ان
تقول سعد بن سعيد في دار فلان وسفاك ابن الجراح في دار صديقك
وأما لأن كونه متصفا بالخبر يكون هو المطلوب لا نفس الخبر كما اذا قيل
لك كيف الزاهد فتقول الزاهد يشرب ويطرب وأما لتوهم انه لم يزل
عن الخاطر او انه يستلذ فهو طلب الذكر اقرب وأما لأن تعريفه يفيد نفيا عن التعظيم
والمقام يقتضي ذلك وأما لأنه يفيد زيادة تخصيص كقوله ٭ منى
بني قطن نجدتهم ٭ سيوفهم عواتقهم سيوف ٭ جلوس في مجالسهم رزان
وإن ضيف ألمّ فهم خفوف ٭ والمراد خفوف للقرى وقوله ٭ عسل في النوم
أن يعلموا بأنك فيهم غني مضر ٭ سمج ملح كلهم للجوار ٭ ولا أنت حلو ولا أنت مر

سرا وأشباه ذلك وأما الحالة التي تقتضي تأخيره عن المسند فهي اذا
اشتمل المسند على وجه من وجوه التقديم كما ستعرفه في الفن الثالث
ان شاء الله تعالى وأما الحالتان المقتضيتان لإطلاق المسند اليه او
تخصيصه حال التنكير فأنت اذا مهرت فيما تقدم استغنيت عن
التعريف بهما وأما الحالة المقتضية لقصر المسند اليه على المسند فهي
ان يكون عند السامع حكم مشوب بصواب وخطأ وأنت تريد تقرير
صوابه ونفي خطائه مثل ان يكون عند السامع ان زيدا مقول وجواد
فتقول له زيد مقول لا جواد ليعرف ان زيدا مقصور على القول لا
يتعداه الى الجود او تقول له ما زيد الا مقول وانما زيد مقول وعليه
ما يحكي عز وجل في حق يوسف عليه السلام عن النسوة ما هذا بشرا
ان هذا الا ملك كريم اي انه مقصور على الملكية لا يتخطاها الى البشرية
وما يحكي عن اليهود في قوله واذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا
انما نحن مصلحون اي يقولون نحن مقصورون على الصلاح لا يتناسى

متنا امر سواه واعلم ان القصر كما يكون للمسند اليه على المسند يكون
ايضا للمسند على المسند اليه ثم ليس هو مختصا بهذا الباب بل له
شيوع وله تفريعات فلا وسع ان نفرد للكلام في ذلك فصلا ونوخره
الى تمام التعرض لما سواه في قانوننا هذا ليكون الوقوف عليه اقرب
واعلم ان جميع ذلك هو مقتضى الظاهر وقد يخرج المسند اليه لا على مقتضى
الظاهر فيوضع اسم الاشارة موضع الضمير وذلك اذا كملت العناية
بتمييزه اما لانه اختص بحكم بديع عجيب الشان كقوله كم عاقل عاقل اعيت
مذاهبه، وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا، هذا الذي ترك الاوهام حائرة،
وصير العالم النحرير زنديقا، واما لانه قصد التهكم بالسامع والتعريض
منه كما اذا كان فاقد البصر او لم يكن ثمه مشار اليه اصلا او الندا على
كمال بلادته بانه لا يميز بين المحسوس بالبصر وغيره او على كمال فطانته
وبعد غور ادراكه بان غير المحسوس بالبصر عنده كالمحسوس عند غيره
او قصد ادعاء انه ظهر ظهور المحسوس بالبصر كقوله، تعاللت كي اشجى وما بك علة

علة، تريدين قتلي قد ظفرت بذلك، وما شاكل ذلك ويوضع المضمر
موضع المظهر كقولهم ابتداء من غير جري ذكر لفظا او قرينة حال ربه
رجلا ونعم رجلا زيد وبئس رجلا عمرو مكان رب رجل ونعم الرجل
وبئس الرجل على قول من لا يرى الاصل زيد نعم رجلا وعمرو بئس رجلا
وقولهم هو زيد عالم وهي هند مليحة مكان الشان زيد عالم والقصة هند
مليحة ليتمكن في ذهن السامع ما يعقبه وذلك ان السامع متى لم يفهم
من الضمير معنى بقي منتظرا لعقبى كيف يكون فيتمكن المسموع بعده فضل
تمكن في ذهنه وهو السر في التزام تقديمه قال الله تعالى قل هو الله
احد وقال فانها لا تعمى الابصار وكما يوضع المظهر موضع المضمر اذا اريد تمكين
نفسه زيادة تمكين كقوله، ان شاء لو الملى تغيظ الحق سائله، وقوله عز من قائل
الله الصمد دون هو الصمد بعد قوله قل هو الله احد ونظيره من خارج باب
المسند اليه وبالحق انزلناه وبالحق نزل وكذا فبدل الذين ظلموا قولا
غير الذي قيل لهم فانزلنا على الذين ظلموا ويترك الحكاية الى المظهر اذا تعلق

غرض قول الخلفاء حيث يقولون امير المومنين يرسم لك مكان انا
انا ارسم وهو ادخال الروعة في ضمير السامع وتربية المهابة او تقوية
داعي المامور وعليه قوله تعالى فاذا عزمت فتوكل على الله او قول المستعطف
حيث يقول اسيرك يتضرع اليك مكان انا اتضرع اليك ليكون ادخل
في الاستعطاف وعليه قوله الهي عبدك العاصي اتاكا، وما جرى مجرى هذه الاعتبار
واعلم ان هذا النوع اعني نقل الكلام عن الحكاية الى الغيبة لا يختص
المسند اليه ولا هذا القدر بل الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتها ينقل
كل واحد منها الى الاخر ويسمى هذا النقل التفاتا عند علماء علم المعاني
والعرب يستكثرون منه ويرون الكلام اذا انتقل من اسلوب الى اسلوب
ادخل في القبول عند السامع واحسن تطرية لنشاطه واملا باستدرار
اصغائه وهم احرياء بذلك اليس قرى الاضياف سجيتهم ونحر العشار للضيف
دابهم وهجيراهم لا مزقت ايدي الادوار لهم اديما ولا اباحت لهم حريما افتراهم
يحسنون قرى الاشباح فيخالفون فيه بين لون ولون وطعم وطعم ولا يحسنون

قرى الارواح فلا يخالفون فيه بين اسلوب واسلوب وايراد وايراد
فان الكلام المفيد عند الانسان لكن بالمعنى لا بالصورة اشهى غذاء
لروحه واطيب قرى لها قال ربيعة بن مقروم، بانت سعاد فامسى القلب
معمودا واخلفتك ابنة الحر المواعيدا، فالتفت كما ترى حيث لم يقل واخلفتني
ثم قال، يالم الاف امرا جزلا مواهبه، سهل الفناء رحيب الباع محمودا،
وقد سمعت بقوم يحمدون فلم، اسمع بمثلك لا حلما ولا جودا، فالتفت كما
ترى حيث لم يقل بمثله وقال، تذكرت والذكرى تهيجك زينبا، واصبح
باقي وصلها قد تقضبا، وحل بفلج فالاباتر اهلنا، وشطت فحلت
غمرة فمثقبا، فالتفت في البيتين وقال عوف ان الحوض لهدمت
الحياض فلم يغادر، لحوض من نصائبه ازاء، الحوله اذهم مغني واهلي
واهلك ساكنون وهم رباء، فالتفت في الثاني وقال عبد الله بن عنمة
ما ان ترى السيد زيدا في نفوسهم، كما تراه بنو كوز ومرهوب،
ان تسالوا الحق نعط الحق سائله، والدرع محقبة والسيف مقروب،

فالبيت في تسالوا وقال الحارث ابن حلزة، طرق الخيال ولا كليلة

مدلج، سدكا بارحلنا ولم يتعرج، انى اهتديت لنا وكنت رجيلة

والقوم قد قطعوا متان السجسج، فالبيت في الابيات وقال علقمة

بن عبدة، طحابك قلب في الحسان طروب، بعيد الشباب عصر حان مشيب

تكلفني ليلى وقد شط وليها، وعادت عواد بيننا وخطوب، فالبيت

في السن وقال امراء القيس، تطاول ليلك بالاثمد، ونام الخلي ولم ترقد

وبات وباتت له ليلة، كليلة ذي العاير الارمد، وذلك من نباء جاني

وخبرته عن ابي الاسود، فالبيت في الابيات الثلثة وامثال ما ذكر اكثر

من ان يضبطها القلم وهذا النوع قد يختص مواقعه بلطايف معان

قلما تتضح الا لافراد بلغائهم او للحذاق المهرة في هذا الفن والعلماء

النحارير ومتى اختص موقعه في الكلام بشيء من ذلك كساه فضل

بهاء ورونق واورث السامع زيادة هزة ونشاط ووجد عنده من

القبول ارفع منزلة ومحل ان كان ممن يسمع ويعقل وقليل ما هم

ام يحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ولامر ما وقع الالتفات

للعادل عن الحد من مفتتح الكلام رب العزة ومفتتحه من غواص

بحر فوايده وغواصه وكل الالتفات وارد في القران متى صرت

من سامعيه عرفت ما موقعه اذا احببت ان تبصر فاحضر لتبل عليك

قوله عز وجل اياك نعبد واياك نستعين فلعلك الى ما يشهد

له الوجدان حيث يغنيه عن شهادة ما سواه ان المرء اذا اخذ

في استحضار جنايات جان منتقلا فيها عن الاجمال الى التفصيل وجد

من نفسه تفاوتا في الحال بينا لا يكاد يشبه آخر حاله هناك اولها

او ما تراك اذا كنت في حديث مع انسان وقد حضر مجلسك من له جنايات

في حقك كيف تصنع تحول من الحالة الاولى وتلتفت في الشكاية عنه الى

صاحبك تبثه الشكوى معتجا بانه ولطه فواحدة وانت فيما بين

ذلك واجد مزاجك يحمى على تزايد تحرك حالة لك غضبية تدعوك الى

ان تواثب ذلك الجاني وتشافهه بكل سوء وانت لا تجيب لا ان تغلب

فقطع الحديث مع الصاحب في مباثتك اياه وترجع الى الجالس مثاله
بالله قل لي هل عامل احد مثل هذه المعاملة هل تتصور معاملة اسوء
مما فعلت اما كان لك حياء يمنعك اما كانت لك مروة تردعك على هذا ان
النكتة في هذا الباب انه كان الكلام للجليس كان خاتم على ذلك الكرم فاذا اخذت
في تعديد نعمه عند صاحبك وسحر النعم تفاصيلها احسست من نفسك
حالة كانها تطالبك بالاقبال على منعمك وتزين لك ذلك ولا تزال تتزايد
مادمت في تعداد نعمه حتى تحملك من حيث لا تدري على ان تخاطبه وانت في
معمعة الكلام تثني عليه وتدعو له وتقول باي لسان اشكره صنايعك الروايع
وبايه عبارة احصر عوارفك الذوارف وما يجري ذلك المجرى فاذا وعيت ما
قصصته عليك وتاملت الالتفات في اياك نعبد واياك نستعين بعد تلاوتك
لما قبله من قوله الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين على الوجه الذي
يجب من التامل العقلي علمت ما موقعه وكيف اصاب المحز وطبق المفصل
البلاغة لكونه منبها على ان العبد المنعم عليه بتلك النعم العظام الفائتة

العاشية للحمد افاق فتدبر انه ما يليق من بيد مولاه من حقه اذا اخذ في
القران ان يكون قراءته على وجه يجد معها من نفسه شبه محرك الى الاقبال
على من يحمده مما يليه في اثناء القراءة فلا حالة شبيه بما اجاب ذلك عند
ختم الصفات مستتبعة انطباقها على المنزل على ما هو عليه وان لم
يكن قارئا والوجه اذا افتتح التحميد ان يكون افتتاحه عن قلب
حاضر ونفس ذاكرة يعقل فيم هو وعند من هو فاذا انتقل من التحميد
الى الصفات ان يكون انتقاله محققا بحضور الافتتاح فانه متى افتتح على
الوجه الذي عرفت مجريا على لسانه الحمد لله افلا يجد محركا للاقبال على من
يحمد من معبود عظيم الشان حقيق بالثناء والشكر مستحق للعبادة والذكر
ثم اذا انتقل على نحو الافتتاح الى قوله رب العالمين واصفا له بكونه ربا
مالكا للخلق لا يخرج شيء من ملكوته وربوبيته افترى ذلك المحرك لا يقوى
ثم اذا قال الرحمن الرحيم فوصفه بما ينبئ عن كونه منعما على الخلق بانواع
النعم والائه جلائلها ودقائقها مصيبا اياهم بكل معروف افلا يتضاعف

فوه ذلك المحرك عند هذا ثم اذا آل الامر الى خاتمة هذه الصفات
وهي مالك يوم الدين المنادية على كونه مالكا للامر كله في العاقبة
يوم الحشر للثواب والعقاب فاطلق بذلك المحرك اسمع ذهنك
ان لا نصيب للجحد يوجب عليك الاقبال على من هذه شأنه ينسل معه
مذاهب التخييل ما تصورت فتستطيع ان لا تقول اياك يا من
هذه صفاته نعبد ونستعين لا غيرك فلا ننطق على المنزل على
ما هو عليه وليس ان تحجر الكذب بتعبد وهو المشهود له في شأن البلاغة
والحائز لقصبات السبق في درك اللطائف والمثابر على المناهج
من عيون النكت في افتنانه في الكلام اذا اتفقت تلك الالتفات
وكان يمكنه ان لا يلتفت البتة وذلك ان سوق الكلام على الحكاية
في الابيات الثلاثة فيقول تطاول ليلي بالاثمد ونام الخلي ولم ارقد
وبت وباتت لنا ليلة، كليلة سبابها كقول لبيد فوقف اسا لها وكيف
سؤالنا وان يلتفت نوعا واحدا فيقول وبت وباتت لكم وذلك من نبإ

نبأ جاءكم وخبرتم عن ابي الاسود ان يكون حسن قصد تهويل الخطب
واستفظاعه في النبأ الموجع والخبر المفجع للواقع الثابت في العضد
المحرق للقلب والكبد فعل ذلك متمهلا في الثلاثة الاول على ان نفسه
وقت ورود ذلك النبأ عليها ولهت وله الثكلى فاقامها مقام المصاب
الذي لا يتسلى بعض التسلي الا بتفجع الملوك له وتحزنهم عليه واخذ يخاطبه
بتطاول ليلك تسلية او تنبه نفسه لفظاعة شأن النبأ واستشعارها معه
لما وارثها صاما اذن فلقاها بقلقه لما وجرا لها بتفجع مرتمض كان من
حقها ان تتثبت وتتصبر فعل الملوك وجريها على سنتها المسلوك عند طوارق
النوائب وبوارق المصائب فحين لم تفعل نكلته في اتهامها نفسه فاقامها
مقام مكروب ذي حرق فاقبل له تطاول ليلك مخاطبا مسليا وفي الثانية
الثالث على ان الحزن تحزن صدق ولذلك لا يتفاوت الحال خاطبتك او
لم اخاطبك وفي الثالثة الثالث على ان جميع ذلك انما كان لملحضته
ولم يتعلق بها من سواه او بنيه في الثلاثة الاول على ان ذلك النبأ اطار قلبه

وابا رلبة ونزكه جابرا بابرا فما فطن معه لمقتضى الحال من الحكاية فجرى
على لسانه من غير ارادة ما كان الغه من الخطاب الدائر في مجاري امور
الكبار امرا ونهيا والانسان اذا دهمه ما تحار له العقول وتطير له الالباب
وتدهش معه الفطن لا يكاد يسلم كلامه عن امثال ذلك وفي النداء
البليغ على انه بعد الصدمة الاولى حين افاق شيئا ما كاد بعض
الادراك ما وجد النفس معه فبنى الكلام على الغيبة فابلا وبان في بانت
له في الندا الثالث على ما سبق او بنى في الندا الاول على ان نفسه
حين لم تتثبت ولم تصبر غلطه ذلك فاقامها مقام المستحق للعتاب
فابلا على سبيل التوبيخ والتعيير تطاول لبك في النداء الثاني على
ان الحامل على الخطاب في الخطاب لما كان هو الغيظ والغضب فحين
سكت عنه الغضب في سكن الغيظ بالعتاب الاول فان سورة الغضب
بالعتاب تنكسر وفي عنها الوجه وهو بعد قدم فابلا وبان في بانت له في
النداء الثالث على ما تقدم وانما ذكرت لك ما ذكرت لتقف على ان القول

القول البزل لا يعترفون بالبلاغة لامرئ ولا يقيمون للكلام وزنا
ما لم يعتبروا اسن مطاوي اقفيتنا تنبه على لطائف اعتبارات والفاضل من
الكلامين فلما تقع الا باشباههما واعلم ان لطائف الاعتبارات المرفوعة
لك في هذا الفن من تلك المطالع البارزة من معاقل لا تتسهل اتيانها
ما لم تمد بصيرتك في الاستشراف لامثال اطباء الجهود ولم تخلف في السعي
للتفتيش عنها ورائك كل حض معهود ماذا يشتعل صدق همة تنطش في
متوخاك يبلغ بسيط انها تنزل عن مرمى غرضك ولو معتلا فبسيط مستطهرا
في طباعتك ان تستشعرها نفس لك يقظى وطبع لطيف غير جلجع مع فهم
متسارع وخاطر مهوافي عقل دراك وعلى هذه الطبقة الناظرة بانوار
البصائر المخصوصون بالعناية الالهية المذللون ما دونه من الحكمة وفصل
الخطاب على ان كلام رب العزة وهو فرقانه الكريم وقرآنه العظيم لم يلبس
تلك الطلاوة ولا استودع تلك الحلاوة وما اعذقت اسافله ولا اثمرت
اعاليه وما كان يعلو ولا يعلى الا لانصبابه في تلك القوالب ولوروده

على هذه الاساليب الفن الثالث للوجه الذي علمت ايها المخصوص بسلامة
أو اذكى فكره دون ابناء جنسه المستوضح في استكشافه عن اسرار البلاغة
كأن انسه التقاط الحدث فلا يعزب عنه شيء من بدائع النكت في مكامنها
المستوضح للطائف السحر البيان عن معادنها المستطلع طلع الاعجاز
التنزيلي باستغراق طوقه المالك لزمام الحكم لنا المتدرب بعجيب وغريب
دقيقة فهو الطلبة وما عداه ذرائع اليه وهو المرام وما سواه اسباب
للتسلق عليه ان لا بد من التعرض لمقتضيات الاحوال في ايراد المسند اليه
على تلك الصور والكيفيات تعلم له ايضا ان لا بد من التعرض عن الاحوال
المقتضية لانواع التفاوت في المسند من كونه متروكا تارة وغير متروك
اخرى ومن كونه مفردا او جملة وفي افراده من كونه فعلا نحو قام زيد ويقوم
وسيقوم او اسما منكرا او معرفا من جملة المعرفات مقيدا لكل من ذلك نحو
زيد يخرج يوم الجمعة وزيد رجل عالم وعمرو اخوك الطويل او غير مقيد
وفي كونه جملة من كونها اسمية او فعلية او شرطية او ظرفية ومن كونه مؤخرا

مؤخرا او مقدما حتى تتهيأ لك ان تتسم لكل مقام سمته وان تجري الحلبة
مقتضاه على اقوم سمته فهو المطارح الذي تتبارز فيه قوى القرائح والمطارد
الذي يتبارز فيه الجذع عن القارح واما الحالة المقتضية لترك المسند
فهي متى كان ذكر المسند اليه بحال يعرف منه المسند وتعلق بتركه
غرض اما اتباع الاستعمال كقولهم ضربي زيدا قائما واكثر شربي السويق
ملتوتا واخطب ما يكون الامير قائما وقولهم كل رجل وضيعته وقولهم
لولا زيد لكان كذا ونحو ذلك واما قصد الاختصار والاحتراز عن
العبث كما اذا قلت زيد منطلق وعمرو وقوله عز وجل افأنبئكم بشر من
ذلكم النار فاحملنه النار شر من ذلكم واما ضيق المقام مع قصد الاختصار
والاحتراز عن العبث كقوله قالت وقد رأت اصفرار من به
وتنهدت فاجبتها المتنهد اذا حمل على تقدير المتنهد هو المطالب دون
هو المتنهد وسيعرف في الحالة المقتضية لكونه اسما معرفا ان التقدير
اولى وقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأي مختلف

أي بحيث لا يعتد ما راضون وأما تخيل أن العقل عند الترك
هو معرّفه وأن اللفظ عند الذكر هو معرفه من حيث الظاهر وبين
المعرفين بونٌ وكذلك أن تلحظ من هذا القبيل قوله عز وجل والله ورسوله
أحق أن يرضوه وأما أن يخرج ذكره لا ما ليس بمراد كما إذا قلت
في أزيد عندك أم عمرو فإنه يخرج أم عن كونها متصلة بل إنها منقطعة
أم عندك عمرو
وأما لاختبار السامع هل يتنبّه عند القرائن الحوال أو ما مقداره
تنبّهه عنها وأما طلب تكثير الفائدة بالمذكور من حمل الجملة تارةً
وحمله على غيره أخرى كقوله فصبرٌ جميلٌ وقوله طاعةٌ معروفةٌ فالجملة
تارةً على فصبرٌ جميلٌ أجمل وطاعةٌ معروفةٌ أمثل وحملها أخرى على
فأمري صبرٌ جميلٌ وطاعتكم طاعةٌ معروفةٌ بالقول دون الفعل
وأما الحالة المقتضية لذكره فهي أن لا يكون ذكر المسند إليه يفيد
المسند بجهة من الوجوه كما إذا قلت ابتداءً زيد عالم أو أن يكون
في ذكر المسند غرضٌ وهو أما زيادة التقرير أو التعريض بغباوة

بغباوة السامع أو استلذاذه أو قصد التعجب من المسند إليه بذكره
كما إذا قلت زيد يقاوم الأسد مع دلالة قرائن الأحوال أو تعظيمه أو
إهانته أو غير ذلك مما يصلح للقصد إليه في حق المسند إليه إن كان
صالحًا لذلك أو بسط الكلام بذكره والمقام مقام بسطٍ ولأن الأصل
في الخبر هو أن يذكر كما سبق أمثال ذلك في إثبات المسند إليه أو ليتعين
بالذكر كونه اسمًا كقولك زيد عالم فيستفاد الثبوت صريحًا فأصل الاسم
صفةً وغير صفةٍ الدلالة لفظًا على الثبوت أو كونه فعلًا كقولك زيد علم
فيستفاد التجدد أو ظرفًا كقولك زيد في الدار فيورث احتمال الثبوت
والتجدد بحسب التقديرين في حاصل أو حصل ويتبين فيه كلام
ويصلح لشمول هذه الاعتبارات قول عند الحالف الله إلهنا ومحمدٌ
نبينا والإسلام ديننا والتوحيد والعدل مذهبنا والخلفاء الراشدون
أئمتنا والناصر لدين الله خليفتنا والدعاء عليه وظيفتنا وأما الحالة
المقتضية لإفراد المسند فهي إذا كان فعليًا ولم يكن المقصود من نفس التركيب

تقوّي الحكم واعني بالمسند الفعلي ما يكون مفهومه محكوماً به بالثبوت
للمسند اليه او بالانتفاء عنه كقولك ابوه منطلق والدار من الزيدين
وضرب اخوه عمرو وبكر ان تعطه يشكرك وفي الدار خالد اذ تقديره
استقر او حصل في الدار على اقوى الاحتمالين لتمام الصلة بالظرف كقولك الذي
في الدار اخوك كما يعرف في علم النحو وتفسير تقوّي الحكم يذكر في حال
تقديم المسند اليه واما الحالة المقتضية لكونه فعلاً فهي اذا كان المراد
تخصيص المسند باحد الازمنة الثلاثة على اخصر ما يمكن مع افادة التجدد
كقوله عز وجل فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون اي فويل
لهم مما اسلفت ايديهم من كتبة ما لم يكن وويل لهم مما يكسبون بذلك
بعد من اخذ الرشى وقوله ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون اي فريقاً كذبتموه
على التمام وفرغتم عن تكذيبه ما بقي منه غير ملتبس وفريقاً تقتلون اي ما
يتيسر لكم قتله على التمام وانما تبذلون جهدكم ان تقتلوا فلهذا فمن حول قتل
محمد فانتم تحومون حول القتل وقوله فسيكفيكهم الله وقوله سيقول السفهاء وقوله

مثال المستقبل

وقوله سنستدرجهم والمراد بالزمان الماضي ما وجد قبل زمانك الذي
انت فيه وبالمستقبل ما يترقب وجوده وبزمان الحال اجزاء من
الطرفين يعقب بعضها بعضاً من غير فرط مهلة وتراخ والحاكم في ذلك
هو العرف لا غير واما الحالة المقتضية لتقييده فهي اذا كان المراد تربية
الفائدة كما اذا قيد بشيء مما يتصل به من نحو المصدر كضربت ضرباً شديداً
او ظرف الزمان كضربت يوم الجمعة او ظرف المكان كضربت امامك
او السبب الحامل كضربته تأديباً له وقعدت جبناً او المفعول به
به بدون حرف كضربت زيداً كضربت بالسوط او ما ضربت الا زيداً او
المفعول معه كجلست والسارية او الحال كجاء زيد راكباً او التمييز
كطاب زيد نفساً او الشرط كيضرب زيد ان ضرب عمرو وان ضرب
عمرو يضرب زيد اخرت او قدمت فهذه كلها تقييدات للمسند وتفاصيل
يزداد الحكم بها بعداً ولم اذكر الخبر في نحو كان زيد منطلقاً لان الخبر هاهنا
هو نفس المسند لا قيد للمسند انما قيد تقييده هو كان فتأمل وتدبر

وقد ظهر لك من هذا ان الجملة الشرطية جملة خبرية مقيدة بقيد
مخصوص محتملة في نفسها للصدق والكذب في اعم الفعل وما يتصل
به من المسند اليه وغير المسند اليه اعتبارات في الترك والاثبات
والاظهار والاضمار والتقديم والتاخير وله اعني الفعل بتقييده بالقيد
الشرطي على الخصوص اعتبارات يضاف ذكرها جميعها في اخر هذا
الفن في فصل لها على حدة واما الحالة المقتضية لترك تقييده فهي اذا
منع عن تربية الفائدة مانع قريبا وبعيدا اما الحالة المقتضية لكونه اسما
فهي اذا لم يكن المراد افادة التجدد والاختصاص باحد الازمنة الثلثة
افادة الفعل لاغراض تتعلق بذلك واما الحالة المقتضية لكونه منكرا
فهي اذا كان الخبر واردا على حكاية المنكر كما اذا اخبر عن رجل في
قولك عندي رجل تصديقا لك فقيل الذي عندك رجل او كان
المسند اليه نكرة كقولك رجل من قبيلة كذا حاضر فان كون المسند اليه
نكرة والمسند معرفة سواء قلنا يمتنع عقلا او يصح عقلا ليس في كلام

كلام العرب وتحقيق الكلام فيه ليس مما نحن فيه الآن واما ما جاء من نحو
قوله ولا يك موقف منك الوداعا وقوله يكون مزاجها عسل وماء
وبيت الكتاب اظبي كان امك ام حمار فمحمول على منوال عرضت الناقة
على الحوض في اصل الاستعمال ولا يك موقفا منك الوداع ويكون مزاجها
عسلا وماء واظبيا كان امك ام حمار ولا تظنن بيت الكتاب خارجا عما
نحن فيه فما يملا ان اسم كان انما هو الضمير والضمير معرفة فليس المراد
كان امك انما المراد ظبي بناء على ان ارتفاعه بالفعل المفسر لا بالابتداء
ولذلك قررنا الاصل على ما ترى في الباب اعتبارات سؤالا وجوابا
فلا عليك ان تتاملها وايال والتخبط في تخطئة احد هناك فيطا
ابن اخت خالتك وان هذا النمط مسمى فيما بيننا بالقلب وهي شعبة من
الاخراج لا على مقتضى الظاهر ولها شيوع في التراكيب وهي مما يورث
الكلام ملاحة ولا يشجع عليها الا كمال البلاغة يلبس في الكلام وفي الاشعار
وفي التنزيل يقولون عرضت الناقة على الحوض وقال القطامي كما طينت

بالقذف بياعا، اراد لا احبث القذف بالبيلع وقال الشماخ كما غضب

عصب العود بالعلباء وقال الجراش، وتسقي الرماح بالضياطرة الحمر

اراد وتسقي الضياطرة الحمر بالرماح وذلك ان لم تحمله على القلب بواسطة

استعارة السقاء لكنها بالطعان وقال رؤبة، ومهمه مغبرة ارجاؤه،

كان لون ارضه سماؤه، اراد كان لون سمائه من غبرتها لون ارضه وقال

الآخر يمشي فيقعس او يكب فيعثر، اراد او يعثر فيكب وفي التنزيل

وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا اي جاءها باسنا فاهلكناها على

احد الوجهين وفيه اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ما

ذا يرجعون على ما يحمل من القه اليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم وفيه

ثم دنا فتدلى يحمل على نصبه وذنيه او كان المسند اليه معرفة لكن المراد

بالمسند وصف غير معهود ولا مقصود الانحصار بالمسند اليه كما تقول

زيد كاتب وعمرو شاعر واذا تكلمنا في تعريف المسند اليه باللام اتضح عندك

ماذكرنا او كان ينبئ عن تنكير عما تقدم في تنكير المسند اليه من ارتفاع الشأن

الشأن او انحطاطه كما قال تعالى هدى للمتقين فريبا بنكس انه هدى

لا يكتنه كنهه وكما قال ان زلزلة الساعة شيء عظيم واما الحالة المقتضية للتخصيص

اما بالاضافة كقولك زيد ضارب غلام او بالوصف كقولك زيد رجل عالم

فهي اذا كان المراد كون الفائدة اتم لما عرفت في فصل تعريف المسند اليه

واما الحالة المقتضية لترك التخصيص فظاهرة لك ان كان ما سبق على

ذكر منك واما الحالة المقتضية لكونه اسما معرفا فهي اذا كان عند السامع

متشخصا باحد طرق التعريف معلوما له وكلمة بل اسهل يقول والمسند

اذا كان متشخصا عند السامع معلوما له استلزم لا محالة كون المسند اليه

معلوما له ايضا لما قدمنا انهم واذا كانا معلومين عنده فما ذا يستفيد فانا

نقول يستفيد اما لازم الحكم كما ترى في قولك لمن اثنى عليك بالغيب الذي

اثنى علي بالغيب انت معرفا له انك عالم بذلك او الحكم كما ترى في قولك لمن

يعرف ان له اخا ويعرف انسانا يسمى زيدا او يعرفه بحفظ التورية او يراه من

بعيد لكن لم يعرف ان ذلك الانسان هو اخوه اذا قلت له اخوك زيد او اخوك

زيدا واخوك الذي يحفظ التورية او اخوك هذا فقدمت الاخ او اذا
قلت زيد اخوك او الذي يحفظ التورية اخوك او هذا اخوك فاخرت الاخ
معرفا له في جميع ذلك ان احدهما الاخر ولم يتقدم فيما نحن فيه ما تقدم في مسئلة
المنكر لكن اذا اثنى عليك بالغيب انسان وعلم ان الثناء نقل اليك وانت
تتصوره كالمستخبر عن حاله هل تعلم ان ذلك المثني عليك هو وهل تحكم
على ذلك المثني به فتقول الذي اثنى على بالغيب انت فتلقنه بالحكم على الوجه
المتصور او كان اثنى عليك هو وغيره وعلم ان ثناء احدهما نقل اليك وانت
تتصوره كالطالب ان يتبين له كيف حكمك عليه وعلى ذلك الاخر فتقول له
الذي اثنى على بالغيب انت فتلقنه بالحكم على ما تتصوره وتتبين انك انما تعرف
ثناءه دون ثناء غيره واذا قلت انت الذي اثنى على بالغيب قلته اذا
كان اثنى عليك ونقل اليك الثناء بحضره ومحضر غيره فتصورته كالطالب
ان يتبين له كيف حكمك عليه فاثبت بالحكم على الوجه المطلوب واذا قلت
اخوك زيد قلته لمن يعتقد اخا لنفسه لكن لم يعرفه على التعيين فتصوره

تتصوره طالبا منك الحكم على اخيه بالتعيين واذا قلت زيد اخوك
قلته لمن يعلم زيدا وهو كالطالب ان يعرف حاله وانه معتقدا ان
له اخا لكن لا يعلمه على التعيين وكذلك اذا قلت اخوك الذي يحفظ
التورية اخوك او اخوك هذا وهذا اخوك واذا قلت زيد المنطلق
قلته لمن يطلب ان يعرف حال زيد اما باعتبار تعريف العهد ان كان
المنطلق عنده معهودا واما باعتبار تعريف الحقيقة واستغراقها واذا
قلت المنطلق زيد قلته للمتشخص في ذهنه المنطلق باحد
الاعتبارين وهو طالب لتعيينه في الخارج واذا تاملت ما تلوناه
اما لكونه معهودا او اما التعريف الحقيقة
عليك اطلعك على معنى قول النحويين رحمهم الله لا يجوز تقديم الخبر على
المبتدا اذا كانا معرفتين مقابل انهما قدمت فهو المبتدا وما سبق
الى بعض الخواطر من ان المنطلق دال على معنى نسبي هي في نفسه
متعين للخبرية وان زيدا دال على الذات وهو في نفسه متعين
للمبتدائية تقدم او تاخر فلا معرج عليه فان المنطلق لا يجعل مبتدا

المعنى الشخص الذي له الانطلاق وانه بهذا المعنى لا يجب كونه
خبرا وان زيدا لا يوقع خبرا المعنى صاحب اسم زيد ويكون المراد من
قولنا الشخص الذي له الانطلاق صاحب اسم زيد تماما فلا يمنع من
قوله ثم وان لم ار ان كراكا شاهدي الدمع ان ذاك كذا كا
ونحو قوله لعاب الافاعي القاتلات لعابه مما لا يستقيم معناه الا بالعزم
والحاجب يحتمه للحمل على القلب المعنى ذكره فاعرفه واعلم ان القول
بتعريف الحقيقة القصد اليها وتميزها من حيث هي هي لزم ان يكون
اسماء الاجناس معارف فانها موضوعة لذلك وانه قول لم يقل به
احد ولئن التزمه ملتزم للذي في امتناع نحو رجعى السرعة او
البطية وذكرى الحسنة او البنجة وامام اقل رجعا الشرح
وذكر الحسن فيه لمسافة في التجنب عن جر التنوين ما هي
لئن ذهبت الى ان في نحو رجل وفرس ونور اعتبار المرفة فليس فيها
القصد الى الحقيقة اذن من حيث هي هي لجاز مثل المصادر من نحو ضرب

ضرب وقتل وقيام وقعود ورجعى وذكرى فليس فيها ذلك بالاجماع
ولزم ان يكون اللام في نحو الرجل او نحو العرب لتاكيد تعريف الحقيقة
اذا لم يقصد العهد وانه قول ما قال به احد واذا قلنا المراد بتعريف
الحقيقة القصد اليها لحضورها او تقدير حضورها لم يخبر عن
تعريف العهد الوارد بالتحقيق او بالتقدير لان تعريف العهد ليس
شيئا غير القصد الى الحاضر في الذهن حقيقة او مجازا كقولك جاءني
رجل فقال الرجل كذا وقولك انطلق رجل الى موضع كذا والمنطلق
ذو جد قال تعالى وليس الذكر كالانثى اي وليس الذكر الذي طلبت
كالانثى التي وهبت لها واذا قلنا المراد بتعريف الحقيقة هو الاستغراق
لزم في اللام كونها موضوعة لغير التعريف اذا تاملت ولزم مع ذلك
ان يكون الجمع بينها وبين لفظ المفرد جمعا بين المتنافيين ان صير
الجمع بينهما لا نحو الجمع بين المفرد وبين الواو والنون في نحو المسلمون
امتنع لوجوه كثيرة لا يخفى على متفنن انواع الادب ادناها وجوب

نحو الرجل الطوال والفرس الادهم لا اقل على الاطراد وكل ذلك على
ما ترى فاسد والاقرب بناء على قول بعض ائمة اصول الفقه بان
اللام موضوعة لتعريف العهد لا غير هو ان يقال المراد بتعريف الحقيقة
احد قسمي التعريف وهو تنزيلها منزلة المعهود من الوجوه الخطابية لما
يكون ذلك محتاج اليه على طريق التحقيق فهو لذلك حاضرة في الذهن
فكانه معهود صادر على طريق التهكم وتستعرف معنى هذا في علم البيان
واما لانه عظيم الخطر معقود به الهمم على احد الطريقين فبنى على ذلك انه
فلا ينسى فهو لذلك بمنزلة المعهود الحاضر واما لانه لا يغيب عن الحس
على احد الطريقين فبنى على ذلك حضوره وينزل منزلة المعهود واما
لانتشار على الالسن لكثرة الدور في الكلام على احد الطريقين فنحا لذلك
مقام المعهود واما لان اسبابا في شانه متاخذة او غير ذلك مما جرى
مجرى هذه الاعتبارات فتقام الحقيقة لذلك مقام المعهود ويقصد اليها
بلام التعريف ثم ان الحقيقة لكونها من حيث هي لا متعددة لتحققها مع

مع التعدد ولا لا متعددة لتحققها مع الوحدة وان كانت لا تنفك
في الوجود عن احدهما صالحة للتوحد والتكثر فيكون الحكم استغراقا
او غير استغراق بحسب مقتضى المقام فاذا كان خطابيا مثل المؤمن
غر كريم والمنافق خب لئيم حمل المعرف باللام مفردا كان او جمعا
على الاستغراق بعلة ايهام ان القصد الى فرد دون آخر مع تحقق الحقيقة
فيهما ترجيح لاحد المتساويين واذا كان استدلاليا حمل على
اقل ما يحتمل وهو الواحد في المفرد والعدد الزائد على الاثنين
بواحد في الجمع ولا يوجب في مثل حصل الدرهم الا واحدا وفي مثل
حصل الدراهم الا ثلاثة وستقف على هذا في نوع الاستدلال اذا
انتهينا اليه باذن الله تعالى ومبنى كلامي هذا على ان الاثنين ليسا
بجمع فان عند العالم الواقف على مسالك الصناعة سواء ثنيتها ولواحقها
للاثنين جمعا غير مرتضى منه وههنا دقيقة وهي ان الاستغراق
نوعان حقيقي وغير حقيقي ولا بد من رعاية ذلك فالحقيقي نحو قوله

الامير الصاغة اذا جمع صاغة بلده او اطراف مملكته فحسب لا صاغة
الدنيا ونحو العرفي نحو قولنا الله غفار الذنوب اي كلها واستغراق
المفرد يكون اشمل من استغراق الجمع ويتبين ذلك بانه ليس يصدق
لا رجل في الدار في نفي الجنس اذا كان فيها رجل او رجلان ويصدق
لا رجال في الدار ومن هذا يعرف لطف ما حكيه تعالى عن زكريا
عليه السلام رب اني وهن العظم مني دون العظام حيث توصل باختصار
اللفظ الى الاطناب في معناه واذا عرفت هذا فنقول متى قلنا
زيد المنطلق او المنطلق زيد في المقام الخطابي لزم ان لا يكون غير زيد
منطلقا ولذلك ينبغي ان يقال زيد المنطلق وعمرو بالواو ولا ينبغي ان
يقال زيد المنطلق لا عمرو بحرف لا لانه اذا كان الامر في نفسه كذلك
كما اذا قلت الله العالم الذات حمل على الاختصار حقيقة والا كما في
قولك حاتم الجواد وخالد الشجاع وقوله تعالى الم ذلك الكتاب حمل
على الاختصار مبالغة وتنزيلا لجود غير حاتم وشجاعة غير خالد وكون غير

غيره القرآن كانها بمنزلة العدم لحجاب اعتبارية واما الحالة المقتضية
لكونه جملة فهي اذا اريد تقوي الحكم بنفس التركيب كقولك انا عرفت
وانت عرفت وهو عرف كما سياتيك تقرير هذا المعنى وقولك بكر يشكرك
ان تعطه او بكر ان تعطه يشكرك لما عرفت ان الجملة الشرطية ليست
الا جملة خبرية مقيدة بقيد مخصوص وكقولك خالد في الدار واذا
كان المسند سببيا وهو ان يكون مفهومه مع الحكم عليه بالثبوت لما هو
مبني عليه او بالانتفاء عنه مطلوب التعليق بغير ما هو مبني عليه تعليق
اثبات له بنوع ما او نفي عنه بنوع ما كقولك زيد ابوه انطلق او منطلق
والبر الكر منه بستين او يكون المسند فعلا يستدعي الاسناد سببا
ما بعده بالاثبات او بالنفي فيطلب تعليقه على ما قبله بنوع اثبات او
نفي لكون ما بعده سببا لما قبله نحو عمرو ضرب اخوه او شبهه متصلا بالفعل
نحو زيد ضارب اخوه او مضروب او كريم ليس نطلعك عليه وما ذكرت لك
اذا تحققت مضمونه اغنيك عن وجه حكم النحويين لا بد في الجملة الواقعة

خبراً من ذلك من جملة المسند اليه لفظاً او تقديراً واعترض عليه
ان الجملة بعد ضمير الشان في نحو هو زيد منطلق او انه زيد منطلق مستثناة
عن هذا الحكم لكونها نفس المخبر عنه واعترض على وجه نيابة
تعريف الجنس عن الضمير في نعم الرجل زيد على قول من يرى
المخصوص مبتدأ ونعم الرجل خبره ونيابة العموم عنه في مثل ان
الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا و
اما الحالة المقتضية لكون الجملة فعلية فهي اذا كان المراد تجدد
كقولك زيد انطلق او ينطلق فالفعل موضوع لافادة التجدد وحلول
الزمان الذي من شانه التغير فهو موصوف بذلك واما الحالة المقتضية
لكونها اسمية فهي اذا كان المراد خلاف التجدد كقولك زيد ابوه منطلق
فلا يسم ان دل على الحصول بدل عليه الا بالعرض ومما نسمع من تفاوت
الجملتين الفعلية والاسمية تجدداً وثبوتاً ما هو يطلعك على انه حين
ادعى المنافقون الايمان بقولهم آمنا بالله وباليوم الآخر جاءوا به جملة

جملة فعلية على معنى احدثنا الدخول في الايمان واعرضنا عن الكفر
ليروج ذلك عنهم كيف طبق المفصل في رد دعواهم الكاذبة بقوله وما
هم بمؤمنين حيث جيء به جملة اسمية ومع الباء وعلى تفاوت كلام
المنافقين مع المؤمنين ومع شياطينهم مما حكاه جل وعلا عنهم وهو
واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا
معكم نفاها وتلك جملة فعلية وهي آمنا وتلك اسمية ومع إن وهي انا معكم
كيف اصاب شاكلة الرمي وعلى ان ابرهيم حين اجاب الملائكة عليهم
الصلوة والسلام عن قولهم له سلاماً بالنصب بقوله سلام بالرفع كيف
كان عاملا بالذي يتلى عليك في القرآن من قوله واذا حييتم بتحية فحيوا
باحسن منها واما الحالة المقتضية لكونها شرطية فستقف عليها في
موضعها واما الحالة المقتضية لكونها ظرفية فهي اذا كان المراد اختصار
الفعلية كقولك زيد في الدار بدل استقر او حصل في الدار على اقوى
الاحتمالين على ما تقدم ويظهر لك من هذا ان مرجع الجمل الاربع الى اثنتين

اسمية وفعلية واما الحالة المقتضية لتاخير المسند فهي متى كان ذكر
المسند اليه اهم كما مضى في المسند اليه واياك ان تظن يكون الحكم
على المسند اليه مطلوبا استيجاب صدر الكلام له فليس هو هناك فلا
تغفل واما الحالة المقتضية لتقديمه فهي ان يكون متضمنا للاستفهام
كنحو كيف زيد واين عمرو ومتى الجواب في القانون الثاني موضع تقريره
او ان يكون المراد تخصيصه بالمسند اليه كقوله تعالى لكم دينكم ولي
دين وقولك لمن يقول زيد اما قائم واما قاعد فيردده بين القيام والقعود
من غير ان يخصصه باحدهما قائم هو وقولهم تميمي انا وارد على هذا و
سيأتيك في هذا المعنى في فصل القصر كلام او ان يكون المراد التنبيه
على انه خبر لا نعت كقولها له همم لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى
اجل من الدهر وقوله لاتي سرج وعلى ابيه حجج وقوله
لها حلق ضيق لها ان وضبنه فؤادك لم يخطر بقلبك هاجس
وقوله لكل جديد لذة غير انني وجدت جديد الموت غير لذيذ و

49

وقوله عند الملوك مضرة ومنافع وارى البرامك لا تضر وتنفع
وقولها اغر ابلج تاتم الهداة به كانه علم في راسه نار وقوله تعالى
ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين وما شاكل ذلك فان النعت
لا يتقدم على المنعوت ولذلك يقال جاءني راكبا رجل وانما تصار على
هذا التنبيه لان الظرف بتاخره عن المنكر يكون بالحمل على الوصف
اولى منه بالحمل على الخبر لامرين يتعاضدان في ذلك استدعاء
المنكر في مقام الابتداء ان يوصف ليتقوى بذلك فان الحكم كما سبق في
الفن الثاني وصلاحية الظرف ان يكون من صفاته ولذلك يجب
تقدم الظرف على المنكر اذا كان موصوفا قال تعالى واجل مسمى عنده
وان هذا التقدم ملتزم مع مبتدأ غير مصدر اما مع المصدر كنحو سلام
عليك وويل لك فرقا بين طرفيه حتى في التاخير عن مبتدأيه ذلك
قبل صيرورته مبتدأ وذلك قولك سلاما عليك بالنصب منزلا منزلة
أسلم عليك مفيدا التجدد لذلك بين طرفيه لبس له ذلك او ان يكون

قلب السامع معقود به كقولك قد هلك عدوك لمن توقع ذلك
او لانه صالح للتفاؤل او لانه اهم عند القائل كما اذا قلت عليه
من الرحمن ما يستحقها وكقوله سلام الله عليك يا مطر عليها
وليس عليك يا مطر السلام وقوله وليس بمغن في المودة شافع
اذا لم يكن بين الضلوع شفيع او ان يكون المراد تقديمه نوع تشوق
الى ذكر المسند اليه كقوله ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس
الضحى وابو اسحق والقمر وقوله وكالنار الحياة فمن رماد اواخرها
واولها دخان وحق هذا الاعتبار تطويل الكلام في المسند والا
لم يحسن ذلك الحسن او يكون المراد بالجملة افادة التخصيص دون التقوي
فيجعل المسند فعلا ويقدم البتة على ما يسند اليه في الدرجة الاولى
وقولنا في الدرجة الاولى احتراز عن نحو انا عرفته انت عرفت وزيد
عرف فان الفعل فيه مسند لما بعده من الضمير ابتداء ثم بواسطة
عود ذلك الضمير الى ما قبله يسند اليه في الدرجة الثانية واذا سلكت به

هذه الطريقة سلكت باعتبارين مختلفين احدهما ان يجرى الكلام
على الظاهر وهو ان انا مبتدأ وعرفت خبره وكذلك انت عرفت
وهو عرف ولم يقدر تقديم وتأخير كما اذا قلت زيد عارف او زيد عرف
اللهم الا في اللفظ وثانيهما ان يقدر اصل النظم عرفت انا وعرفت
انت وعرف هو ثم يقال قدم انا وانت وهو فنظم الكلام بالاعتبار
الاول لا يفيد الا تقوي الحكم وسبب تقويه هو ان المبتدأ لكونه مبتدأ
يستدعي ان يسند اليه شيء فاذا جاء بعده ما يصلح ان يسند اليه
صرفه المبتدأ الى نفسه فينعقد بينهما حكم سواء كان خاليا عن ضمير
المبتدأ نحو زيد غلامك او كان متضمنا له نحو انا عرفته انت عرفت
وهو عرف او زيد عرف ثم اذا كان متضمنا لضميره صرفه ذلك الضمير
الى المبتدأ ثانيا فيكتسي الحكم قوة فاذا قلت هو يعطي الجزيل كان المراد
تحقيق اعطائه الجزيل عند السامع دون تخصيص اعطاء الجزيل به وعليه
قوله عز وعلا واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون

ليس المراد ان سنا، سواهم لا يخلق انما المراد تحقيق انهم يخلقون وقوله تعالى
ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين وقوله وحشر
لسليمان جنوده من الجن والانس فهم يوزعون وقوله واذا جاؤكم قالوا
امنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به وكذلك اذا قلت انت لا تكذب
كان اقوى للحكم بنفي الكذب عن المخاطب من قولك لا تكذب من غير
تشبيه ومن قولك لا تكذب انت فان انت هنا لتاكيد المحكوم عليه بنفي
الكذب عنه بانه هو لا غيره لا لتاكيد الحكم فتدبره وعليه قوله تعالى والذين هم
بربهم لا يشركون وقوله لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون وقوله
تعالى فعميت عليهم الانباء يومئذ فهم لا يتساءلون وقوله تعالى ان شر الدواب
عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون ويقرب من قبيل انا عرفت وانت
عرفت وهو عرف في اعتبار تقوى الحكم زيد عارف واما قلت يقرب
دون ان اقول نظيره لانه لا يتفاوت في الحكاية والخطاب في انا عارف
وانت عارف وهو عارف اشبه للخالي عن الضمير ولذلك لم يحكم على عارف بانه

بانه جملة ولا عومل معاملتها في البناء حيث لم يقل في نحو رجل عارف
رجلا عارفا فارجل عارف كاعرفه على النحو واتبعه في حكم الافراد
نحو زيد عارف ابوه وبالاعتبار الثاني يفيد التخصيص قال تعالى و
من اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم المراد لا يعلمهم
الا الله ولا يطلع على اسرارهم غيره لابطانهم الكفر في سويداوات قلوبهم
وسياتيك بيانه في فصل التقديم والتاخير ونظير قولنا انا عرفت
في اعتبار الابتداء لكن على سبيل القطع قولك زيدا عرفت وعرفته في
اعتبار التقديم زيدا عرفت الرفع يفيد تحقيق انك عرفت زيدا والنصب
يفيد انك خصصت زيدا بالعرفان واما زيدا عرفته فانت بالخيار
ان شئت قدرت المفسر قبل المنصوب على نحو عرفت زيدا عرفته
وحملته على باب التاكيد وان شئت قدرته بعده على نحو زيدا عرفت عرفته
وحملته على باب التخصيص واما نحو قوله تعالى واما ثمود فهديناهم فيمن
قراء بالنصب فليس المراد الا التخصيص لامتناع اما فهدينا ثمود

واما نحو زيد عرف ورجل عرف فليسا من قبيل هو عرف في احتمال
الاعتبارين على السواء بل حق المعرف حمله على وجه تقوي الحكم وحق
المنكر حمله على وجه التخصيص واما افتراق الحكم بين الصور الثلث
لانا اذا قلنا عرف معولا لكن هو فاعلا لما عرف في علم النحو ان ضمير
الفاعل لا ينفصل الا اذا جرى الفعل على غير ما هو له في موضع
الالباس او اذا تقدم عليه الا صوتا نحو ما ضرب الا هو او معنى نحو انما
يدافع عنك انا اذ المعنى لا يدافع عنك الا انا واذا لم يكن هو فاعلا احتمل
التقدم على الفعل فاذا قلنا هو عرف كان له ذلك الاحتمال مع احتمال
الابتداء لكونه في موضعه وكونه مع ذلك على شرطه في قوة القابل [illegible]
عنه وهو تعرفه واذا قلنا عرف زيد كان زيد مرفوعا بعرف لفعله [illegible]
واستمر النحويون الذين ظلوا وحينئذ لا يكون له احتمال التقدم على الفعل
كما سبق في علم النحو فلا يكون بقوة قولنا زيد عرف عند احتمال الابتداء
اللهم الا بذلك الوجه البعيد فلا يرتكب عند المعرف لكونه على شرط المبتدأ

المبتدأ وانما يرتكب عند المنكر لفوات الشرط اذ لم يمنع عن التخصيص
مانع كما اذا قلت رجل جاءني لصحة ان يراد الجائي رجل لا امرأة
انما السامع دون قولهم شر اهر ذا ناب لامتناع ان يراد المهر
لذي ناب شر لا خير اللهم الا اذا اطلت التخصيص على وجه آخر
وهو الافراد على تقدير رجل جاءني لا رجلان فانه محمل يصار اليه كثيرا
عند علماء هذا النوع وشر اهر ذا ناب لا شران لكن هذا الوجه
يكون نابيا عن مظان استعماله وقد صرح الائمة رحمهم الله بتخصيصه
حيث تأولوه بما اهر ذا ناب الا شر فالوجه تفظيع شان الشر
بتنكيره كما سبق فهو مخرج ولما عرفت من ان بناء الفعل على المبتدأ
اقوى للحكم تراهم اذا استعملوا لفظ المثل ولفظ الغير بطريق
الكناية نحو مثلك لا يبخل بمعنى انت لا تبخل وغيرك لا يجود بمعنى انت تجود من
غير ارادة التعريض بلفظي المثل والغير على انسان يقصدونهما له
يكادون يتركون تقديمهما لكونه اعون للمعنى المراد بهما اذ ذاك وتحقق هذا

فصل في علم البيان إن شاء الله تعالى، واعلم أن للفعل
ولما يتعلق به اعتبارات يجمعها راجعة إلى الترك والإثبات والإظهار
والإضمار والتقديم والتأخير فلا بد من التكلم هنالك ومن التكلم على الخصوص
في نفس اقتران الفعل بالقيود الشرطية فنقول أما الترك فلا يتوجه
إلى فاعله كما عرفت في علم النحو وإنما يتوجه إلى نفس الفعل أو إلى غير
الفاعل لكنه لم ينفع انتفاعا ظاهرا إلا في المفعول به كما ستقف عليه
أما الحالة المقتضية لترك الفعل فهي أن تنبو قرائن الأحوال عن
ذكره ويكون المطلوب هو الاختصار أو اتباع الاستعمال الوارد على
تركه كما إذا أردت ضرب المثل بقولهم الأحظية فلا ألية وبقولهم فلو
ذات سوار لطمتني أو غير ذلك مما هو مصبوب في هذا القالب أو
على ترك نظائره كما إذا قلت إن زيد جاء ولو عمرو ذهب وتلك القرائن
كثيرة فأنا أضبط لك منها هنا ما تستعين به على ما عسى يشذ عن
الضبط فأقول والله الموفق للصواب منها أن يكون مفسرا كقوله إن ذو لوثة

لانا، ولو ذات سوار لطمتني وهلا أبو كحر وإذا السماء انشقت
نحو أزيد ذهب به أو ذهب أخوه ونحو وإياي فارهبون كما سبق
تفصيله في علم النحو ومنها أن يكون هنالك حرف إضافة فإن حروف
الإضافة لوضعها على أن تفضي بمعاني الأفعال إلى الأسماء لا تنفك عن
الأفعال إلا أن دلالتها لا تتخطى الفعل المطلق فإذا أريد تفصيله احتيج
إلى دلالة أخرى ثم تتفاوت فتارة يكون الشروع فيه كما إذا قلت
عند الشروع في القراءة بسم الله فإنه يفيد أن المراد بسم الله أقرأ
أو عند الشروع في القيام أو القعود أو أي فعل كان فإنه يفيد ذلك
وتارة يكون الاقتران كقولك لمن أعرس بالرفاء والبنين أو لمن قدم من سفر
البكر أن تختار لك الاختيار فإنه يفيد بالرفاء أعرست وباليمن نوفي
وتارة تكون عموم الاستعمال كبحث في الدار أو في البلد أو كذا فإنه
لا يراد إلا معنى الحصول ويكون تارة غير ذلك من مقتضيات الأحوال
فقس ومنها أن يكون الكلام جوابا لسؤال واقع نحو أن تسمع مثل تكتب

القرآن في فتسأل من يكتبه فتقول زيد فيكون الحال مغنية عن
ذكر يكتب وعليه قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن
الله وقوله ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها
ليقولن الله او جوابا لسؤال مقدر مثل ان يقول يكتب في القرآن زيد
وعليه بيت الكتاب ليبك يزيد ضارع لخصومة وقراءة من قرأ يسبح له
فيها بالغدو والآصال رجال وكذلك يوحى اليك بناء الفعل للمفعول
في البيت وفي الآيتين ومن البناء على السؤال المقدر ارتفاع المخصوص
في باب نعم وبئس على احد القولين وهي ان تعرض في فصل الايجاز و
الاطناب لهذا الباب ان هذا التركيب متى وقع موقعه رفع شان الكلام
في باب البلاغة للصاحب يناطح السماك وموقعه ان يصل من يبلغ
عالم بجهات البلاغة بصير بمقتضيات الاحوال ساحر في افتنان الكلام
ماهر في افانين السحر ليبلغ مثله مطلع من كل تركيب على حاق معناه
وفصوص مستتبعاته فان جوهر الكلام البليغ مثله مثل الدرة الثمينة

لا ترى درجتها تعلو ولا قيمتها تغلو ولا تشترى بثمنها ولا تجري في مساق منها
على شبهها ما لم يكن المستخرج لها بصيرا بشأنها والراغب فيها خبيرا بمكانها وثمن
الكلام ان يوفى من ابلغ الاصغاء واحسن الاستماع حقه وان يتلقى من
القبول الحر والاهتزاز بالكل ما استحقه ولا يقع ذلك ما لم يكن السامع عالما بجهات
حسن الكلام ومعتقدا بان المتكلم تعمد تعليقه تركيبه للكلام من علم منه ولان
السامع اذا جهلها لم يميز بينه وبين ما دونه وربما انكره وكذلك اذا اساء السامع
بالمتكلم اعتقاده ربما نسبه في تركيبه ذلك الى الخطاء وانزل كلامه منزلة
ما يليق به من الدرجة النازلة ومما يشهد لك بهذا ما يروى عن علي عليه الصلوة
والسلام انه كان يشيع جنازة فقال له قائل من المتوفي بلفظ اسم الفاعل سائلا
عن المتوفى فلم يقل فلان بل قال الله تعالى ردا للكلام عليه مخطئا اياه منبها له بذلك
على انه كان يجب ان يقول من المتوفى بلفظ اسم المفعول ويقال ان هذا الواقع
كان احد الاسباب التي دعته الى استخراج علم النحو فامر ابا الاسود الدؤلي
بذلك فاخرجه فهو اول ائمة علم النحو رضوان الله على جميعهم وما فعل ذلك عليه السلام

الا انه عرف من السائل انه ما اورد لفظ المتوفى على الوجه الذي يكسوه
جزالة في المعنى وفخامة في لفظ المراد وهو وجه القراءة المنسوبة الى علي
والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا بلفظ بناء الفعل للفاعل من الارادة
يعني والذين يستوفون مدد اعمارهم واذ قد عرفت هذا فنقول في
التركيب الذي نحن فيه من مثل نكتب القرآن سيلا وقد يرفع زيد مع بناء
الفعل للمفعول جهات للحسن ومزايا نتلوها عليك لتكون لك ذريعة للادراك
ما سواها اذا تعززنا بها بصيرتك فمنها ان الكلام متى نسج على هذا المنوال
ناب مناب الجمل الثلث احدها نكتب القرآن سيلا والثانية الجملة المدلول عليها
بزيد وهي من يكتبه والثالثة زيد مع الرافع المقدر وهي يكتبه زيد علاوة اذا
قيل نكتب القرآن سيلا زيد بلفظ المبني للفاعل ولا شبهة ان الكلام متى كان
اجمع للفوائد كان ابلغ ومنها ان الكلام متى سيق هذا المساق كان واحد
من لفظي القراءة وزيد مقصودا اليه في الذكر غير مستغنى عنه علاوة في
التركيب الاخر فان لفظ القرآن فيه يعد فضلة والترتيب ظاهر ومنها ان الكلام

الكلام متى سلك هذا المسلك لم يكن انقى له مطمعا في ذكر الكاتب
فاذا اورد السامع فائدة ذكره كانت كمن تيسر له غنيمة من حيث
لا يحتسب علاوة في النظم الاخر ومنها ان الكلام على ذلك النظم يكون
كالمتناقض من حيث الظاهر لان كون القرآن مفعولا فضلة فيه
يكون مؤذنا بان مساس الحاجة اليه دون مساس الحاجة الى
الفاعل وكونه مقدما فيه على الفاعل يكون مؤذنا بالاعتناء بشانه
وان مساس الحاجة اليه فوق مساس الحاجة الى ما اخر خلافه
في هذا النظم فانه يكون سليما عن ذلك وفي هذا الوجه نظر يذكر
في الحواشي ومنها ان الكلام في التركيب الذي نحن فيه يفيد اسناد
الكتبة الى الفاعل اجمالا اولا وتفصيلا ثانيا وفي غيره يفيد اسنادها
اليه من وجه واحد فيكون هذا التركيب ابلغ ومن قبيل ما نحن بصدده
قوله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن فلله شركاء انما نفعوا جعلوا وانتصاب
الجن بفعل مضمر دل عليه السؤال المقدر وهو من جعلوا شركاء واما

الحالة المقتضية لاثبات الفعل فاشتمال المقام على جهة من جهات
الاستدعاء له والتلفظ به مما نبهت على امثالها غير مرة واما الحالة المقتضية
لترك مفعوله فهي القصد الى التعميم والامتناع عن ان يقصر السامع على
ما يذكر معه دون غيره مع الاختصار وانه احد انواع سحر الكلام حيث
يتوصل بتقليل اللفظ الى تكثير المعنى كقولهم في باب المبالغة فلان يعطي
ويمنع ويصل ويقطع ويبني ويهدم ويغني ويفقر وقوله عز وعلا والله يدعو
الى دار السلام او القصد الى نفس الفعل بتنزيل المتعدي منزلة اللازم
ذهابا في نحو فلان يعطي الى معنى يفعل الاعطاء ويوجد هذه الحقيقة ايهاما
للمبالغة بالطريق المذكور في افادة اللام للاستغراق وعليه قوله عز وعلا
فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون المعنى وانتم من اهل العلم والمعرفة او
القصد الى مجرد الاختصار لنيابة قرائن الاحوال عن ذكره كقوله عز وعلا
اهذا الذي بعث الله رسولا اذ لا يلتبس ان المراد اهذا الذي بعثه الله
لاستدعاء الموصول الراجع اليه من الصلة وقوله ارني انظر اليك لاتضاح

ان المراد ارني ذاتك وقوله ولما ورد ماء مدين وجد عليه امة من الناس
يسقون ووجد من دونهم امراتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي
حتى يصدر الرعاء لانصباب الكلام الى ارادة يسقون مواشيهم وتذودان
غنمهما ولا نسقي حتى يصدر الرعاء لانصباب الكلام مواشيهم وقوله ولو شاء
لهديكم لظهور ان معناه لهديكم وذلك ان نظم قوله فلا تجعلوا لله اندادا
وانتم تعلمون في هذا السلك على تقدير وانتم تعلمون انه لا يماثل او وانتم تعلمون
ما بينه وبينها من التفاوت او وانتم تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله كقوله
هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء واكثر فواصل القرآن من
نحو يعلمون يعقلون يفقهون وارد على ما سمعت من الاحتمالين وقول
الشاعر: اذا شاء طالع مسجورة * يرى حولها النبع والساسما وقوله فان شئت
لم ترقل وان شئت ارقلت * مخافة ملوي من القد محصد وقوله
لو شئت عدت بلاد نجد عودة * فحللت بين عقيقه وزروده
او الرعاية على الفاصلة كقوله والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى

او استهجان ذكره كقول عائشة رضي الله عنها ما رأيت منه ولا رأى مني
تعني العورة او القصد الى اعتبار غير ذلك من الاعتبارات المناسبة
للترك واما الحالة المقتضية لاثباته فهي كون المقام مقام ذكره او القصد
الى زيادة تقرير وبسط الكلام بذكره او الرد على الغافل كقوله في الشمس
وضحيها والقمر اذا تلاها وما شاكل ذلك من الجهات المعتبرة في
باب الاثبات واما الحالة المقتضية لاضمار فاعله فهي كون المقام
حكاية او خطابا كقولك عرفت وعرفت او كون العامل مسبوقا
بالذكر كقولك جاءني رجل وطلب مني كذا او في حكم المسبوق به
كنحو قوله في مطلع القصيدة زارت عليها للظلام رواق ومن
النجوم قلائد ونطاق وقوله في الافتتاح قالت ولم تقصد لقيل الخنا
مهلا لقد ابلغت اسماعي واما الحالة المقتضية لكونه مظهرا فهي كون المقام
غير ما ذكر او كونه مسندا عنه بالتعيين والتمييز كقولك جاءني رجل
فقال ذلك الرجل كذا او مستغنيا لا لتعين كقول الخلفاء يرسم امير المؤمنين كذا

كذا مكان ارسم كذا واما اعتبار التقديم والتأخير مع الفعل فعلى ثلاثة انواع
احدها ان يقع بين الفعل وبين ما هو فاعل معنى كنحو انا عرفت وانت
عرفت وهو عرف ودون زيد عرف وثانيها ان تقع بينه وبين غيره وذلك
كنحو زيدا عرفت ودرهما اعطيت وعمرا منطلقا علمت وثالثها ان يقع
بين ما يتصل به كنحو عرف زيد عمرا وعرف عمرا زيد وعلمت زيدا منطلقا
وعلمت منطلقا زيدا وكسوت عمرا جبة وجبة عمرا ولكل من ذلك حالة
تقتضيه فالحالة المقتضية للنوع الاول هي ان يكون هناك وجود فعل
وعالم به لكنه مخطئ في فاعله او في تفصيله وانت تقصد ان ترده الى
الصواب كما تقول انا سعيت في حاجتك انا كفيت مهمك تريد دعوى
الانفراد بذلك وتزيل الاستبداد به وترد على من زعم ان ذلك كان
من غيرك وان غيرك فعل فيه ما فعلت ولذلك اذا اردت التأكيد قلت
للزاعم في الوجه الاول انا كفيت مهمك لا عمرو او لا غيري وفي الوجه الثاني
انا كفيت مهمك وحدي وقولهم في المثل اتعلمني بضب انا حرشته

على ما ذكر عند من له ذوق لسن اذا قلت سعيت في حاجتك او سعيت

انا في حاجتك يجب ان يكون ان عند السامع وجود سعي في حاجته

قد وقع خطاء منه في وجهه او تفصيله فتقصد ازالة الخطاء بل

اذا قلت ابتداء مفيدا اياه وجود السعي في حاجته سل فقد شجر

تجوز او سهو او نسيان صح ومنه ما حكيه على كلمته عن قوم شعيب

وما انت علينا بعزيز اي العزيز علينا يا شعيب رهطك لا انت لكونهم

من اهل ديننا ولذلك قال عليه السلام في جوابهم ارهطي اعز عليكم

من الله اي من نبي الله ولو انهم كانوا قالوا وما عززت علينا لم يصح هذا

الجواب ولا طابق ولذلك ينبغي ان يقال في النفي عند التقديم ما انا سعيت

في حاجتك ولا احد سواي لاستلزام ان يكون سعي في حاجته غيرك

لا انت وان لم يكون سعي في حاجته غيرك لا انت ولا ينبغي ان يقال

ما سعيت في حاجتك ولا احد غيري وكذلك اذا اكدت فقلت ما سعيت

انا في حاجتك ولا احد غيري ولذلك ايضا يستهجن ان يقال ما

في النفي عند التقديم ما انا رايت احدا من الناس لاستلزامه ان يكون

قد اعتقد بل معتقد انك رايت كل احد في الدنيا فنفيت ان يكون

اياه ولم يستقم ان يقال ما رايت احدا من الناس او ما رايت

انا احدا من الناس ويحترز عن ان يقال عند التقديم ما انا ضربت

الا زيدا لان نقض النفي بالا يقتضي ان تكون ضربت زيدا وتقدمك

ضميرك وايلاؤه حرف النفي يقتضي نفي ان تكون ضربته ويحترز عن

ان يقال ما ضربت الا زيدا وما ضربت انا الا زيدا والحالة المقتضية

للنوع الثاني ان يكون هناك من اعتقد انك عرفت انسانا واصاب

لكن اخطا فاعتقد ذلك الانسان غير زيد وانت تقصد رده الى

الصواب فتقول زيدا عرفت واذا قصدت التاكيد والتقرير قلت

زيدا عرفت لا غيره ولذلك لا يقال ما زيدا ضربت ولا احدا من الناس

لان تقول ما انا ضربت زيدا ولا احدا غيري والنهي الواقع مقصور على

الحالة المذكورة اما اذا المقربك القائل ظنا فاسدا انك تعتقد فضرب عمرا

او انك تعتقد كون زيد مضروبا لكن تشك في انه منك او من غيرك فيقال لك في المثال الاول

زيدا ضربت وفي الثانية انا ضربت زيدا اصح مثل ان نقول ما زيدا ضربت

ولا احدا من الناس او ما انت ضربت زيدا ولا احد غيرك فتامل فالفرق

واضح ولذلك امتنعوا ان يقال ما زيدا ضربت ولكن اكرمته فيعقب الفعل

المنفي باثبات فعل هو ضده لان مبنى الكلام ليس على ان الخطا وقع في

الضرب فترده الى الصواب في الاكرام وانما مبناه على ان الخطا وقع في

المضروب حين اعتقد زيدا فرده الى الصواب ان تقول ولكن عمرا

وكذلك اذا قلت بزيد مررت افاد ان سامعك كان يعتقد مرورك

بغير زيد فازلت عنه الخطا مخصصا مرورك بزيد دون غيره والتخصيص

لازم للتقديم ولذلك تسمع ائمة علم المعاني في معنى اياك نعبد واياك نستعين

يقولون نخصك بالعبادة لا نعبد غيرك ونخصك بالاستعانة منك لا نستعين

احدا سواك وفي معنى ان كنتم اياه تعبدون يقولون ان كنتم تخصونه بالعبادة وفي

معنى قوله وبالآخرة هم يوقنون يذهبون الى انه تعريض بان الآخرة التي عليها

عليها اهل الكتاب فيما يقولون انه لا يدخل الجنة الا من كان هودا

او نصارى وانه لا تمسهم النار الا اياما معدودات وان اهل الجنة

فيها لا يتلذذون في الجنة الا بالنسيم والارواح العبقة والسماع اللذيذ

ليست بالآخرة وايقانهم بمثلها ليس من الايقان بالتي هي الآخرة عند

الله في شيء وستعرف التعريض في علم البيان وفي قوله لتكونوا شهداء

على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا يقولون اخرت صلة الشهادة

اولا وقدمت ثانيا لان الغرض في الاول اثبات شهادتهم على الامم وفي

الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم وفي قوله لالى الله تحشرون

يقولون اليه لا الى غيره وترى في قوله وارسلناك للناس رسولا يحملون

تعريف الناس على الاستغراق ويقولون الى جميع الناس رسولا من العرب

والعجم لا للعرب وحدهم دون ان يحملوه على تعريف العهد او تعريف الجنس لئلا

يلزم من الاول اختصاصه ببعض الانس لوقوعه في مقابلة كلهم ومن

الثاني اختصاصه بالانس دون الجن ولافادة التقديم عندهم التخصيص

ترام يقرعون على التقديم ما يقرعون على نفس التخصيص فلا اذا قيل ما
ضربت الا اخوك فيذهبون بلا انه ينبغي ان يكون ضاربا للا صغر بدليل
للخطاب يذهبون ايضا اذا قيل ما زيدا ضربت بلا انه ينبغي ان يكون
ضاربا للانسان سواه ولذلك يستقبحون ان يقال ما ضربت زيدا ولا احدا
من الناس وتسمعهم في قوله تعالى لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون يقولون
قدم الظرف تعريضا بخمور الدنيا وان المعنى على الخصوص لا تغتال
العقول اغتيال خمور الدنيا ويقولون في قوله تعالى الم ذلك الكتاب
لا ريب فيه يمتنع تقديم الظرف على اسم لا لانه اذا قدم افاد تخصيص نفي
الريب بالقرآن ويجيء دليل خطابه على ان ريبا في سائر كتب الله تعالى وعلى هذا
متى قلت اذا خلوت قرأت القرآن افاد تقديم الظرف اختصاص قراءتك
بوقت الخلوة لا اقرأ الا اذا خلوت فافهم واما لزوم التقديم استغراقه
للحكم ثبوتا ونفيا حتى قامت الجملة في نحو ما ضربت زيدا مقام ضربت زيدا
ولم يضربه غيري وفي نحو ما زيدا ضربت مقام ما ضربت زيدا وضربت غيره وفي

نحو اذا خلوت قرأت القرآن مقام اقرأ القرآن اذا خلوت ولا اقرأ
اذا لم اخل لما عرفت ان حالة التقديم هو ان ترى سامعك يعتقد وقوع
فعل وهو مصيب في ذلك لكنه مخطئ في الفاعل او المفعول او غير
ذلك من متعلقات الفعل وانت تقصد رده الى الصواب فاذا نفيت
من كان اعتقده من الفاعل او المفعول استدعى المقام غير ذلك
فيجتمع لذلك تشبيك للنفي مع الاثبات لا سواه واذا اثبت غير من كان
اعتقده استدعى المقام نفي من اعتقده لكونه خطأ فيجتمع اثباتك للمثبت
مع النفي للمنفي وتفيد التقديم في جميع ذلك وراء ما سمعت نوع اهتمام
لشان المقدم فعلى المؤمن في نحو بسم الله اذا اراد تقدير الفعل معه ان
يؤخر الفعل على نحو بسم الله اقرأ او اكتب فان قلت فقال اقرأ
باسم ربك مقدم الفعل على المفعول وان كلام الله احق برعاية ما يجب
رعايته فالوجه فيه عندي ان يحمل اقرأ على معنى افعل القراءة واوجدها
على نحو ما تقدم في قولهم فلان يعطي ويمنع في احد الوجهين غير معدى به

مفترق به وان يكون مفعول اراد الذي يعمل وللحالة المقتضية للنوع
الثالث هي كون العناية بما تقدم اتم وايراده في الذكر اهم والعناية
التامة بتقديم ما يقدم والاهتمام بشانه لنوعين احدهما ان يكون اصل الكلام
في ذلك هو التقديم ولا يكون في مقتضى الحال ما يدعو الى العدول عنه كالمبتدا
المعرّف فان اصله التقديم على الخبر نحو زيد عارف وكذي الحال المعرّف فاصله
التقديم على الحال نحو جاء زيد راكبا وكالعامل فاصله التقديم على معموله
نحو عرف زيد عمرا وكان زيد عارفا وان زيدا عارف ومن زيد غلام عمرو
وكالفاعل فاصله التقديم على المفعولات وما يشبهها من الحال والتمييز نحو ضرب
زيد الجاني بالسوط يوم الجمعة امام بكر ضربا شديدا تاديبا له ممتليا من الغضب
[illegible] وكالذي يكون في حكم المبتدا من مفعولي باب علمت
نحو علمت زيدا منطلقا او في حكم فاعل من مفعولي باب اعطيت وكسوت
نحو اعطيت زيدا درهما وكسوت عمرا جبة فزيد عاط وعمرو مكتس فحقهما التقديم
على غيرهما وكالمفعول المتعدي اليه بغير واسطة فاصله التقديم على المتعدي

اليه بواسطة نحو ضربت الجاني بالسوط وكالتوابع فاصلها ان تذكر بعد
المتبوع فلا تقدم عليها متبوعها نحو جاء زيد الطويل راكبا وعرفت انا زيدا وكذلك
عرفت انا وفلان زيدا وغير ذلك مما عرف له في علم النحو موضع من الكلام
يوصف بالاصالة بالاطلاق وثانيهما ان تكون العناية بتقديمه والاهتمام
بشانه لكونه في نفسه نصب عينك وان التفات الخاطر اليه في التزايد كالذي
اذا اوى فناء المحب وجه من دخل في خلسته وقيل ما الذي تتمنى تقول
وجه الحبيب اتمنى فتقدم او لا تجد له اذا اراك احد عرفت شركا لله
يفي شعرك فتقول لله شركاء وعليه قوله تعالى وجعلوا لله شركاء
لعارض يورثه ذلك كما اذا اخذت في الحديث وتوهمت لقرائن
الاحوال ممن انت معه في الحديث ملتفت الخاطر لما يعني ينتظر
من مساقك للحديث الماثل به فيبرز ذلك المعنى عندك في معرض امر
يتجدد في شانه التقاضي ساعة فساعة ولا تجد له مجالا في الذكر صالحا
لم يتوقف ان تذكره مثل ما قد تقول لصاحبك اعجبني المسالة الفلانية

من كمالك وتأخذنه في كيت وذيت وله كتاب آخر فيه مسائل فخذ ش
ان كتابه الآخر واقع الآن في ذهنه كالمنتظر هل تورده في الذكر
فتقول وأجيء من كمالك الآخر المسألة الفلانية فتقدم المجرور على المرفوع
اوكما اذا وعدت بما انت تستبعد وقوعه فانك حال التفات خاطرك
الى وقوعه من جهة تبعده ومن جهة اخرى ادخل في تبعيد تجد تفاوتا
في انكارك اياه ضعفا وقوة بالنسبة ولامتناع انكاره بدون القصد اليه
يستتبع تفاوته ذاك تفاوتا في القصد اليه والاعتناء بذكره فانت في
الاول اذا انكرت اوجبت البلاغة ان تقول شيء حاله في البعد من
الوقوع هذه لست بمؤمن لقد وعدت انا هذا وجدي هذا ان هو الا
من اختراعات الموهمة واصحاب التلبيس فتذكر المنكر بعد المرفوع
في موضعه من الكلام وان تقول في الثاني شيء حاله في البعد من الوقوع مثل
هذه الغاية على من يروج لقد وعدت هذا انا وابي وجدي فتقدم المنكر على
المرفوع اوكما اذا عرفت في التأخير مانعا مثل الذي في قولك رايت الجماعة

الجماعة من مجيئك التي نأت ثم دنت اذا اقتصدت من مجيئك افاد ان الجماعة
المرتبة جماعة من مجيئك من غير شبهة وهو مرادك فاذا اخرت اورث
الاشتباه لاحتمال ان يكون من مجيئك صلة دنت او مثل الذي في قولك
الحمد لله الذي بعث بالحق عيسى وايد بهرون موسى اذا اخرت المجرور بطل
السجع ولهذا العارض مناشئ تتفاوت جلاء وخفاء للطيفا والطف للخواص
في مضمارها شبان فمن ضليع لا يشق غباره ومن ظالع لا يؤنس عثاره و
ليس السبق هناك بمجرد الكد بل الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله
در امر التنزيل في احاطته على لطائف الاعتبارات في ايراد المعنى على
انحاء مختلفة بحسب مقتضيات الاحوال لا ترى شيئا منها يراعى في كلام
من وجه الا عثرت عليه مراعى فيه من الطف الوجوه وانا الق اليك من
القرآن عدة امثلة مما نحن فيه لتستضيء بها فما عسى يظلم عليك من نظائرها
اذا احببت ان تعدها شارح نظرك منها آن قال عز من قائل في
صورة القصص في قصة موسى وجاء رجل من اقصى المدينة فذكر المجرور

بعد الفاعل وهو موضعه وقال في يس في قصة رسل عيسى وجاء من اقصى
المدينة رجل فقدم لما اهتم ببيان ذلك انه حين اخذ في قصة الرسل اشتمل
الكلام على سوء معاملة اصحاب القرية الرسل وانهم اصروا على تكذيبهم وانهمكوا
في غوايتهم مستمرين فكان مظنة ان يلقى السامع على مجرى العادة تلك
القرية قائلا ما انكرها قرية وما اسوءها منبتا ويبقى مجيلا في فكره اكانت
تلك المدرة كلها كذلك ام كان هناك قطر دان او قاص منبت خير
منتظرا المشتاق للحديث هل يلم بذكره فكان لهذا العارض مهما فكان
موضع له صالح ذكره بخلاف قصة موسى ومنها ان قال في سورة
المؤمنين لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا فذكر بعد المرفوع وما تبعه المفعول
وهو موضعه وقال في سورة النمل لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا
فقدم لكونه فيها اهم يدلك على ذلك ان الذي قبل هذه الآية ائذا كنا ترابا
وآباؤنا والذي قبل الاولى ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما فالجهة المنظور
فيها هناك هي كون انفسهم ترابا وعظاما والجهة المنظور فيها ههنا هي كون

كون انفسهم وكون آبائهم ترابا لاجزاء هناك من بناهم على صورة نفسه
ولا شبهة انها ادخل عندهم في تبعيد البعث فاستلزم زيادة الاعتناء
بالقصد لذكره فصير هذا العارض اهم ومنها ان قال في موضع
من سورة المؤمنين فقال الملأ الذين كفروا من قومه فذكر المجرور
بعد صفة الملأ وهو موضعه كما تعرف وفي موضع آخر منها
وقال الملأ من قومه الذين كفروا فقدم المجرور لعارض صيره
بالتقديم اولى وهو انه لو اخر عن الوصف وانت تعلم ان تمام الوصف
تمام ما يدخل في صلة الموصول وتمامه واترفناهم في الحيوة الدنيا
لاحتمل ان يكون من صلة الدنيا واشتبه الامر في القائلين اهم من
قومه ام لا ومنها ان قال في سورة طه آمنا برب هرون وموسى
وفي سورة الشعراء رب موسى وهرون للمحافظة على الفاصلة
ولنقتصر من الامثلة على ما ذكر فما كان الغرض الا مجرد التنبيه دون
التتبع لنظائرها في القرآن وتفصيل القول فيها خارج عن الكلام بالجمع

٤٣

قوله بتلك بوده حتى انه لكن ودادتهم للكفر من الشبهة والاحتمال ما كان في الجهاد العداوة والقتل ولما ضعف امر الشبهة والاحتمال نتجت الودادة نزل منزلة المحقق فاخرج على صورة الماضي المؤذن بالتحقق لما ذكرنا لكونه مترلها منزلة شبهة في تحقيقه تضعف امر الاحتمال فلعله ما يطرد لكان لو كان قوله وددوا معطوفا على الجزاء وهو ممنوع لجواز ان يكون معطوفا على الجملة الشرطية التي هي جملة خبرية لا على الجزاء وحده وكيف يكون معطوفا على الجزاء ويحمل ودادتهم للكفر امر محقق في سوابقات فلو هم محقق فلا معنى لتعلقه بالشرط الذي هو ان يثقفوكم

ما وقفت اذناك من التفاصيل في هذه الانواع الثلثة من فصل التقدم والتاخير هو مقتضى الظاهر فيها وقد عرفت فيما سبق ان اخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر طريق للبلغاء يسلك كثيرا بتنزيل نوع مكان نوع باعتبار من الاعتبارات فليكن على ذكر منك واما التعلقات المتفيية لتقييد الفعل بالشروط المتعلقة كأن وان ماذا واذا واذ ما وما ومتى ومتى ما وان واينما وحيثما ومن وما ومهما فان هو آت فكذلك فالذي يكشف عنها القناع وقوفك على ما بين هذه الكلم من التفاصيل اما هي للشرط في الاستقبال والاصل فيها الا تكون للجزم بوقوع الشرط كما تقول القائل ان تكرمني اكرمك وهو لا يعلم اتكرمه ام لا فاذا استعملت في مقام الجزم لم تخل عن نكتة وتلك اما التجاهل لاستدعاء المقام اياه واما ان المخاطب ليس بجازم كما تقول لمن يكذبك فيما انت تخبره ان صدقت فقل لي ماذا تفعل واما تنزيل المخاطب منزلة الجاهل لعدم جريه على موجب العلم كما قد يقول الاب لابن لا يراعي حقه افعل ما شئت ان لم اكن لك ابا كيف تراعي حقي وامتناع الجزم بتحقق المعلق ملفوظ حقيقة شبهة

شبهة قلنا بترك المضارع في مثل الكلام الى الماضي المؤذن بالتحقق نظرا الى لفظه لغير نكتة مثل ما ترى في قوله علت كلمته ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء ووددوا لو تكفرون ترك يودوا الى لفظ الماضي اذ لم يكن يحتمل ودادتهم لكفرهم من الشبهة ما كان يحتملها كونهم ان يثقفوهم اعداء لهم وباسطي الايدي والالسنة اليهم للقتل والشتم واذا للشرط في الاستقبال قال الله تعالى ثم اذا اذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون على نحو ان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون باد خال اذا في الجزاء والاصل فيها القطع بوقوع الشرط كما اذا قلت اذا طلعت الشمس فانى افعل كذا قطعا اما تحقيقا كما في المثال المضروب او باعتبار ما خطابية وقعوا النكتة في تغليب لفظ الماضي معه على المستقبل في الاستعمال لكون الماضي اقرب الى القطع من المستقبل في الجملة نظرا الى اللفظ قال الله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه بلفظ اذا في جانب الحسنة حيث اريدت الحسنة المطلقة لا نوع منها كما في قوله

النوع التغليب

وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وفي قوله ولئن أصابكم فضل
من الله ليقولن لكون حصول الحسنة المطلقة مقطوعا به لكثرة وقوعه وإنما
ولذلك عرفت ذهابا إلى كونها معهودة أو تعريف جنس والأول أقضى لحق
البلاغة وبلفظ إن في جانب السيئة مع تنكير السيئة إذ لا تقع إلا في الندرة
بالنسبة إلى الحسنة المطلقة ولا يقع شيء منها ولذلك قيل قد عددت أيام البلاء
فهل عددت أيام الرخاء ومنه وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم
سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون بلفظ إذا في جانب الرحمة وكان تنكير
وقصد النوع للنظر إلى لفظ الإذاقة فهو المطابق للبلاغة وأما قوله وإن
كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا وإن كنتم في ريب من البعث بلفظ إن مع المرتابين
فإما لقصد التوبيخ على الريبة لاشتمال المقام على ما يقلعها عن أصلها وتصوير
أن المقام لا يصلح إلا لمجرد الفرض للارتياب كما تفرض المحالات متى
تعلقت بفرضها أغراض كقوله تعالى ولو سمعوا ما استجابوا لكم والضمير في سمعوا
للأصنام وتبكيته أن يقال له إذا ارتبتم ومثله أفنضرب عنكم الذكر صفحا إن كنتم

قوما مسرفين فيمن قرأ إن بالكسر لقصد التوبيخ والتجهيل في ارتكاب
الإسراف وتصوير أن الإسراف من العاقل في مثل هذا المقام واجب
الانتفاء حقيق أن لا يكون ثبوته إلا على مجرد الفرض وفيه ما قد يقول
العامل عند التقاضي بالعمالة إذا اشتد التسويف وأخذ يترجم عن الحرمان
إن كنت لم أعمل فقولوا انقطع الطمع بتنزيلهم لتوهم أن يجوزوا منزلة من
لا يعتقد أنه عمل فيقول مجهلا إن اعتقدتم أني لم أعمل فقولوا ويلكم وإما
لتغليب غير المرتابين من خوطبوا على مرتابيهم وباب التغليب باب
واسع يجري في كل فن قال الله تعالى حكاية عن قوم شعيب لنخرجنك يا شعيب
والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا أدخل شعيب
في العود في ملتنا بحكم التغليب إذ ما كان شعيب في ملتهم كافرا مثلهم
فإن الأنبياء عليهم السلام معصومون أن تقع منهم صغيرة فيها نوع نفرة فما
بال الكفر وكذا قوله إن عدنا في ملتكم وقال الله تعالى إلا امرأته كانت
من الغابرين وفي موضع آخر وكانت من القانتين عدت الأنثى من الذكور

عكس التغليب وقال الله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس
عدّ ابليس من الملائكة عكس التغليب عدّ الانثى من الذكور ومن هذا الباب
قوله تعالى بل انتم قوم تجهلون بتاء الخطاب غلب جانب انتم على جانب قوم وكذا
وما ربك بغافل عما تعملون فيمن قرأ بتاء الخطاب اي انت يا محمد وجميع المكلفين
وغيرهم وكذا يذرؤكم في قوله جعل لكم من انفسكم ازواجا ومن الانعام ازواجا
يذرؤكم فيه خطابا شاملا للعقلاء والانعام مغلبا فيه المخاطبون على الغيب والعقلاء
على ما لا يعقل ومنه قولهم ابوان للاب والام والقمران للقمر والشمس والخافقان للمغرب
والمشرق واما قوله واذا مس الناس ضر بلفظ اذا مع الضر فللتوبيخ لا للفظ
المحقق ولما تنكير الضر المفيد في المقام التوبيخ القصد الى اليسير من الضر
ولما الناس المستحقين ان يلحقهم كل ضرر وللتنبيه على ان مساس قدر يسير من
الضر لامثال هؤلاء حقه ان يكون في حكم المقطوع به واما قوله واذا مسه
الشر فذو دعاء عريض بعد قوله واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى
بجانبه اي اعرض عن شكر الله تعالى وذهب بنفسه وتكبر وتعظم فالذي تقتضيه البلاغة

البلاغة ان يكون الضمير في مسه للمعرض المتكبر ويكون لفظ اذا للتنبيه
على ان مثله يحق ان يكون ابتلاؤه بالشر مقطوعا به وتعقيدا لموضع ان اذ
في اذا ما سلوب الدلالة على معناه الاصلي وهو المضي منقول بادخال
مثلها الدالة على الاستقبال وتفرق بين اذا واذا لمانية باب الشرط
من حيث المعنى الاولى للابهام في الاستقبال في متى لتعميم الاوقات في الاستقبال
ومنها اعم وأين لتعميم الامكنة والجهات وأينما اعم قال الله تعالى اينما تكونوا
يدرككم الموت وحيثما نظير اينما قال تعالى وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره
ومن لتعميم اولي العلم قال تعالى ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما
كثيرا وسعة وما لتعميم الاشياء قال تعالى وما تفعلوا من خير فان الله به عليم و
مهما اعم قال تعالى وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين و
وجهه اذا فقد الاصل ما ما لحاصره واي لتعميم ما يضاف اليه من ذوي العلم
وغيرهم وكيف لتعميم الاحوال الواقع فيها الشرط كما تقول كيف تقرأ اقرأ
اي على اي حال توجد القراءة من جهرها او همسها او غير ذلك اوجدها انا مثله

اما وان المطلوب بهذه المعاني تلك تفصيل لما اجمال مع الاحتراز
عن تطويل اما غير واف بالجمع او مثل الانزال في قولك من يأتني اكرمه
كيف تستغني عن التفصيل والتطويل في قولك ان يأتني زيد اكرمه وان
يأتني عمرو اكرمه وان يأتني خالد اكرمه مما لا عدد له تعدادا يستوعبه
ثم قام الاطلال قال ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك
هم الفائزون اي انما يطيع الله في فرائضه ورسوله في سننه ويخشى
الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل فقد حاز الفوز بحذافيره
واعلم ان الجزاء والشرط في غير لو لما كانا معلقا حصول امر بحصول ما
ليس بحاصل استلزم ذلك في جملتيهما استقبال الثبوت فامتنع ان تكونا
او احدهما وكذا امتناع المضي ان يكون الفعلان ماضيين او احدهما ونحو
من هذا ان يقال ان اكرمتني فانت مكرم ويقال ان اكرمتني وان اكرمتني
اكرمتك وان تكرمني اكرمتك ويقال ان تكرمني فانت مكرم ويقال اكرمتني الآن
فقد اكرمتك امس ما هو محتجب لكونه مضارعا معه لكون الالكين في نحو فاما

فاما بانكم متى عدتم واما تنشئتم في الحروب لا يصار اليه في بليغ الكلام الا
لنكتة مثل توخي ابراز غير الحاصل في معرض الحاصل اما لقوة الاسباب
المتأخذة في وقوعه كقولك ان اشترينا كان كذا حال انعقاد الاسباب في
ذلك واما لان ما هو للوقوع كالواقع نحو قولك ان مت وعليه ونادى اصحاب
الجنة ونادى اصحاب الاعراف وكذا انا فتحنا لك لما قبل فتح مكة وفي اقوال
المفسرين ههنا لكن واما للتعريض كما في لئن اتبعت اهواءهم لئن اشركت
فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات ونظيره في كونه تعريضا قوله وما لي
لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون المراد وما لكم لا تعبدون الذي فطركم
والمنبه عليه قوله واليه ترجعون ولولا التعريض لكان المناسب واليه ارجع
وكذا أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا
ولا ينقذون اني اذا لفي ضلال مبين المراد اتتخذون من دونه آلهة ان يردكم
الرحمن بضر لا تغن عنكم شفاعتهم شيئا ولا ينقذوكم انكم اذا لفي ضلال ولذلك
قيل اني آمنت بربكم دون بربي واتبعه فاسمعون ولا تعرف حسن موقع هذا ا

التعريض لهم اذا نظرت لما مقامه وتطلب اسماع الحق على وجه لا يورث
طالب دم المسمع مزيد غضب وهو ترك المواجهة بالتضليل والتصريح لهم بالنسبة
لما ارتكاب الباطل ومن هذا الاسلوب قوله تع قل لا تسألون عما اجرمنا
ولا نسأل عما تعملون والامر الذي يسبق من حيث الظاهر قل لا تسألون
عما عملنا ولا نسأل عما تجرمون وكذا ما قبله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين
وهذا النوع من الكلام يسمى المنصف اما للتفاؤل واما لاظهار الرغبة في وقوعه
كما تقول ان ظفرت بحسن العاقبة فذلك دعيه عليه ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء
ان اردن تحصنا وما شاكل ذلك من لطائف الاعتبارات وقوله دعه اهدنا في
الدعاء من هذا القبيل ومن هنا تنبه لنكتة تضمنها تفاوت الشرطين في
في جانبهم الحسنة ومستقبلا في نصيبهم سيئة وابراز المقدر في معرض
الملفوظ لانصباب الكلام الى معناه كما في قولك ان اكرمتني الآن فقد اكرمتك
امس مرادا به ان تعتد باكرامك اياي الآن فاعتد باكرامي اياك امس وقد قالوا لو
فيه كانت لتعليق ما امتنع بامتناع غيره على سبيل القطع كما تقول لو جئتني لاكرمتك

لو كمثل متعلقا متناع الكرامة ما امتنع من مجيء المخاطب امتنعت جملتاها
عن الثبوت ولزم ان تكونا فعليتين والفعل ماضيا واستلزم في مثل قوله
عز اسمه ولو ترى اذ وقفوا على النار ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم
عند ربهم تنزيل المستقبل لصدقه في سلك المقطوع به لصدوره عمن لا خلاف
في اخباره منزلة الماضي المعلوم في قولك لو ادرك ملى ... منزلة
ود في قوله تع ربما يود الذين كفروا في اسلوب اطرد في اصحابنا البصريين رحمهم الله
واستلزم في مثل قولك لو تحسن الي لشكرت القصد بتحسن الى قصد ان
احسانه مستمر لا يمتنع فيما مضى وقتا فوقتا على نحو قصد الاستمرار بخلافه
يستهزئ في قوله عز اسمه الله يستهزئ بهم بعد قوله قالوا انا معكم انما نحن
مستهزؤون ويكسبون في قوله فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون
وقوله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم وارد على هذا اي يمتنع عنتكم باستمرار
امتناعه عن طاعتكم وذلك ان ترد الغرض من لفظ من ويود ويحسن
لا استحضار صورة المجرمين ناكسي الرؤس قائلين لا يقولون وصورة الكافرين

موقوف عندهم متقاولين تلك المقالات واستحضار صورة ودادة
الكافرين لو اسلموا واستحضار صورة صنع الاحسان كما في قوله والله الذي
ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها
اذ قال فتثير استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية
من اثارة السحاب مسخرا بين السماء والارض متكونة في المرائي تارة عن
قزع متفرقة كانها قطع قطن منذوف ثم تنضام متقلبة بين الاطوار حتى يعود
ركاما فانه طريق للبلغاء لا يعدلون عنه اذا اقتضى المقام سلوكه او ما ترى
تأبط شرا في قوله، بأني قد لقيت الغول تهوي بسهب كالصحيفة صحصحان
فاضربها بلا دهش فخرت، صريعا لليدين وللجران، كيف سلكه في
فاضربها بلا دهش قصدا بان يصور لقومه الحالة التي تشجع فيها بزعمه على الغول
كأنه يبصرهم اياها ويطلعهم على كنهها ويتطلب منهم مشاهدتها تعجيبا من
جرأته على كل هول وثباته عند كل شدة وقوله سبحانه ان مثل عيسى عند الله
كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون دون كن فكان من هذا القبيل

القبيل واستلزم في مثل لو انتم تملكون حمله على تقدير لو تملكون تملكون
لفائدة التأكيد ثم حذف الفعل الاول اختصارا لدلالة ما بعده عليه فانفصل
بعد ذهاب الفعل منفصلا وامثال هذه اللطائف لا يتغلغل فيها
الا الاذهان الراضة من علماء المعاني ولمبنى علم المعاني على التتبع لتراكيب
الكلام واحدا فواحدا كما ترى وتطلب العثور على ما لكل منها من لطائف
النكت مفصلة لم يتم الاحاطة به الا لعلام الغيوب ولا يدخل كنه بلاغة
القرآن الا تحت علمه الشامل واعلم ان مستودعات فصول هذا الفن
لا تتضح الا باستبراء زناد خاطر وقاد ولا ينكشف اسرار جواهرها الا لبصيرة
ذي طبع نقاد ولا تنصاع ازمتها الابية بيد الفتى في حلبتها الا لمن اوتي هدى
باستفراغ طوق متوق افادوا سنيا بقيا بقوة ثم معونة ذوق مولع من لطائف
البلاغة بما يورثها القلوب شغفا باجتلائها وشنفا عليها افلاذ مصاقع الخطباء
حبابا بمجانبها متوسل بذلك الى ان يتأتى له وجه الاعجاز في التنزيل متنقلا
ما يعلمه عجز المتحدين به عند كل طامع جزر رب العزة والكبرياء في

المثوبة الحسنى والفوز عند يوم النشور بالذخر الأسنى **الفن الرابع**

من كونه في ذهنك لا يخل لرده مثلاً ولا الارتكاب بحمله جملة ان لبس تمنع من

مفهومي جملتين اتحاد بحكم الدارجي وارتباط لمعناها بالاخرى سيحكم الواحد

وان يباين احدهما الاخر مباينة الاجانب لانقطاع الوشايج بينهما من كل جانب

ولا تكونا بين بين لا صنعة رحم ما هنالك فيتوسط حالهما بين الاولين

والثاني لذلك ومدار الفصل والوصل وهو ترك العاطف وذكره على

هذه الجهات وكذا طي الجمل عن البين ولا طيها من انها لمحل البلاغة ومنتقد البصيرة

ومضمار النظار ومتفاضل الانظار ومعيار قدر الفهم ومسبار غور الخاطر

ومنجم صوابه وخطائه ومعجم جلائه وصدائه وهي التي اذا اطبقت فيها المفصل

شهدوا لك من البلاغة بالقدح المعلى وان لك في ابداع وشيها اليد الطولى

وهذا فصل له فضل احتياج الى تقرير واف وتحرير شاف اعلم ان تمييز موضع

العطف عن غير موضعه في الجمل كنحو ان تذكر معطوفاً بعضها على بعض تارة

ومتروكاً العطف بينها اخرى من الاصل في هذا الفن وانه نوعان نوع قرب

يقرب تعاطيه ونوع يبعد ذلك فيه فالقريب هو ان تقصد العطف بينهما

بغير الواو او بالواو بينهما لكن بشرط ان يكون للمعطوف عليها محل اعرابي

والسبب في ان قرب القريب بعد البعيد هو ان العطف في باب

البلاغة يعتمد معرفة اصول ثلثة احدها الموضع الصالح له من حيث

الوضع وثانيها فائدته وثالثها وجه كونه مقبولاً او مردوداً وانت اذا اتقنت

معاني الفاء وثم وحتى ولا وبل ولكن واو وام واما واي على ما حصلت

لك الثلثة لدلالة كل منها على معنى محصل مستتبع من الجمل بيناً مخصوصاً

مشتملاً على فائدته وكونه مقبولاً هناك وكذلك ان الاعراب صنفان لا غير

صنف لا يتبع وصنف يتبع وانت تعلم ان الصنف الثاني منحصر في تلك الانواع

الخمسة البدل والوصف والبيان والتاكيد واتباع الثاني الاول في الاعراب

بتوسط حرف فقد علمت كون المتبوع في نوع البدل في حكم المنحى والمفرغ عنه

لما تسمع ائمة النحو رحمهم الله يقولون البدل في حكم تنحية المبدل منه ويوقفون

بتصريح لك في قسمه الغلطي وعلمت في الوصف والبيان والتاكيد ان التابع فيها هو المتبوع

فالعالم في زيد العالم عندك ليس غير زيد وعمرو في اخوك عمرو عندي ليس

غير اخوك ونفسه في جاء خالد نفسه ليس غير خالد ثم رجعت فحققت

ان الواو يستدعي معناه ان لا يكون معطوفه هو المعطوف عليه لامتناع ان يقال

جاء زيد وزيد وان يكون زيد الثانية هو زيدا الاول حصل لك ان الصنف

الاول ليس موضعا للعطف باي حرف كان من حروف العطف لفوات شرط

العطف فيه وهو تقدم متبوع ولا بد يجب عليك ان نحو جاء زيد وعرفت قوما

وانا في خالد والكتاب ما جرى هذا المجرى غير مصيب وان نحو قوله عليه

السلام بلية ان يكون عدم النظير وان لا يسوغه لا لتبة التقدم والتاخير

واما نحو قوله عز سلطانه وانا فارصون فانما ساغ لكون المعطوف عليه

في حكم الملفوظ به لكونه مقتضيا اذ تقديره وانا فارصون على ما سبق التعريض لهذا

الفصل في علم النحو واما نحو قوله اوكلما عاهدوا انما ساغ لتقدم حرف الاستفهام المستدعي

فعلا مدلولا على معناه بقراين مساق الكلام وهو اكفروا بآيات الله وكلما عاهدوا

وحصل لك ايضا ان الانواع الاربعة من الصنف الثاني ليس واحد منها موضعا

موضعا للعطف بالواو اما لفوات شرط العطف حكما كما في البدل لنزول

ذلك سلب زيد ثوبه اذا عطفت فيه منزلة سلب ثوبه حكما واما لفوات

شرط معناه كما في الوصف والبيان والتاكيد اما موضعه النوع الخامس

واما نحو قوله عز اسمه وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم فالوجه فيه

عندي هو ان ولها كتاب معلوم حال لقرية لكونها في حكم الموصوفة نازلة

منزلة وما اهلكنا قرية من القرى لا وصف حمله على الوصف سهو لا خطاء

ولا عيب في السهو للانسان والسهو ما ينبه صاحبه بادنى تنبيه والخطاء ما لا ينبه

صاحبه او ينبه لكن بعد اتعاب ويزداد ما ذكرت وضوحا في اخر الفصل في

الكلام في الحال ثم اذا اتقنت ايضا ان كل واحد من وجوه الاعراب دال على

معنى كما تشهد لذلك قوانين علم النحو حصل لك فائدة الواو وهي مشاركة المعطوف

المعطوف عليه في ذلك المعنى فيكون عندك من الحصول الثلاثة اصلان معرفة

موضعه ومعرفة فائدته فاذا عرفت ان شرط كون العطف بالواو مقبولا هو ان

يكون بين المعطوف والمعطوف عليه جهة جامعة مثل ما تراه في الشمس والقمر

والسماء والارض والجن والانس كل ذلك محدث وسنفصل الكلام في محل الجملة
علانية في الخواتيم وسران الارتب وسورة الاخلاص والرجل النبيه من الفضلاء
ودين المجوس والف باذنجانة كلها محدثة بغير حاسة المكنسة والمحدثة كلها محدثة
حصلت لك الاصول الثلثة وان الامر من القرب فيها كالامن واما توسيط الواو
بين جمل لا محل للمعطوف عليها من الاعراب فانما يعد تعاطيه لكون الاصول الثلثة
في شأنه غير ممهدة لك وهو السر في ان دق مسلكه وبلغ من الغموض الى حيث
قصر بعض ائمة علم المعاني البلاغة على معرفة الفصل من الوصل وما قصرها عليه
لان الامر كذلك لكنا حاول بذلك التنبيه على مزيد غموض هذا الفن وان احدا
لم يتجاوز هذه العقبة من البلاغة الا كان خلف سائر عقباتها خلفه واعلم انك اذا
تأملت ما حققت لك في القرب الغالي قرب منك هذا الذي بعث لا يخفى عليك
ما ذكرناه في تنبيه وهو ان الجملة متى نزلت في الكلام المتكلم منزلة الجملة العارية
عن المعطوف عليها كما اذا اريد بها القطع عما قبلها واريد بها البدل عن سابقة عليها
لم يكن موضعا لدخول الواو وكذا متى نزلت من الاولى منزلة نفسها لكمال اتصالها

بها مثل ما اذا كانت موضحة لها ومبينة او مؤكدة لها ومقررة لم يكن موضعا لدخول
الواو وكذا متى لم يكن بينها وبين الاولى جهة جامعة لكمال انقطاعها عنها لم تكن ايضا
موضعا لدخول الواو وانما يكون موضعا لدخلها اذا توسطت بين كمال الاتصال
وبين كمال الانقطاع ولكل من هذه الانواع حالة تقتضيه فاذا طابق ورودها
تلك الاحوال وطبق المفصل هناك رقي الكلام من البلاغة عند اربابها الى درجة
يتناطح فيها السماك فلابد من تفصيل الكلام في تلك الحالات فنقول اما الحالة
المقتضية للقطع فهي نوعان احدهما ان يكون للكلام السابق حكم وانت لا تريد ان تشركه
الثاني في ذلك فيقطع ثم ان هذا القطع يلتمس له وجه الاحتياط وذلك اذا كان
يوجد قبل الكلام السابق كلام غير مشتمل على مانع من العطف عليه لكن المقام
مقام احتياط فيقطع لذلك واما على وجه الوجوب وذلك اذا كان لا يوجد ثانيهما
ان يكون الكلام السابق بفحواه كالمورد للسؤال فينزل ذلك منزلة الواقع ويطلب
بهذا الثاني وقوعه جوابا له فيقطع عن الكلام السابق لذلك وتنزيل السؤال بالفحوى
منزلة الواقع لا يصار اليه الا لجهات لطيفة اما لتنبيه السامع على موقعه او لاغنائه

ان يسال او لئلا يسمع منه شي او لئلا ينقطع كلامك بكلامه او للقصد الى تكثير المعنى بتقليل
اللفظ وهو تقدير السؤال وترك العاطف او غير ذلك مما ينخرط في هذا السلك وتسمى
النوع الاول قطعا والثاني استينافا واما الحالة المتضمنة للابدال فهي ان يكون
الكلام السابق غير واف بتمام المراد وايراده او كغير الوافي والمقام مقام اعتناء
بشانه اما لكونه مطلوبا في نفسه او لكونه غريبا او فظيعا او عجيبا او لطيفا او غير ذلك
مما له جهة استدعاء للاعتناء بشانه فيعيده المتكلم بنظم اوفى منه على نية استيناف القصد
الى المراد ليظهر مجموع القصدين في الاول والثاني اعني المبدل منه والبدل مزيد
الاعتناء بالشان واما الحالة المتضمنة للايضاح والتبيين فهي ان يكون بالكلام السابق
نوع خفاء والمقام مقام ازالة له واما الحالة المتضمنة للتاكيد والتقرير فظاهرة واما الحالة
المتضمنة لكمال الانقطاع ما بين الجملتين فهي ان تختلفا خبرا وطلبا مع تفصيل يعرف
في الحالة المتضمنة للتوسط او ان تتفقا خبرا فان لم يكن بينهما ما يجمعهما عند المفكرة جمعا
من جهة العقل او الوهم او الخيال والجامع العقلي هو ان يكون بينهما اتحاد في تصور مثل
الاتحاد في المخبر عنه او الخبر او في قيد من قيودهما او تماثل هناك فان العقل بتجريده المثلين

المثلين عن التشخص في الخارج يرفع التعدد عن البين او تضايف كالذي
بين العلة والمعلول والسبب والمسبب او السفل والعلو والاقل والاكثر
فالعقل يابى ان لا يجتمعا في الذهن وان العقل سلطان مطاع والوهمي هو ان
يكون بين تصوريهما شبه تماثل نحو ان يكون المخبر عنه في احداهما لون بياض
وفي الثانية لون صفرة فان الوهم يحتال في ان يبرزهما في معرض المثلين
ولم لكون الوهم من جبلة ترويج وله فعليك بقوله ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها
شمس الضحى وابو اسحق والقمر وقل لي ما الذي سواه حسن الجمع بين الشمس
وابي اسحق والقمر هذا التحسين او بقوله اذا لم يكن للمرء في الخلق مطمع
فذو التاج والسقاء والذر واحد خالف الملحمة في شان الجمع او تضاد كالسواد
والبياض والهمس والجهارة والطيب والنتن والحلاوة والحموضة والملاسة و
الخشونة وكالتحرك والسكون والقيام والقعود والذهاب والمجيء والاقرار و
الانكار والايمان والكفر وكالمتصفات بذلك من نحو الاسود والابيض والمؤمن
والكافر او شبه تضاد كالذي بين نحو السماء والارض والسهل والجبل والاول

والثاني فإن الوهم ينزّل المتضادين والشبيهين منزلة المتضايفين فيجتهد في
الجمع بينهما في الذهن ولذلك تجد الضد أقرب خطورا بالبال مع الضد والخيالي
هو أن يكون بين تصوريهما تقارن في الخيال سابق لأسباب مؤدية إلى ذلك
فإن جميع ما يثبت في الخيال مما يصل إليه من الخارج يثبت فيه على نحو ما يتأدى
إليه ويتكرر لديه ولذلك لما لم تكن الأسباب على وتيرة واحدة فيما بين معشر البشر
اختلف الحال في ثبوت الصور في الخيالات ترتيبا ووضوحا فكم من صور تتقارن في
خيال وهي في آخر ليست تتراءى وكم صورة لا تكاد تلوح في خيال وهي في غيره نار على علم
علم وإن أحببت أن تستوضح ما يلوح به إليك فحدّق إليه من جانب لتصارك تلق
كاتبا بتعديد قرطاس ومحبرة ونجارا بتعديد منشار وقدوم ومثقب وآخر ما يلابسون
وإذا كان من أصحاب العرف والرسم فلقّنه بذكر مسجد ومحراب وقنديل أو حمام
وإزار ومنشفة أو نحو ذلك مما يجمعها العرف والرسم فإنهم حيثما صادفتهم معدودا انك تجدها
وثق الثابت في خيالهم لا يستبعدون العد ولا يتفون له موقف نكير وإذا غيرته
إلى نحو محبرة ومنشار وقلم وقدوم ونحو مسجد ومنشفة وقنديل وحمام جاء الاستبداع

والاستنكار وهل تشبهات أولئك الرفعاء إلا وجه البدر الطالع عليهم فيما
يحكى تتلو عليك سورة عبس ما تلونا أو تحول لديك صورة فيما جلونا على أن صاحب
سلاح ملك وصاغا وصاحب بقر ومعلم صبية اتفق أن انتظمهم سلك طريق
وقد كان حمّل كلا منهم مركب الجد فيما أوردهم انتقاب الجهة بالإظلام سوى
الإغراء أن يطلعوا بأيديهم إلى أرواقهم خلف ذهابهم فلما استطاع الظلام أن لا يطووا
المسافة وقد نشر جناحه وأن يبلغوا عصامهم وقد تقدم رواته فقابلهم بعبوس
أنبتت من مزيد غيظهم وخوف ضلالهم فبيناهم في وحشة الظلماء وقد بلغ
السيل الزبى وغاساه تخشى الخبط وخوف الضلال وقد تجاوز الحزام الطبيين
آنسهم البدر الطالع بوجهه الكريم وأضاءت لهم أنواره كل مظلم بهيم فلم يتمالكوا
أن أقبل عليه كل منهم ينظم ثناءه ويمتدح سناءه ويجليه بأكرم ما يتلج خاطره
وإذا شبهه بأفضل ما في خزانة خيره فما شبهه السلاحي إلا بالترس
المذهب يرفع عند الملك ولا شبهه الصائغ إلا بالسبيكة من الإبريز تفتر عن
وجهها البوتقة ولا شبهه البقار إلا بالجبن له بيض يخرج من قالبه طريا وشبهه

المعلم الذي يعيف اجر يحيل اليه من بيت ذي مروة او التفاوف في الارادة لوصف
الكلام فما عليه الاصحاب عن الاوكار من ذوي الحرف المختلفة لوصف الجوهري
الكلام احسن الكلام ما ثقبته الفكرة ونظمته الفطنة وفصل جوهر معانيه في
سمط الفاظه فحلته نحور الرواة وقد وصف الصيرفي خير الكلام ما نقدته يد البصيرة
وجلته عين الروية ووزنته معيار الفصاحة فلا ينطق فيه بزائف ولا يسمع فيه بهرج
ووصف الصائغ خير الكلام ما احميته بكير الفكر وسبكته بمشاعل النظر وخلصته
من خبث الاطناب فبرز بروز الابريز مركبا في معنى وجيز ووصف الحداد
احسن الكلام ما نصبت عليه منفاخ الروية واشعلت فيه نار البصيرة ثم اخرجته
من فحم الافحام ورققته بمطيش الافهام ووصف الخمار ابلغ الكلام ما طبخته مراجل
العلم وضمنه دنان الحكمة وصفاه راووق الفهم فتمشت في المفاصل عذوبته
وفي الافكار رقته وفي العقل حدته ووصف البزاز احسن الكلام ما صدق رقم
الفاظه وحسن نسج معانيه فلم يستعجم عند نشره ولم يستبهم عند طيه ووصف الكحال
اصح الكلام ما سحقته منحاز الذكاء ونخلته حرير الفهم كان الرمد قذى العين كذلك

الشبهة قذى البصائر فاكحل عين اللكنة بميل البلاغة واجل رمص الغفلة
بمرود اليقظة او سلوك الطريق في وصف البليغ حين سلكه الجمال فالسلم البليغ
من اخذ بخطام كلامه فاناخه في مبرك المعنى ثم جعل الاختصار له عقالا والايجاز له
مجالا فلم يند عن الافهام ولم يشذ عن الاذان اما انشاد الوراق من حاله ما اخبر
عيشي اضيق من محبرة وجسمي ادق من مسطرة وجاهي ارق من الزجاج و
حظي اخفى من شق القلم وبدني اضعف من قصبة وطعامي امر من العفص
وشربي اشد سوادا من الحبر وسوء الحال لي الزم من الصمغ ولصاحب علم
المعاني فضل احتياج في هذا الفن الى التنبه لانواع هذا الجامع والتفطن لها
لا سيما النوع الخيالي فان جمعه على مجرى الالف والعادة بحسب ما ينعقد الاسباب
في استيداع الصور خزانة الخيال وان الاسباب مما لا تكاد تحيط بها الحصر فتتبان في
شان الجمع بين صور وصور فمن اسباب تجمع بين صومعة وقنديل وقرآن في
من اسباب تجمع بين دسكرة وابريق واقران نقل بينها اذا لم يوفه حقه من التيقظ
وانه من اهل المدر لا يشغل كلام رب العزة مع اهل الوبر حيث يبصرهم الابل

ناسفا ذلك النسق افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت

والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت لبعد البعير عن خياله في مقام

النظر ثم لبعده في خياله عن السماء وبعد خلقه عن رفعها وكذلك البواقي لكن اذا

وفاه حقه بتيقظه لما عليه تقلبهم في حاجاتهم جاء الاستحلاء وذلك اذا نظر ان اهل

الوبر اذا كان مطعمهم ومشربهم وملبسهم من المواشي كانت عنايتهم مصروفة لا محالة

الى اكثرها نفعا وهي الابل ثم اذا كان انتفاعهم بها لا يتحصل الا بان ترعى وتشرب

كان جل مرمى غرضهم نزول المطر واهم مسارح النظر عندهم السماء ثم اذا كانوا مضطرين

الى ماوى يؤويهم والى حصن يتحصنون فيه ولا ماوى ولا حصن الا الجبال

فما ظنك بملتفت من غيره فما سبح به الخاطر في طرفة عين فطنك بالتفات خاطرهم

الى ذلك فهو تعذر لطول مكثهم في منزل ومن لا صحاب مواش بذلك كان عند المهم عندهم

التنقل من ارض الى سواها من عزم الامور فعند نظره هذا ايرى البدوي اذا اخذ

يفتش عما في خزانة الصور لا يجد صورة الابل حاضرة هناك او لا يجد صورة السماء

لها مقارنة او يعوزه صورة الجبال بعدهما او لا ينص اليه صورة الارض تليها بعد غير لا

او انما الحضرى حيث لم يتآخذ عنده تلك الامور ولا صح خياله تلك الصور

على ذلك الوجه اذا تلا الآية قبل ان يقف على ما ذكرت ظن النسق بجهله معيبا

للعيب فيه واما الحالة المقتضية للتوسط بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع

فهي ان اختلفتا خبرا وطلبا ان يكون المقام مشتملا على ما يزيل الاختلاف من تضمين

الخبر معنى الطلب او الطلب معنى الخبر ومشتركا بينهما في جهات جامعة مما تلت

عليك على نحو قوله تعالى واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين

احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا اذ لا يخفى ان قوله لا تعبدون

متضمن معنى لا تعبدوا وقوله ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وازواجهم

في ظلال على الارائك متكئون لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولا من رب

رحيم وامتازوا اليوم ايها المجرمون فان المقام مشتمل على تضمين ان اصحاب الجنة

معنى الطلب بان ذلك ان الذي قبله من قوله فاليوم لا تظلم نفس شيئا كلام وقت

الحشر من غير شبهة لوروده معطوفا بالفاء على قوله ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم

جميع لدينا محضرون وعام الجمع للخلق لعموم قوله لا تظلم نفس شيئا وان الخطاب الوارد بعد

على سبيل الالتفات في قوله ولا تجزون الا ما كنتم تعملون خطاب عام لاهل المحشر
وان قوله ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون مثل قوله ايها المجرمون متعين بهذا
الخطاب لكونه تفصيلا لما اجمله ولا تجزون الا ما كنتم تعملون وان التقدير ان اصحاب
الجنة منكم يا اهل المحشر ثم جاء في التفسير قوله هذا ان اصحاب الجنة اليوم في
شغل فاكهون تعالى لهم حين يسار بهم الى الجنة تنزيلا لما هو للكون منزلة الكائن
فانظر بعد تحرير معنى الاية وهو ان اصحاب الجنة منكم يا اهل المحشر يؤول حالهم الى
اشتغال كيف اشتمل المقام على معنى قولنا ابرزوا عليكم للجنة واما كونه مشركا
بين المعطوف والمعطوف عليه في الذي يحسن بصدده من جهات تجمعهما فخاف
وهو قوله تعالى فلما جاءها نودي ان بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب
العالمين يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم والق عصاك فان الكلام مشتمل على تضمين
الطلب معنى الخبر وذلك ان قوله والق عصاك معطوف على قوله ان بورك والمعنى
فلما جاءها قيل بورك من في النار وقيل الق عصاك لا مرية في علم النحو ان ان جملة
لا تأسيس لها الا بعد فعل في معنى القول واذا قيل كتبت اليه ان ارجع وناديته ان قم كان

كان بمنزلة قلت له ارجع وقلت له قم واما قوله تعالى وبشر الذين امنوا وعملوا
الصالحات بعد قوله اعدت للكافرين فيعد معطوفا على فاتقوا النار التي وقودها
الناس والحجارة وعندي انه معطوف على قل مرادا قبل يا ايها الناس اعبدوا
ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لكون ارادة القول بواسطة انصباب الكلام
الى معناه غير عزيز في القران من ذلك انزلنا عليكم المن والسلوى كلوا اي وقلنا
او قائلين كلوا ومن ذلك واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر
فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم كلوا واشربوا اي وقلنا او
قائلا انت يا موسى كلوا واشربوا ومن ذلك واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور
خذوا اي وقلنا خذوا ومن ذلك واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل
ربنا اي يقولان ربنا وعليه قراءة عبد الله ومن ذلك ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب
يا بني على قول البصريين رحمهم الله ومن ذلك ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة
يضربون وجوههم وادبارهم وذوقوا اي ويقولون ذوقوا ومن ذلك براءة من الله و
رسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا اي فقولوا لهم سيحوا وامثال ذلك اكثر

من ان اصيبها ههنا وكذلك عطف قوله وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة

على قل مرادا قيل يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم ذهب صاحب

الكشاف رحمه الله الى انه معطوف على تؤمنون قبله لكونه في معنى آمنوا فامل حمع

ذلك لكن الحاكم دون ان ستق الجملتان خبرا او المقام على حال اشتراك بينهما

جوامع ثم لما كانت الشركة في الكثرة اظهر كان الوصل بالقبول اجدر ولنختم الكلام

في تفصيل الحالات المقتضية للقطع والاستيناف والابدال ولا يصلح والتوزيع

الانقطاع والتوسط بين بين هذا القدر ولنذكر امثلة التجنب بقسميه ان عسى

اعتراض يداخض اذا اخذت نسلك تلك الطرقات من امثلة القطع للاحتياط

قوله وتظن سلمى انني ابغي بها بدلا اراها في الضلال تهيم لم يعطف اراها لئلا

لا يحسب السامع العطف على ابغي دون تظن ويعتقد اراها في الضلال تهيم من مظنونات

سلمى في حق الشاعر وليس هو مراد اما المراد انه حكم الشاعر عليها بذلك وليس يستبعد

انتصاب قوله وتظن سلمى انني ابغي بها بدلا اراد فافهم وذكر في ههنا ذلك ان يكون

قد قطع اراها ليقع جوابا لهذا السؤال على سبيل الاستيناف واياك ان تركن الفصل

الفصل لاجل الوزن فاما هو هناك وقوله زعمتم ان اخوتكم قريش لهم الف وليس

لم يعطف لهم الف خيفة ان يظن العطف على ان اخوتكم قريش فيفسد معنى البيت

ولك ان تقول جاء على طريقة الاستيناف قوله لهم الف وليس لكم الاف وذلك

انه حين ابدى انكار زعمهم عليهم بفحوى الحال وكان مما يحرك السامع ان يسأل

لم تنكر فصل قوله لهم الف عما قبله ليقع جوابا للسؤال الذي هو مقتضى الحال

ومن امثلة القطع للوجوب قوله عز من قائل واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم

انما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم لم يعطف الله يستهزئ بهم للمانع من العطف

بيان ذلك انه لو عطف لكان المعطوف عليه اما جملة قالوا واما جملة انا معكم

انما نحن مستهزئون لكن لو عطف على انما نحن مستهزئون لشاركه في حكمه وهو كونه

من قولهم وليس هو بمراد ولو عطف على قالوا لشاركه في اختصاصه بالظرف

المقدم وهو اذا خلوا الى شياطينهم لما عرفت في فصل التقديم والتأخير وليس

هو بمراد فان استهزاء الله بهم وهو ان خذلهم خلاهم وما سولت لهم انفسهم مستدرجا

اياهم من حيث لا يشعرون متصل في شانهم لا ينقطع بكل حال خلوا الى شياطينهم

او لم يخلوا اليهم ولذلك قوله تعالى واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون
الا انهم هم المفسدون قطع الا انهم لئلا يستلزم عطفه على انما نحن مصلحون كونه
مشاركا له في انه من قولهم او عطفه على قالوا كونه مختصا بالظرف اختصاص
قالوا به لتقدمه عليه وهو واذا قيل لهم لا تفسدوا فانهم مفسدون في جميع الاحيان
سواء قيل لهم لا تفسدوا او لم يقل وكذلك واذا قيل لهم امنوا كما امن الناس قالوا
انؤمن كما امن السفهاء الا انهم هم السفهاء قطع الا انهم لمثل ما تقدم في الاية السابقة
وذلك ان يحمل ترك العطف في الله يستهزئ بهم على الاستيناف من حيث ان
حكاية حال المنافقين في الذي قبله لما كانت تحرك السامعين ان يسالوا ما مصير امرهم
وعقبى حالهم وكيف معاملة الله اياهم لم يكن من البلاغة ان يعرى الكلام عن الجواب
فلزم المصير الى الاستيناف بان يقول في الا انهم هم المفسدون ترك العطف فيه
للاستيناف ايضا ليطابق مقتضى الحال وذلك ان ادعاءهم الصلاح لانفسهم على ما اوعدهم
مع توغلهم في الافساد مما يشوق السامع ان يعرف ما حكم الله عليهم فكان ورود ... بدون
الواو هو المطابق كالاول وكذا في الا انهم هم السفهاء ومن تامل الاستيناف وانه

73

زعم العواذل ان ناقة جندب ، بجنوب خبت عريت واجمت
كذب العواذل لو راين مناخنا ، بالقادسية قلن لج وذلت
فصل كذب العواذل فلم يعطفه ليقع جوابا للسؤال اقتضاه الحال عند شكوا
عن النساء العاذلات بقوله زعم العواذل انه كان كيت وكيت وهو هل كذب
العواذل في ذلك ام صدقن وكذلك قوله ، يلحى على نيل العدان فاقصر
طالت اقامتهم ببطن برام ، كانوا على الاعداء نار محرق ولقومهم حرما من الحرام
قطع كانوا للاستيناف لانه حين امرها بالبكاء كانه توهمها قالت فلم ابكيهم او كيف
ابكيهم صفهم لي كيف كانوا فقال مجيبا كانوا على الاعداء وكذلك قوله ، عرفت المنزل الخالي
عفا من بعد احوال ، عفاه كل حنان عسوف الوبل هطال ، فصل عفاه كل حنان للاستيناف لانه حين
قال عفا من بعد احوال كان مظنة ان يقال ما ذا عفاه وكذلك قوله ، وما عفت الرياح له محلا
عفاه من حدا بهم وساقا ، حين نفى في محل معفو ما عفته الرياح كان موضع سؤال
وهو فما ذا عفاه اذن وكذلك قوله ، وقد عرضت من الدنيا بفضل زمني
سقط حيلة لغي بعد ما غرضنا ، جربت دهري واهليه فما تركت

في التجارب في دوّاس وفرضنا، أم يصل جرت بالعطف على ما عرفت بناء على
سؤال ينساق إليه معنى البيت الأول وهو لم يقل هذا وبحل وما الذي اقتضاك
أن تطوي عن الحجة هاهنا الغاية كشحك، ولذلك قوله عز أولئك على هدى من ربهم جاء
منفصلًا عما قبله بطريق الاستئناف كأنه قيل ما للمتقين الجامعين بين الإيمان بالغيب
في ضمن إقامة الصلاة والإنفاق مما رزقهم الله وبين الإيمان بالكتب المنزلة في الإيقان
بالآخرة اختصوا بهدى لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره مقولًا في حقهم هدى للمتقين الذين
والذين بتنكير هدى فأجيب بأن أولئك الموصوفين غير مستبعد ولا مستبدع أن يفوزوا
دون من عداهم بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا، ولك أن تجعل تمام الكلام هو المتقين وتقدّر
عنه وتستأنف الذين يؤمنون بالغيب إلى ساقة الكلام وأنه أدخل في البلاغة لكون
الاستئناف على هذا الوجه منطويًا على بيان الموجب لاختصاصهم بما اختصوا به على
نحو ما تقول أحسنت إلى زيد صديقك القديم أهل منك لما فعلت، ولك أن تخرج الآية
عما نحن بصدده بأن تجعل الموصول الأول من توابع المتقين إما مجرورًا بالوصف أو منصوبًا
بالاختصاص وتجعل الموصول الثاني مبتدأ وأولئك خبره مرادًا به التعريض بمن لم يؤمنوا

يؤمنوا من أهل الكتاب في سبق التعريض جاعلا للجملة برأسها مستبعدًا
هدى للمتقين، والفضل من هذه الوجوه لاستئناف الذين يؤمنون بالغيب
لجهات فتأملها، وكذلك قوله عز من قائل هل أنبئكم على من تنزل الشياطين
تنزل على كل أفاك أثيم فصل تنزل على كل أفاك لتنعم جوابًا للسؤال الذي يقتضيه
من قوله هل أنبئكم على من تنزل الشياطين وهو أي والله ينبئنا على أي مخلوق
تتنزل، ومن الآيات الواردة على الاستئناف قوله تعالى قال فرعون وما رب
العالمين قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين قال لمن حوله
ألا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الأولين قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم
لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون قال لئن اتخذت
إلهًا غيري لأجعلنك من المسجونين قال أولو جئتك بشيء مبين قال فأت به إن كنت
من الصادقين، فإن الفصل في جميع ذلك بناء على السؤال الذي يستتبعه
تصور مقام المقاولة من نحو فماذا قال موسى فماذا قال فرعون، وكذلك قوله قالوا
وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين قالوا أجئتنا

بالحق ام انت من اللاعبين الفصل بناء على ماذا قال ماذا قالوا وكذلك قوله
هل اتيك حديث ضيف ابرهيم المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام
قوم منكرون فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال الا تأكلون فاوجس
منهم خيفة قالوا لا تخف فقد دخل قوله فقالوا سلاما ماذا قال ابرهيم وقت السلام
ودخل قوله فقربه اليهم ماذا قال وقت التقريب ودخل قوله فاوجس منهم خيفة ماذا
قالوا حين راوا منه ذلك وسلوك هذا الاسلوب في القران كثير ومن امثلة البدل قوله
اقول له ارحل لا تقيمن عندنا والا فكن في السر والجهر مسلما فصل لا تقيمن
عن ارحل لقصد البدل لان المقصود من كلامه هذا كمال اظهار الكراهة لاقامته
بسبب خلاف سره العلن وقوله لا تقيمن عندنا اوفى بتادية هذا المقصود من
قوله ارحل لدلالة ذاك عليه بالتضمن مع التجرد عن التاكيد ودلالة هذا عليه بالمطابقة
مع التاكيد وكذلك قوله بل قالوا مثل ما قال الاولون قالوا أئذا متنا وكنا ترابا
وعظاما أئنا لمبعوثون فصل قالوا أئذا متنا عن قالوا مثل ما قال الاولون لقصد
البدل وذلك ان تحمله على الاستيناف لاستدعائه مثل ما قال الاولون من الاجمال

الاجمال المحرك للسامع ان يسال ماذا قالوا وكذلك قوله امدكم بما تعلمون
امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون الفصل فيه للبدل وتحمل الاستيناف
وكذلك قوله اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسالكم اجرا وهم مهتدون لم يعطف اتبعوا
من لا يسالكم للبدل ومن امثلة الايضاح والتبيين قوله ومن الناس من يقول
آمنا بالله وباليوم الاخر وما هم بمؤمنين يخادعون لم يعطف يخادعون على
ما قبله لكونه موضحا او مبينا من حيث انهم حين كانوا يموهون بالسنتهم انهم امنوا
بالله وباليوم الاخر وما كانوا مؤمنين موطنين قلوبهم فكانوا في حكم المخادعين
وقوله فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد و
ملك لا يبلى لم يعطف قال على وسوس لكونه تفسيرا له وتبيينا ومن امثلة التقرير
والتاكيد قوله الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين لم يعطف لا ريب
فيه على ذلك الكتاب حيث كان وزانه في الاية وزان نفسه في قولك جاءني
الخليفة نفسه او وزان بينا في قولك هو الحق بينا لان ذلك عند ذكره حين تولى في
وصف الكتاب ببلوغه الدرجة القصيا من الكمال والوفور في شانه

المبالغة حيث جعل المبتدأ لفظة ذلك وادخل على الخبر حرف التعريف بشهادة الاصول كما سبقت كان عند السامع قبل ان يتأمل فيه مظنة ان ينظمه في سلك ما قد يرمي به على سبيل الجزاف من غير تحقق وايقان فاتبعه لا ريب فيه نفيا لذلك فقد أصيب به المحز اتباع نفسه الخليفة ازالة لما عسى ان يتوهم السامع الى في قولك جاءني الخليفة متجوزا وساهيا وتقرير كونه حالة مؤكدة ظاهر وكذلك فصل هدى للمتقين لمعنى التقرير فيه لان قبله ان قوله ذلك الكتاب لا ريب فيه مسوق لوصف التنزيل بكمال كونه هاديا وقوله هدى للمتقين بتقديره كما لا يخفى هو هدى وان معناه نفسه هداية محضة بالغة درجة لا يكتنه كنهها وانه في التأكيد والتقرير لمعنى انه كامل في الهداية كما ترى واما بيان ان ما قبله مسوق لما ذكر فما ترى من النظم الشاهد له لاجل ان قصبة السبق في شأنه وهو ذكر الكتاب ثم من تعقيبه بما ينادي على صدق الشاهد ذلك النداء البليغ وهو لا ريب فيه وذلك لتعلم ان شأن الكتب السماوية الهداية لا غير وبحسبها تتفاوت شأنها في درجات الكمال وكذلك قوله ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا

لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة وفصل قوله لا يؤمنون لما كان مقررا لما افاده قوله سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم من ترك اجابتهم للايمان وكذلك فصل قوله ختم الله على قلوبهم لما كان معناه لا يؤمنون من جهة اخرى وهي ان عدم التفاوت بين الانذار وعدم الانذار لما لم يصح الا في حق من ليس له قلب يخلص اليه حق وسمع يدرك به حجة وبصر يثبت به عبرة وقع قوله ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة مقررا كما ترى وكذلك قوله انا معكم انما نحن مستهزؤن لما كان المراد بانا معكم هو انا معكم قلوبا و كان معناه انا لو هم اصحاب محمد للايمان وقع قوله انما نحن مستهزؤن مقررا فقد فصل وذلك ان تحمله على الاستيناف لا انتصاب انا معكم وهو قول المنافقين لشياطينهم ولا ان يقول لهم شياطينهم فما بالكم ان صح انكم معنا توافقون اصحاب محمد وكذلك قوله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم فصل ان هذا لكونه مؤكدا في نفي البشرية وذلك ان يقول الذين علموا لعرف متى قيل في حق انسان ما هذا بشرا ما هو بادي في حال التعظيم له والتعجب مما يشاهد منه من حسن الخلق

ببالك ان صاحب احد بشكل جوهري ولكن جوهرة لا نعرف فيتها فتعقب
كلامك انك تقول لي جوهرة لا اعرف فيها هل أريتكها فتفصل ومثال الثاني
وجدت اهل مجلسك في ذكر خواتم لم يقول احد منهم خاتمي كذا تصفه بحسن
صياغة وملاحة نقش ونفاسة فص وجودة تركيب وارتفاع قيمة وتقول
الاخر وان خاتمي هذا يتيق الصياغة كريه النقش فاسد التركيب ردي في
غاية الرداءة وتقول اخر وان خاتمي بديع الشكل خفيف الوزن ثمين الفص
لطيف النقش الا انه واسع لا يمسكه اصبعي وانت كما قلت ان خاتمي ضيق
تذكرت ضيق خاتمك وعنادك منه فلا تقول وخفي ضيق لتوهما مك عن
الجمع بين ذكر الخاتم وذكر الضيق فتختار القطع فالاحسن ضيق قولا ما فاذا اعمل
او يكون في حديث قديم وصل حديث اخر بعيد التعلق به تريد ان تذكره
فتورده في الذكر مفصولا مثل ما تقول كتاب سيبويه وانه كتاب لا نظير له
في فنه ولا غنى لمن يريد انواع العلوم عنه لا سيما في الاسلامية وان فيها اساس
وان اساس ان الذين رضوا بالجهل لا يدرون ما العلوم وما اساس العلوم

والخلق عوان يفهم منه انه ملك فوقع قوله ان هذا الا ملك تاكيدا للملكية
ففصل وكذلك قوله كان لم يسمعها كان في اذنيه وقرا الثاني مقرر للاول
من امثلة الانقطاع للاختلاف خبرا وطلبا قوله وقال رائدهم ارسوا نزاولها
فكل حتف امرئ يجري بمقدار ففصل قوله نزاولها عن قوله ارسوا لما خبر وارسوا امر
فامتنع العطف بينهما لاختلافهما خبرا وطلبا وقوله ملكته حبلي ولكنه
القاه من زهد على غاربي وقال اني في الهوى كاذب انتقم الله من الكاذب
فصل قوله انتقم عن قوله اني في الهوى كاذب لاختلافهما خبرا وطلبا لانه انتقم
دعاء فصار طلبا لانه اراد الدعاء بقوله انتقم وكذلك قولهم مات فلان رحمه الله و
كذلك قولهم لا تدن من الاسد يأكلك وهل تصلح لي كذا ادفع اليك الاجرة بالرفع فيهما
ومن ذلك ما يجوز ومن امثلته لغير الاختلاف ما ذكر يكون في حديث
يقع في خاطرك بغتة حديث آخر لا جامع بينه وبين ما انت فيه بوجه او بينهما
جامع غير ملتفت اليه لبعد مقامك عنه ويدعوك لذكره داع فتورده في
الذكر مفصولا مثال الاول كنت في حديث ما مثل كان معي فلان فقرا ام خطر ببالك

فنفصل ان الذين رضوا بالجهل عما قبله لكون ما قبله حديثا من كتاب
سيبويه وانه حقيق بان يعظم وكون ما عقبته به حديثا من الجهال في سوء
ما اثرتم جملهم وقوله عز اسمه ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم
ام لم تنذرهم من هذا القبيل قطع ان الذين كفروا عما قبله لكون ما قبله
حديثا من القرآن وان من شأنه كيت وكيت وكون ان الذين كفروا
حديثا من الكفار ومن تصميمهم في كفرهم والفصل لازم للانقطاع لان الواو
كما عرفت معناه الجمع فالعطف بالواو في مثله يبرز في معرض التوخي للجمع
بين الضب والنون ولذلك لو قال قائل زيد منطلق ودرجات الحمل
ثلثون وكم الخليفة في غاية الطول وما احوجني الى الاستفراغ واهل الروم
نصارى وفي عين الذباب جحوظ وكان جالينوس ماهرا في الطب وختم
القرآن في التراويح سنة وان القرد لشبيه بالآدمي لعطف اخرج من زمرة
العقلاء وسجل عليه بكمال السخافة او عد سخرة من المساخر واستطرف نسقه
هذا الى غاية ربما استودع دفاتر المضاحك وسفين نوادر الهذيان بخلافه اذا

اذا ترك العطف فيه رمى بالجمل رمي الحصى والجوز من غير طلب ائتلاف بينها فالخطب
اذن يكون هونا ما ومن هنا عابوا ابا تمام في قوله لا والذي هو عالم ان النوى
صبر وان ابا الحسين كريم حيث تعاطى الجمع بين مرارة النوى وكرم ابي
الحسين ومن امثلة التوسط ما نتلوه من قوله تعالى يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها
وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وقوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم
وغير ذلك واعلم ان الوصل من محسناته ان تكون الجملتان متناسبتين
ككونهما اسميتين او فعليتين او ما شاكل ذلك فاذا كان المراد من الاخبار
مجرد نسبة الخبر الى المخبر عنه من غير التعرض لقيد زائد كالتجدد والثبوت
وغير ذلك لزم ان تراعي ذلك فتقول قام زيد وقعد عمرو او زيد قائم وعمرو قاعد
وكذا زيد قام وعمرو قعد ان لم تقل قام زيد وعمرو قاعد وكذا قام زيد وعمرو قعد
وزيد لقيته وعمرو مررت به وزيدا اكرمت اياه وعمرو ضربت غلامه كما سبق
على السوا مثال ذلك اما اذا اريد التجدد في احدهما والثبوت في الاخرى كما اذا
كان زيد وعمرو قاعدين ثم قام زيد دون عمرو وجب ان تقول قام زيد وعمرو قاعد بعد

وعليه قوله تعالى سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون المعنى سواء عليكم أحدثتم
الدعوة لهم أم استمر عليكم صمتكم عن دعائهم لأنهم كانوا إذا حزبهم أمر
دعوا الله دون أصنامهم كقوله تعالى وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم فكانت
حالهم المستمرة أن يكونوا عن دعوتهم صامتين وكذلك قوله
تعالى أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين المعنى أأحدثت
عندنا تعاطي الحق فيما نسمعه منك أم اللعب أي أحوال الصبي بعد
على استمراره عليك استبعاداً منهم أن يكون عبادة الأصنام
من الضلال وما أعظم كيد الشيطان للمقلدين حيث استدرجهم
إلى أن قلدوا الآباء في عبادة تماثيل وتعفير جباههم لها اعتقاداً
منهم في ذلك أنهم على شيء اللهم إنا نعوذ بك من كيد الشيطان و
إذ قد لخصنا الكلام في الفصل والوصل فيما هذا الحد فبالحري أن
يلحق به الكلام في الحال التي تكون جملة لمجيئها تارة مع الواو وأخرى
لا معها منقولة وبالله التوفيق الكلام في ذلك يستدعي تمهيد قاعدة

فاعلم وهي أن الحال نوعان حال بالإطلاق وحال تسمى مؤكدة و
لكل واحد من النوعين أصل في الكلام ولهما معاً فروع في الاستعمال
واحد فأصل النوع الثاني هو أن يكون وصفاً ثابتاً نحو هو الحق بيّناً
وزيد أبوك شفيقاً وذلك حاتم سخياً جواداً وهذا خالد بطلاً شجاعاً
وفي التنزيل إنا أنزلناه قرآناً عربياً وأصل النوع الأول هو أن يكون
وصفاً غير ثابت من الصفات الجارية كاسم الفاعل واسم المفعول نحو جاء
زيد راكباً وسلّم علي قاعداً وضربت اللص مكتوفاً وقتلته مقيداً ومنع
أن يقال جاء زيد طويلاً أو قصيراً أو أسود أو أبيض اللهم إلا بتأويل
كما تسمع أئمة النحو يتلون عليك جميع ما ذكرته في جملة الاستعمال
أن تأتيا عاريين عن حرف النفي كقولك هو الحق بيّناً دون لا خفياً
وجاء زيد راكباً أو ماشياً أو ما شياً دون لا راكباً وحق النوعين أن لا يدخلهما
الواو نظراً إلى إعرابها الذي ليس بتبع لأن هذه الواو وإن كنا نسميها
واو الحال أصلها العطف ونظراً إلى أن حكم الحال مع ذي الحال أبداً

نظير حكم الخبر مع المخبر عنه الا تراك اذا الغيت هو في قولك هو الحق بينا
بقي الحق بينا وفي قولك جاء زيد راكبا بقي زيد راكب وفي قولك
ضربت اللص مكتوفا بقي اللص مكتوف وكذا الباب فتجد الحال وذا الحال
خبرا ومخبرا عنه والخبر ليس موضعا لدخول الواو على ما سبق تقرير
هذا الباب والتحقيق فيه هو ان الاعراب لا ينتظم الكلمات كقولك
ضرب زيد اللص مكتوفا الا بعد ان يكون هناك تعلق ينتظم معانيها
فاذا وجدت الاعراب في موضع قد تناول شيئا بدون الواو كان ذلك دليلا
تعلق هناك معنوي فذلك التعلق يكون مغنيا عن تكلف معلق آخر واذا عرفت
هذا ظهر لك ان الاصل في الجملة اذا وقعت موقع الحال ان لا يدخلها الواو ولكن بالنظر
اليها من حيث كونها جملة مفيدة مستقلة بفائدة غير متحدة بالاولى في افادتها اذا
كانت مؤكدة مثلها في قولك هو الحق لا شبهة فيه وفي قوله عز قائلا الم ذلك الكتاب
لا ريب فيه وغير منقطعة عنها لجهات جامعة بينها كالاولى في نحو جاء زيد يقاد الجنائب
بين يديه ولقيت عمرا وسيفه على كتفه يبسط العذر في ان يدخلها واو للجمع مثلها في

من الاولى مثلها في نحو قام زيد وقعد عمرو واذا انعقد هذا فنقول الضابط
فما نحن بصدده هو ان الجملة متى كانت واردة على اصل الحال وذلك ان تكون
فعلية لا اسمية لان الاسمية كما تطرد الفعل الثبوت في عليها ايضا بان تكون مثبتة
فالوجه ترك الواو جريا على موجب الحال نحو جاءني زيد يسرع او يتكلم او بعده فرسه
ولذلك لا يكاد يسمع نحو جاءني ويسرع ومتى لم تكن واردة على اصل الحال وذلك ان
تكون اسمية في الحال غير المؤكدة فالوجه الواو نحو جاءني زيد وعمرو امامه ولا يبعد تركها
وهو قاعد على نحو ما جاء بخلاف هذا الاصل معدودة ملحقة بالنوادر وهو كلمته فوه الى في
عود على بدئه وسنه الاصلاح نصف النهار الماء غامره وما انشد الشيخ ابو علي في الاغفال
ولولا جنان الليل ما آب عامر الى جعفر سرباله لم يمزق ومتى كانت واردة على
اصل الحال لكن لا على نفيها فالوجه جواز الامرين معا نحو قولك جئت امشي وما ادري
اضع رجلي فجعلت امشي وما ادري اين اضع رجلي وقوله مضوا لا يريدون الرواح وغالهم
من الدهر اسباب جرين على قدر وقوله لو ان قوما لارتفاع قبيلة دخلوا السماء دخلتها لا احجب
وقوله اكسبته الورق البيض ابا ولقد كان ولا يدعى لاب وقوله افادها من ذي وعدي

ثم ان ترك الواو ارجح والفعل الماضي منفيا ومثبتا لوروده على نهج الحال لا محالة اما
منفيا فلعدم النفي واما مثبتا فلوقف فلظاهرا ومقدر الفعل من زمانك حتى يصلح للحال مثل
في سلك المضارع المنفي لكن ان نقول اخذت اجتهد ماكان يعنيني لحطه ان نقول لخرت
وماكان يعنيني احد وكذا المثبت وقد جعل السير بدون الواو وقد جعله السير بالواو الا ان ترك
الواو في النفي وفي الاثبات ارجح واما الظرف فحيث احتمل ان يكون جملة فعلية وان
بحسب التقدير في تردد لذلك بين ان يكون واردا على اصل الحال وغير وارد وجاء الامران فيقال
رأيته على كتفه سيف بدون الواو تارة ورأيته وعلى كتفه سيف بالواو اخرى هذا وعرف
فقدم الحال اذا اريد اتباعها عن النكرة فتنبه لجواز اتباعها عن النكرة مع الواو في مثل جاءني
رجل وعلى كتفه سيف لم تتردد في قوله عز اسمه وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم على
ما ذهب اليه لوجوب العارض في جاءني رجل وعلى كتفه سيف عند ارادة الحال ولوجوب تركه عند ارادة
الوصف لامتناع عطف الصفة على موصوفها البتة فتأمل واما ليس فلما قام مع خبره
مقام الفعل المنفي جاء كثيرا ليس معه ولا ليس معه غيره وانا ليس معه غيره فان كان في خبره
كقولنا اخلي القلب ليس فيه ما يهم ان ذكر الواو ارجح ووقوعه في الكلام ادور واما

واما الحالة المقتضية لطي الجمل عن الكلام ايجازا ولا طيها اطنابا فقد
احاط علما بما قد سبق استغنى بذلك عن بسط الكلام ههنا فلنقتصر
على بيان معنى الايجاز والاطناب وعلى ايراد عدة امثلة من الجانبين
اما الايجاز والاطناب فلكونهما نسبيين لا يتيسر الكلام فيهما الا بترك
التحقيق والبناء على شيء عرفي مثل جعل كلام الاوساط على
مجرى متعارفهم في التأدية للمعاني فيما بينهم ولا بد من الاعتراف
بذلك مقيسا عليه ولنسمه متعارف الاوساط وانه في باب البلاغة
لا يحمد منهم ولا يذم فالايجاز هو اداء المقصود من الكلام باقل
من عبارات متعارف الاوساط والاطناب هو اداؤه باكثر
من عباراته سواء كانت القلة او الكثرة راجعة الى الجمل او الى غير
الجمل هذا وقد نبهت عليك فيما سبق طرف الاختصار والتطويل
فلئن فهمها لتعرفن الوجازة معنا وبينها تحيرا وحذيرا انت تكاد
تخص والاطناب كذلك عرفت من ذلك معنى قول القائل في

وصف البلغاء بوصف بالخطب الطوال وتارة في الملاحظ
خيفة الرقباء وذكرت لك ايضا للاختصار والتطويل معان
قد اوشدت بها الى مناسباتها فاصادف من ذلك موضعه
جعلناه ذم وسمي الايجاز اقداك عياء وتقصيرا والاطناب اكثارا
وتطويلا والعلم في الايجاز قوله على سكانه ولكم في القصاص
حيوة واصابته الحز بفضله على ما كان عندهم اوجز كلام
في هذا المعنى وذلك قولهم القتل انفى للقتل ومن الايجاز قوله هدى
للمتقين حيث قال ان المعنى هدى للضالين الصائرين الى التقوى
بعد الضلال لما ان الهدى اي الهداية انما يكون للضال لا
للمهتدي بصحبته قصد الايجاز المستفيض نوعه وهو وصف
الشي بما يؤول اليه والتوصل بطلب تصدير اولى الزهراوين بذكر
اوليا الله حسب مقاله وقوله فغشيهم من اليم ما غشيهم اطنب
من ان يخفى حالها في الوجانة نظر الى ما ناب عنه وكذا قوله ولا

ينبئك مثل خبير وانظر الى الفائدة التي نبه فيها فصحه في مثل قوله
فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب
عليكم كيف افاد انكم تمثلتم فتاب عليكم وفي قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك
الحجر فانفجرت منه فضرب فانفجرت تامل قوله تعالى فقلنا اضربوه
ببعضها كذلك يحيى الله الموتى اي فضربوه فحيي فقلنا كذلك
يحيي الله الموتى وقد صاحب الكشاف اصل قوله ولقد اتينا داود
وسليمان علما فعلا به وعلما وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة وقالا
الحمد لله ويحتمل عندي انه اخبر تعالى عما صنع بهما واخبر عما قالا كانه
قال نحن فعلنا ايتاء العلم وهما فعلا الحمد تفويضا استفادة ترتب
الحمد على ايتاء العلم اليه فهما لسامع مثل سقني فيدعوك بدل قوله فاعطاني فيدعوك
وانه فن من البلاغة لطيف المسلك ومن امثلة الاختصار قوله تعالى فكلوا
مما غنمتم حلالا طيبا بطي ابحت لكم الغنائم لدلالة فاء التسبيح فكلوا وقوله تعالى
فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم بطي ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم فعدلوا عن الافتخار

لدلالة الفاء عليه وكذا قوله تعالى فانما هي زجرة واحدة فاذا هم ينظرون
اذ المعنى اذا كان ذلك فما هي الا زجرة واحدة وكذا قوله تعالى فالله
هو الولي تقديره ان ارادوا وليا بحق فالله هو الولي بالحق
وما سواه وكذا قوله تعالى يا عبادي الذين آمنوا ان ارضي واسعة
فاياي فاعبدون اصله فان لم يتأت ان تخلصوا العبادة لي في
فاياي في غيرها اعبدوا فاعبدون فلتخلصوها في غيرها فحذف
الشرط وعوض عنه تقديم المفعول مع افادة الاختصاص بالتقديم
وقوله تعالى كلا فاذهبا باياتنا اي ارتدع عن خوف قتلهم فاذهبا اي
فاذهب انت واخوك بدلالة كلا على الفعل المطوي وقوله تعالى اذ يلقون
اقلامهم ايهم يكفل مريم اصله اذ يلقون اقلامهم ينظرون ليعلموا ايهم
يكفل مريم لدلالة ايهم على ذلك بواسطة علم النحو وقوله تعالى ليحق
الحق ويبطل الباطل المراد ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ما فعل
وكذا قوله ولنجعله آية اصل الكلام ولنجعله آية فعلنا ما فعلناه

وكذا قوله تعالى ليدخل الله في رحمته اي لاجل الادخال في الرحمة
كان الكف ومنع التعذيب وقوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات
والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان
انه كان ظلوما جهولا اذ المعنى للحمل منع الامانة والغدر واريد التعبير
التكليف وهو محل التكليف كان اصل الكلام وحملها الانسان ثم
خاس به منبها عليه بقوله انه كان ظلوما جهولا الذي هو نوع الانسان
على ما عليه من الظلم والجهل في الغالب وقوله تعالى افمن زين له سوء
عمله فرآه حسنا تتمته ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف لدلالة
فلا تذهب نفسك عليهم حسرات او تتمته كمن هداه الله فحذف لدلالة
فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وقول الحريري بعد اللتيا والتي
اللتيا والتي وهي المحنة او الشدائد بلغت من شدتها وفظاعة
شانها مبلغا تبهت الواصف معها حيث لا تعبر بنت شفة ومن
الايجاز قوله تعالى قل اتنبئون الله بما لا يعلم وقد علم تعالى سمعا

نفيا للزوم وهو المنبا بنفي لازمه وهو وجوب معلوما للعالم الذات

لو كان له ثبوت باي اعتبار كان وقوله تعالى ان الذين كفروا بعد

ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم اصله لن يتوبوا فلن يكون قبول

توبتهم فاوثر الاعجاز دفعا بالملا اسفا الملزوم ما سفاء اللازم وهو قبول

التوبة الواجب في حكمته تعالى وتقدس وقوله ما اشركوا بالله ما لم ينزل

به سلطانا اي شركا لا ثبوت لها اصلا ولا انزل الله بها باشراكها

حجة اي تلك وانزال الحجة كلاهما منتف على اسلوب قوله

على لاحب لا يهتدى بمناره اي لا منار ولا اهتداء به وقوله

ولا ترى الضب بها ينجحر اي لا ضب ولا انجحار نفيا للاصل والفرع وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم اي لا شريك

لي ذاك ولا علمك به اي كلاهما غير ثابت وكذا ما للظالمين من حميم ولا شفيع

يطاع اي لا شفاعة ولا طاعة ومن الايجاز قوله تعالى واخرون اعترفوا

بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا اصل الكلام خلطوا عملا

عملا صالحا بسيئ واخر سيئا بصالح لان الخلط يستدعي مخلوطا ومخلوطا به

اي تارة اطاعوا واحبطوا الطاعة بكبيرة واخرى عصوا وتداركوا

المعصية بالتوبة وقوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

اصله قل لهم قولك ان تنتهوا يغفر لكم وكذا قوله تعالى قل للذين

كفروا ستغلبون فيمن قرا بالغيبة ومن امثلة الاطناب قوله تعالى

ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء

من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف

الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لايات لقوم يعقلون

ترك ايجازه وهو ان في ذلك وقوع اي ممكن كان لايات لقوم

للعقلاء لكونه كلاما لا مع الانس فحسب بل مع الثقلين ولا مع قرن

دون قرن بل مع القرون كلهم قرنا فقرنا الى انقراض الدنيا وانه

فيهم لمن تعرف وتقلد من يزكي المقصر في باب النظر والعلم بالصانع

من طوائف الغواة فقل لي أي مقام للكلام ادعى لترك اعجال لبلى
الاطناب من هذا فقوله مع قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما
انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب وما اوتي موسى و
عيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم اوثر الاطناب
فيه على الايجاز وهو قوله آمنا بالله وبجميع كتبه لما كان يتسع من
اهل الكتاب وفيهم من لا يؤمن بالتورية وبالقرآن هم النصارى
القائلون ليست اليهود على شيء وفيهم من لا يؤمن بالانجيل وهم
اليهود وكل منهم مدعي للايمان بجميع ما انزل الله تعالى لاهل الكتاب
وليتبهج المؤمنون بما نالوا من كرامة الاهتداء ووقع المجاز عن
طباق المقام مراحل وكذا قوله واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل
منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون لم يؤثر ايجاز وهو
واتقوا يوما لا خلاص عن العقاب فيه لكل من جاء مذنبا اذا كان
كالجامع لانفس صورة ذلك اليوم في ضمائرهم ومشافهته للجاهل

للجاهل والعالم والمعترف والجاحد والمسترشد والمعاند والفهم
والبليد لئلا يحتص المطلوب منهم بفهم احد دون احد وان
لا يكون بحيث ينبئ شغوفه سامع دون سامع او يخلص الى ضمير بعض دون بعض
وقوله الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون
به لو اريد اختصاره لما احتيط في السلك يؤمنون به اذ ليس احد
من مصدقي حملة العرش يرتاب في ايمانهم ووجه حسن ذكره
اظهار شرف الايمان وفضله والترغيب فيه وقوله اذا جاءك
المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله
والله يشهد ان المنافقين لكاذبون لو اوثر اختصاره فقوله والله
يعلم انك لرسوله فضل في البين من حيث ان مساق الآية لتكذيب
المنافقين في دعوى الاخلاص في الشهادة لكن لكن ايهام
رد التكذيب الى نفس الشهادة لو لم يكن هذا الفضل لمنع الاختصار
وما حكيه عن موسى عصاي اتوكأ عليها واهش بها على غنمي ولي فيها

مآرب اخرى جوابا عن قوله وما تلك بيمينك وكذا ما حكيه نعبد
اصناما فنظل لها عاكفين في الجواب عن قول ابرهيم ما تعبدون
من باب الاطناب اذ لو اريد الايجاز لكفى عصاي واصناما وقد
سلك وجه حسن الاطناب فيهما وما بعد من الاطناب في موقعه
موقع قول الخضر لموسى عليهما السلام في الكرة الثانية الم اقل لك
بزيادة لك لاقتضاء المقام مزيد تقرير لما قد كان قدم له من انك لن
تستطيع معي صبرا وكذا قول موسى رب اشرح لي صدري ونحوه
بزيادة لي لاكتساء الكلام معها من تاكيد الطلب لانشراح الصدر
ما لا يكون بدونه لانك اذا قلت اشرح لي افاد ان ثمة ما عندك
تطلب شرحه فكنت مجملا فاذا قلت صدري عدت مفصلا
وان كان الطلب في وقت الارسال الذي هو مقام مزيد احتياج
الى انشراح الصدر لما يوحى به الرسالة من تلقى المكاره وضروب
الشدائد وقوله تعالى الم نشرح لك صدرك وارد على هذا ونحو نعم

زيد للتقرير وقول البلغاء في الجواب مثل لا واصلحك الله بزيادة
الواو خلافا لما عليه كلام الاوساط من الاطناب في موقعه ولك
ان تعد باب نعم وبئس بوضعهما على الاطناب اذ لو اريد الاختصار
لكفى نعم زيد وبئس عمرو وان تجعل الحكمة في ذلك توخي تقرير المدح
او الذم لاقتضائهما مزيد التقرير لكونهما للمدح العام وللذم العام
الشائعين في كل خصلة محمودة ومذمومة المستبعد تحققهما دون
ان يشيع كون الممدوح محمودا في خصال الحمد وكون المذموم مذموما
في خلافها وتجعل وجه التوخي الجمع بين طرفي الاجمال والتفصيل
لانك اذا قلت نعم الرجل مريدا باللام الجنس دون العهد كيف
توجه المدح الى زيد اولا على سبيل الاجمال لكونه من افراد ذلك الجنس
او اذا قلت نعم رجلا فاضمرته من غير ذكر له سابق وفسرته باسم
جنسه ثم اذا قلت زيد كيف توجهه اليه ثانيا على سبيل التفصيل
وان هذا الباب متضمن للطائف فيه من الاطناب الواقع موقعه

مازنى وفيه تقرير السؤال وبناء المخصوص عليه يقتدر بعد نعم الرجل
او نعم رجلا من هو وبني عليه زيد اى هو زيد وقد عرفت ما سبق
لطف هذا المعنى وفيه اختصار من جهة وهو ترك المبتدا في الجواب
ولا يخفى حسن موقعه ولو لم يكن فيه شئ سوى انه يبرز الكلام في
معرض الاعتدال نظرا الى اطنابه من وجه والى اختصاره من
اخر وايهامه الجمع بين المتنافيين الذى تتهيج به على امثال ذلك
لكفى وقد اطلعناك على كيفية التعرض لجهات الحسن تفنن فيها
مستوفيا جهاته وكنت المرجوع اليه في اختيار المختار من اقوال النحويين
في الباب لقول من يرى المخصوص مبتدا والفعل مع الذى يليه خبرا
مقدما وقول من يرى المخصوص خبر المبتدا المحذوف على ما رايت وقول
من لا يرى اللام في الفاعل الا للجنس وقول من لا يلتفت لكونه للتعريف
العهد واعلم ان باب التفسير كله سواء كان عن مفرد او جملة باب نازل
عن اصله لنوعى الاجمال والتفصيل الا انك تجد الامثلة الواردة من

من نحو عندى منوان سمنا وعشرون درهما وملأ الاناء عسلا
وطاب زيد نفسا وطار عمرو فرحا وامتلأ الاناء ماء منادية
على انك الاصل عندى سمن منوان ودراهم عشرون وعسل ملء
الاناء وطاب نفس زيد وطار فرح عمرو وملأ الماء الاناء ولصلاحه
الاجمال والتفصيل الموقع فيما حكيه عن جل عن ذكره عليه السلام
من قوله واشتعل الراس شيبا مقام البيان وحين التلقي
لتوابع انقراض الشباب ترى ما فيه من مزيد الحسن وفي مثل الكلم
وفيما قبلها من رب ارب وهن العظم مني لطائف اية كلمة في القران
فضلا عن جملة فضلا عما تجاوز لا تحتوي على لطائف ولا سيما
تلى على من كانوا النهاية في فصاحة البشر وبلاغة اهل الوبر منهم
والمدر وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله
فما احاروا ببنت شفة ولا صدروا اهنالك عن موصوف ولا صفة
على انهم كانوا الغواص على المسابق في رهان المفاخر والمناكب

على ركوب الشطط في امتهان المفاخر تلك لهم العصبية ان لا يرد
عقب مفاخرهم كهاماتهم وان لا تتقصبت خطراته جهاما والكلام في
تلك اللطائف مفتوحا لا اخذ اصل معنى الكلام ومرتبته الاولى ثم
النظر في التفاوت من ذلك كما عليه نظم القرآن فقد كم درجة يتصل
احد الطرفين بالآخر فنقول لا شبهة ان اصل معنى الكلام ومرتبته
الاولى يا ربنا قد شخت فان الشيخوخة مشتملة على ضعف البدن
وشيب الراس المتعرض لهما ثم تركت هذه المرتبة لتوخي مزيد التقرير
لانفصلهما في ضعف بدني وشاب راسي ثم تركت هذه المرتبة
الثانية لاشتمالها على التصريح لما تكلمته ابلغ وهي الكناية في وهنت
عظام بدني لما ستعرف ان الكناية ابلغ من التصريح ثم لقصد مرتبة رابعة
ابلغ في التقرير بنيت الكناية على المبتدا فحصل انا وهنت عظام بدني
ثم لقصد مرتبة خامسة ابلغ اقحمت ان على المبتدا فحصل اني وهنت
عظام بدني ثم لقصد خامسة لطلب تقرير ان الواهن هي عظام بدنه

بدنه فحصلت مرتبة سادسة وهي سلوك طريق الاجمال والتفصيل
فحصل انه وهنت العظام من بدني والذي سبق في تقرير معنى الاجمال
والتفصيل قرب اسرح لي صدري يتنبه عليه هنا ثم لطلب مزيد
اختصاص العظام به فحصلت مرتبة سابعة وهي ترك توسيط
البدن فحصل اني وهنت العظام مني ثم لطلب شمول الوهن العظام
فردا فردا فحصلت مرتبة ثامنة وهي ترك جمع العظام لان الافراد
لصحة حصول وهن المجموع بالبعض دون كل فرد فرد فحصل ما
ترى وهو الذي في الآية انه وهن العظم مني وهكذا تركت الحقيقة
في شاب راسي الى ابلغ وهي الاستعارة فيما تكلم ان الاستعارة
ابلغ من الحقيقة فحصل اشتعل شيب راسي ثم تركت الى ابلغ و
هي اشتعل راسي شيبا لكونها ابلغ من جهات احدها اسناد الاشتعال
الى الراس لافادة شمول الاشتعال الراس اذ وزان اشتعل شيب
راسي واشتعل راسي شيبا وزان اشتعل النار في بيتي واشتعل بيتي

نادا والفرق بترو نايبها الاجمال والتفصيل في طريق ونالنها
تنكير شيبا لافادة المبالغة ثم ترك اشتعل راسي شيبا لتوخي مزيد
التقرير بلا اشتعل الراس مني شيبا على وهن العظم مني ثم ترك لفظ
مني لقرينة عطف واشتعل الراس على وهن العظم لمزيد التقرير وهو
ايهام حواله تادية مفهومه على العقل دون اللفظ واعلم ان الذي
فتق الكمام عن ازاهر القبول في القلوب هو ان مقدمة
هاتين الجملتين وهي رب اختصرت ذلك الاختصار بان حذفت كلمة
النداء وهي يا وحذفت كلمة المضاف اليه وهي ياء المتكلم واقتصر من مجموع الكلمات
على كلمة واحدة فحسب وهي المنادى والمقدمة في الكلام كما لا يخفى على من له
قدم في نهج البلاغة نازلة منزلة الاساس للبناء وكما ان البناء الحاذق
لا يرمي الاساس الا بقدر ما يقدر من البناء عليه كذلك البليغ يصنع بمبدإ
كلامه فمتى رايته اختصر المبدأ فقد اذن باختصار ما يورده ثم ان الاختصار
لكونه من الامور الاضافية يرجع في بيان دعواه الا ما سبق تارة كقوله

كون المقام خليقا بابسط مما ذكر اخرى والذي نحن بصدده من
القبيل البليغ اذ هو كلام في معنى انقراض الشباب والمام المشيب
وهل يجيء احق بان يبني القائل فيه افاويق الجهود ويستغرق
في الانباء عنه كل حد معهود من انقراض ايام ما اصدق من يقول
فيها وقد تعوضت من كل بشبهه فما وجدت لايام الصبى عوضا
ومن المام المشيب المعيب المؤذن بطلوع الامر المغيب نعيب الغراب
على شيبي ومن سواه ان اتبع بالمعيب اللهم زدنا اطلاعا على
لطائف عوائد الكرم وغوصا على لآلئ فوائدك العظيمة ووفقنا لاستعادة
مرضاتك في طلوع المشيب المر واختم بالخير في مغيبه الامر فانه
لا يكون الا ما تشاء بيدك الامر كله ولكن هذا اخر الكلام في الفن
الرابع ولنفصل الان الفصل الموعود وهو الكلام في معنى القصر المقصود

فصل اعلم ان القصر كما يجري بين المبتدا والخبر فيقصر
المبتدا على الخبر تارة والخبر على المبتدا اخرى يجري بين الفعل والفاعل

وبين العامل والمفعول وبين المفعولين ومن الحال وذي الحال تقول
كل طرفين وانما اذا اعتقدته في موضع ملكت الحكم في العاقد ولكنك
بمجرد التنبيه هناك وحاصل معنى القصر راجع الى تخصيص الموصوف
عند السامع بوصف دون ثان كقولك زيد شاعر لا منجم لمن يعتقده
شاعرا ومنجما او قولك زيد قائم لا قاعد لمن يتوهم زيدا على احد الوصفين
من غير ترجيح ويسمى هذا قصر افراد بمعنى انه يزيل شركة الثاني او بوصف
مكان آخر كقولك لمن يعتقد زيدا منجما لا شاعرا ما زيد منجم بل شاعر او زيد
شاعر لا منجم ويسمى هذا قصر قلب بمعنى ان المتكلم يقلب فيه حكم السامع
او الى تخصيص الوصف بموصوف قصر افراد كقولك ما شاعر الا زيد لمن
يعتقد زيدا شاعرا لكن يدعي شاعرا آخر او قولك ما قائم الا زيد لمن يعتقد
قائمين او اكثر في جهة من الجهات معينة او قصر قلب كقولك ما شاعر
الا زيد لمن يعتقد ان شاعرا في قبيلة معينة او طرف معين لكنه
يقول ما زيد هناك بشاعر وللقصر طرق اربعة احدها طريق العطف

العطف كما تقول في قصر الموصوف على الصفة افرادا او قلبا بحسب
مقام السامع زيد شاعر لا منجم او ما زيد منجم بل شاعر وفي قصر الصفة
على الموصوف بالاعتبارين ما عمرو شاعر بل زيد او زيد شاعر لا
عمرو او لا غير بتقدير لا غير زيد الا انك تترك الاضافة لدلالة
الحال ومعنى غيرا بالضم على عن بناء الغايات وليس غيرا وليس الا
بتقدير ليس شاعر غير المذكور او الا المذكور فتجعل النفي عاما
ليتناول كل شاعر يعتقد ممن عدا زيدا والفرق بين قصر الموصوف
على الصفة وقصر الصفة على الموصوف واضح فان الموصوف في
الاول لا يمتنع ان يشاركه غيره في الوصف ويمتنع في الثاني وان
الوصف في الثاني يمتنع ان يكون لغير الموصوف ولا يمتنع في الاول
وثانيها النفي والاستثناء كما تقول في قصر الموصوف على الصفة
افرادا او قلبا ليس زيد الا شاعرا او ما زيد الا شاعرا وان زيد الا شاعر
او ما زيد الا قائم او ما زيد الا يقوم ومن الوارد في التنزيل على قصر

الافراد قوله تع وما محمد الا رسول فمعناه محمد مقصور على الرسالة
لا يتجاوزها الى البعد عن الهلاك نزل المخاطبون لاستعظامهم ان
لا يبقى لهم منزلة المبعدين لهلاكه وهو من اخراج الكلام لا على
مقتضى الظاهر وقوله تع ان حسابهم الا على ربي فمعناه حسابهم
مقصور على الاتصاف بعلى ربي لا يتجاوزه الى ان يتصف بعلي وقوله
وما انا بطارد المومنين ان انا الا نذير فمعناه انا مقصور على النذارة
لا اتخطاها الى طرد المومنين وقوله تع وما انزل الرحمن من شيء
ان انتم الا تكذبون فالمراد لستم في دعواكم للرسالة عندنا بين الصدق
وبين الكذب كما يكون ظاهر حال المدعي اذا ادعى بل انتم عندنا
مقصورون على الكذب لا تتجاوزونه الى الصدق كما تدعونه وما عليكم من
الرحمن منزل في شان رسالتكم ومن الوارد على قصر القلب قوله تع
حكاية عن عيسى عليه ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي
وربكم لانه قاله في مقام اشتمل على معنى انك يا عيسى لم تقل للناس ما

ما امرتك به انما امرتك ان تدعو الناس الى ان يعبدوا الله ثم انك
دعوتهم الى ان يعبدوا اياي وحدي الا ترى الى ما قبله واذ قال الله
يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون
الله وفي قصر الصفة على الموصوف افرادا ما شاعر الا زيد او ما جاء
الا زيد لمن يرى الشعر لزيد ولعمرو او المجيء لهما وقلبا ما شاعر الا زيد
ما جاء الا زيد لمن يرى ان زيدا ليس بشاعر وان زيدا ليس بجاء
وتحقيق وجه القصر في الاول هو انك بعد علمك ان نفس الذوات
لا يصح نفيها وانما ينفى صفاتها وتحقيق ذلك يطلب من علوم اخر
متى قلت ما زيد توجه النفي الى الوصف وحين لا نزاع في طوله
ولا قصره ولا سواده ولا بياضه وما شاكل ذلك واما النزاع في
كونه شاعرا او منجما او نحوهما لنفي فاذا قلت الا شاعر جاء القصر
وتحقيق وجه القصر في الثاني هو انك متى ادخلت النفي على
الوصف المسلم ثبوته وهو وصف الشعر وقلت ما شاعر او ما من شاعر

أو لا شاعر توجه حكم العقل إلى ثبوته للمدعى له إن عاما كقولك في
الدنيا شعراء أو في قبيلة كذا شعراء وإن خاصا كقولك زيد وعمرو
شاعران فيتناول النفي ثبوته لذلك فمتى قلت إلا زيد أفاد القصر و
مالكنها استعمال إنما كما تقول في قصر الموصوف على الصفة قصر
إفراد إنما جاء زيد إنما زيد يجيء لمن يردده بين المجيء والذهاب
من غير ترجيح لأحدهما أو قصر قلب لمن يقول زيد ذاهب لا جاء
وفي تخصيص الصفة بالموصوف إفرادا إنما يجيء زيد لمن يردد المجيء
بين زيد وعمرو أو يراه منهما وقلبا لمن يقول لا يجيء زيد ويضيف إليه الذهاب
والسبب في إفادة إنما معنى القصر هو تضمينه معنى ما وإلا ولذلك
تسمع المفسرين لقوله تعالى إنما حرم عليكم الميتة والدم بالنصب يقولون
معناه ما حرم عليكم إلا الميتة والدم وهو المطابق لقراءة الرفع المقتضية
لانحصار التحريم على الميتة والدم بسبب أن ما في قراءة الرفع يكون
موصولا صلته حرم عليكم واقعا اسما لإن ويكون المعنى إن المحرم عليكم

٩١

الميتة والدم وقد سبق أن قولنا المنطلق زيد وزيد المنطلق
كلاهما يقتضي انحصار الانطلاق على زيد وترى أئمة النحو يقولون إنما
للإثبات إثباتا لما يذكر بعدها ونفيا لما سواه ويذكرون لذلك وجها لطيفا
يسند إلى علي بن عيسى الربعي وأنه كان من أئمة النحو ببغداد وهو أن
كلمة إن لما كانت لتأكيد إثبات المسند للمسند إليه ثم اتصلت بها
ما المؤكدة لا النافية على ما يظنه من لا وقوف له بعلم النحو ضاعف
تأكيدها فناسب أن يضمن معنى القصر لأن قصر الصفة على الموصوف
وبالعكس ليس إلا تأكيدا للحكم على تأكيد ألا تراك متى قلت للمخاطب
يردد المجيء الواقع بين زيد وعمرو زيد جاء لا عمرو كيف يكون قولك زيد
جاء إثباتا للمجيء لزيد صريحا وقولك لا عمرو إثباتا ثانيا للمجيء لزيد ضمنا ومما
ينبه على أنه متضمن معنى ما وإلا صحة انفصال الضمير معه كقولك إنما
يضرب أنا مثله في ما يضرب إلا أنا قال الفرزدق أنا الذائد الحامي
الذمار وإنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي كما قال غيره

قد علمت سلمى وجاراتها ما قطّر الفارس الا انا ورابعها التقديم

تقول في قصر الموصوف على الصفة تميمي انا قصر افراد لمن يردد بين

قيس وتميم او قصر قلب لمن ينفك عن تميم ويلحق بقيس وكذا قائم

او قاعد هو بالاعتبارين بحسب المقام وفي قصر الصفة على الموصوف

افرادًا انا كفيت مهمك بمعنى وحدي لمن يعتقد انك وزيدًا كفيتما

مهمه وقلبًا انا كفيت مهمك بمعنى لا غيري لمن يعتقد كافي مهمه غيرك وكذا

زيدًا ضربت او ما زيدًا ضربت بالاعتبارين على ما تضمن ذلك فصل التقديم

وهذه الطرق تتفق من وجه وهو ان المخاطب بها يلزم ان يكون حاكمًا

حكمًا مشوبًا بصواب وخطاء وانت تطلب بها تحقيق صوابه ونفي

خطائه تحقيقه في قصر القلب كون الموصوف على احد الوصفين او كون

الوصف لاحد الموصوفين وهو صوابه ونفي تعيين حكمه وهو خطاؤه

وتحقيقه في قصر الافراد حكمه في بعض وهو صوابه وتنفيه عن البعض وهو

خطاؤه وتختلف من وجوه فالطرق الاول الثلاث دلالتها على التخصيص

بواسطة الوضع وجزم العقل ودلالة التقديم

عليه بواسطة الفحوى وحكم الذوق والطريق الاول الاصل

فيه التعرض للمثبت وللمنفي بالنص كما ترى في قولك زيد

شاعر لا منجم في قصر الموصوف على الصفة وزيد شاعر لا

عمرو في قصر الصفة على الموصوف لا تترك النص البتة الا حيث

يورث تطويلا ويكون المقام اختصارا كما اذا قال المخاطب

زيد يعلم الاشتقاق والصرف والنحو والعروض وعلم القافية

وعلم المعاني وعلم البيان فتقول زيد يعلم الاشتقاق لا غير

او ليس غير او ليس الا او كما اذا قال زيد يعلم النحو وعمرو وبكر

وخالد وفلان وفلان فتقول زيد يعلم النحو لا غير والطرق

الاخيرة الاصل فيها النص بما يثبت دون ما ينفى كما ترى في

قولك ما انا الا تميمي وانما انا تميمي وتميمي انا في قصر الموصوف على

الصفة وفي قصر الصفة على الموصوف ما جاء الا زيد وانما جاء زيد

وهو ان الطريق الاول لا يجامع الثاني فلا يصح ما زيد الا قائم
لا قاعد ولا ما يقوم الا زيد لا عمرو والسبب في ذلك هو ان لا العاطفة
من شرط منفيها ان لا يكون منفيا قبلها بغيرها من كلمات
النفي نحو جاء زيد لا عمرو ونحو زيد قائم لا قاعد ومتحرك لا ساكن او
موجود لا معدوم وممتنع تحقق شرطها هنا لان منفيها لا اقلت
ما يقوم الا زيد لا عمرو وما زيد الا قائم لا قاعد والذي سبق في
تحقيق وجه القصر في النفي والاستثناء يكشف لك الغطاء ويجامع
الطريق الاخيرين فيقال انما انا تميمي لا قيسي وهو يأتيني
زيد لا عمرو وهو يأتيني لا عمرو ووجه صحة مجامعة لا العاطفة انما
مع امتناع مجامعتها ما والا عند صحة ان يقال امتنع عن المجيء زيد
لا عمرو مع امتناع ان يقال ما جاء زيد لا عمرو وهو كون معنى النفي في
انما وفي قولك امتنع عن المجيء ضمنا لا صريحا لكن انما جامعت لا العاطفة
انما جامعتها بشرط وهو ان لا يكون الوصف بعد انما مما له في نفسه

نفسه اختصاص بالموصوف المذكور كقوله عز اسمه انما
يستجيب الذين يسمعون فان كل عاقل يعلم انه لا يكون استجابة
الا ممن يسمع ويعقل وقوله انما انت منذر من يخشيها فلا يخفى
على احد من ذي مسكة ان الانذار انما يكون انذارا ويكون له تاثيرا
اذا كان مع من يؤمن بالله وبالبعث والقيامة واهوالها و
يخشى عقابها وقولهم انما يعجل من يخشى الفوت فمن كوزنة العقول
ان من لم يخش الفوت لم يعجل واذا كان له اختصاص لم يحسن
فيه استعمال لا العاطفة فلا تقل انما يعجل من يخشى الفوت لا من
يأمنه وطريق النفي والاستثناء يسلك مع مخاطب تعتقد فيه انه
مخطئ وتراه يصر كما اذا رأيت لك شبحا من بعيد لم تقل ما ذاك الا
زيد لصاحبك الا وهو يتوهمه غير زيد ويصر على انكار ان يكون
اياه وما قال الكفار للرسل ان انتم الا بشر مثلنا الا والرسل
عندهم في معرض المنتفي عن البشرية والمنسلخ عنه حكمها نفيا

على جهلهم أن الرسول يمتنع أن يكون بشرا أو ما شبههم في موضع آخر
كيف تجد ما يخلو منهم هناك ينتفخ بما يتلوث به صماخك من نحو قولهم
هذا وهو ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا
تكذبون وما أعجب شأن المشركين ما رضوا للنبي أن يكون بشرا
ورضوا للإله أن يكون حجرا وأما قول الرسل لهم إن نحن إلا بشر
مثلكم فمن باب المجاراة وإرخاء العنان مع الخصم ليعثر حيث يراد
تبكيته كأنه مقول من قبل الرسل فما ادعيت أنك من شأنك كيت
وكيت فأنت تقوله نعم لنحن من شأننا كيت وكيت والحق في يدك
هنالك ولكن كيف يصح في دعواك ما أنت عليه وعلى هذا ما من موضع
يلتفت فيه إلى نحو إن أنت إلا والمخاطب عند المتكلم مرتكب للخطأ مع إصرار
إما تحقيقا إذا أخرج الكلام على مقتضى الظاهر وإما تقديرا إذا أخرج
لا على مقتضى الظاهر كقوله عز قائلا وما أنت بمسمع من في القبور
إن أنت إلا نذير لما كان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على هداية الخلق و

وما كان يتمناه شيئا سوى أن يرجعوا عن الكفر فيملكوا زمام السعادة
عاجلا وآجلا ومن رآهم لم يؤمنوا تداخله من الوجد والكآبة ما كاد
يبخع له حتى قيل له فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا و
يتساقط حسرات على توليهم وإعراضهم عن الحق وما كانت شفقته عليهم
تدعه يلقي حبلهم على غاربهم ليهيموا في أودية الضلال بل كانت
تدعوه أن يرجع إلى تزيين الإيمان لهم عودة على بدء عسى أن يسمعوا
ويعوا وأكبا في ذلك كل صعب وذلول أبرز لذلك في معرض
من ظن أنه يملك غرس الإيمان في قلوبهم مع إصرارهم على الكفر
فقيل له لست هناك إن أنت إلا نذير وقوله عز وعلا قل
لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب
لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم
يؤمنون مصبوب في هذا القالب وطريق إنما يسلك مع مخاطب
في مقام لا يصر على خطائه أو يجب عليه أن لا يصر على خطائه لا تقول

انما زيد يجي وانما يجي زيد الا والسامع متلق كلامك بالقبول ولهذا
لا يقول انما الله اله واحد الا ويجب على السامع ان يتلقاه بالقبول
والاصل في انما ان يستعمل في حكم لا يعترك بحقيقته اما لانه في نفس
الامر جلي او لانك تدعيه جليا فمن الاول قوله تع انما انت منذر
من يخشيها وقوله انما يستجيب الذين يسمعون وقولهم انما يعجل
من يخشى الفوت وقولك للرجل الذي ترققه على اخيه وتنبهه
للذي يجب عليه من صلة الرحم ومن حسن التحفي انما هو اخوك
ولصاحب الشرك انما الله اله واحد ومن الثاني قول الشاعر
انما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء ادعى
ان كون مصعب كذلك جلي وانه عادة للشعراء يدعون الجلاء
في كل ما يمدحون به ممدوحيهم الا ترى الى قوله وتعذلني افناء سعد عليهم
وما قلت الا بالذي علمت سعد ولى قوله لا ادعي لابي العلاء فضيلة
حتى يسلمها اليه عداه ولى قوله فيا من لديه ان كل امرء له نظير

91

نظير وان حاز الفضائل كلها ، وما حكي عن اليهود في قوله
عز وعلا واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن
مصلحون ادعوا على مجرى عادتهم في الكذب ان كونهم مصلحين
امر ظاهر مكشوف لا يشك فيه ولذلك اكد الامر جل وعلا تكذيبهم
حيث قال الا انهم هم المفسدون فجاء بالجملة اسمية ومعرفة الخبر باللام
وموسطة الفصل ومؤكدة بان ومصدرة بحرف التنبيه واذ قد ذكرنا
القصر فيما بين غيرهما كالفاعل والمفعول وكالمفعولين وذي الحال
والحال ونحن نذكره في ذلك بطريق النفي والاستثناء وطريق
انما دون ما سواها فلها هنالك عدة اعتبارات تراعى فلا بد من
تلاوتها عليك اعلم انك اذا اردت قصر الفاعل على المفعول
قلت ما ضرب زيد الا عمرا على معنى لم يضرب غير عمرو واذا اردت
قصر المفعول على الفاعل قلت ما ضرب عمرا الا زيد على معنى لم يضربه غير
زيد والفرق بين المعنيين واضح وهو ان عمرا في الاول لا يمتنع ان يكون

مضروب غير زيد ويسع في الثانية وان زيدا في الثالثة لم يسع ان يكون

ضاربا غير عمرو ويسع في الاول وذلك ان تقول في الاول ماضرب الا عمرا

زيد وفي الثالثة ماضرب الا زيد عمرا فتقدم وتوخر لان هذا التقديم

والتاخير لا يستلزم قصر الصفة على الموصوف قبل دوره في الا

لان الصفة المقصورة على عمرو في قولنا ماضرب زيد الا عمرا هي ضرب زيد

لا الضرب مطلقا والصفة المقصورة على زيد في قولنا ماضرب عمرا

الا زيد هي الضرب لعمرو واذا اردت قصر احد المفعولين على الاخر فنحو

كسوت زيدا جبة قلت في قصر زيد على الجبة ماكسوت زيدا الا جبة

او ماكسوت الا جبة زيدا وفي قصر الجبة على زيد ماكسوت جبة الا زيدا او

ماكسوت الا زيدا جبة وفي ظننت زيدا منطلقا تقول في قصر زيد على

الانطلاق ماظننت زيدا الا منطلقا او ماظننت الا منطلقا زيدا وفي

قصر الانطلاق على زيد ماظننت منطلقا الا زيدا او ماظننت الا زيدا

منطلقا واذا اردت قصر ذي الحال على الحال قلت ماجاء زيد الا راكبا او

او ماجاء الا زيد راكبا والاصل في جميع ذلك ضوان الا في الكلام الناقص

يستلزم ثلثة اشياء احدها المستثنى منه لكون الا للاخراج واستدعاء

الاخراج مخرجا منه وثانيها العموم في المستثنى منه لعدم المخصص

وامتناع ترجيح احد المساويين ولذلك تراناف علم النحو نقول

تانيث الضمير كانت في قراءة ابي جعفر المدني ان كانت الا صيحة

بالرفع وفي ترى الا المساكن في قراءة الحسن فاصبحوا لا

الا مساكنهم وفي بقيت في بيت ذي الرمة وما بقيت الا الضلوع الجراشع

للنظر الى ظاهر اللفظ والاصل التذكير لاقتضاء المقام معنى شي من

من الاشياء وثالثها مناسبة المستثنى منه للمستثنى في جنسه ووصفه

واعني بصفته كونه فاعلا او مفعولا او ذا حال او حالا الى ما ترى كيف

يقدر المستثنى منه في ماجاءني الا زيد مناسبا له في الجنس والوصف

الذي ذكرت نحو ماجاءني احد الا زيد وفي مارايت الا زيدا نحو مارايت

احدا الا زيدا وفي ماجاء زيد الا راكبا نحو ماجاء زيد كاينا على حال

من الاحوال الا راكبا وهذه المستلزمات تجب جميع تلك الاحكام
بيان ذلك انك اذا قلت ما ضرب زيد الا عمرا لزم ان يقدر قبل الا مستثنى
منه ليصح الاخراج منه ولزم ان يقدر عاما لعدم المخصص ولزم ان
ان يقدر مناسبا للمستثنى الذي هو عمرو في جنسه ووصفه فحينئذ
يجب ان يكون صورة الكلام الا هكذا ما ضرب زيد احدا الا عمرا واستلزم
هذا الكلام قصر الفاعل على عمرو والمفعول ضرورة وكذلك اذا قلت
ما ضرب الا عمرا زيد واذا قلت ما ضرب عمرا الا زيد لزم تقدير مستثنى منه
من جنس المستثنى بوصف العموم وبوصف المستثنى وحينئذ يكون
صورة الكلام هكذا ما ضرب عمرا احد الا زيد ويلزم ضرورة قصر المفعول
على زيد الفاعل واذا قلت ما كسوت زيدا الا جبة فيكون زيد مقصورا
على الجبة لا يتعداها الى ملبس آخر واذا قلت ما كسوت جبة الا
زيدا فيكون الجبة مقصورة على زيد لا تتعداه الى من عداه واذا قلت

كان المقدر ما كسوت جبة احدا الا زيدا

قلت ما جاء زيد الا راكبا كان المقدر ما جاء زيد كائنا على حال من الاحوال
الا راكبا واذا قلت ما اخترت رفيقا الا منكم كان المقدر ما اخترت
رفيقا من جماعة من الجماعات الا منكم واذا قلت ما اخترت منكم
الا رفيقا كان المقدر ما اخترت منكم احدا متصفا باي وصف كان
الا رفيقا وكذا اذا قلت ما اخترت الا رفيقا منكم بدل ان تقول ما اخترت
الا منكم رفيقا لم يخرج عن عرف وهذا يطلعك على الغرض من باب قول
الشاعر، لو خير المنبر فرسانه، ما اختار الا منكم فارسا، ومن ما
اذا قلت ما اختار الا فارسا منكم واذا عرفت هذه الجملة التي ذكرناها
فاعرف بعينه في انما لا تصنع شيئا غير ما ذكرته لك وامض في الحكم
غير مدافع نزل القيد الاخير من الكلام الواقع بعد انما منزلة المستثنى بالا
فقدر نحو انما يضرب زيد تقديره ما يضرب الا زيد ونحو انما يضرب زيد عمرا
تقديره ما يضرب زيد الا عمرا ونحو انما يضرب زيد عمرا يوم الجمعة تقديره ما يضرب
زيد عمرا يوم الجمعة الا في السوق وكذلك اذا قلت انما زيد يضرب فتقديره

الا يوم الجمعة ونحو انما يضرب زيد عمرا يوم الجمعة في السوق
تقديره ما يضرب زيد عمرا

تقديما زيد لا يجب ولا تجوز معه من التقديم والتاخير ما جوزته مع ما
والا ولا تتبسه في ذلك عليه فذاك اصل في باب القصر وهذا كالفرع عليه
والتقديم والتاخير هناك غير ملتبس وههنا موقع الالتباس ولذلك
تقدر انما هذا لك تقديره ما هذا الا لك واما لك هذا تقديره ما لك الا هذا حتى اذا
اردت الجمع من انما وطريق العطف قلت انما هذا لك لا لغيرك واما لك هذا
لا ذاك وانما ياخذ زيد لا عمرو وانما زيد ياخذ لا يعطي ومن هذا تعثر على الفرق
بين انما يخشى الله من عباده العلماء ومن انما يخشى العلماء من عباده الله
بتقديم المرفوع على المنصوب فالاول يقتضي انحصار خشية الله على العلماء
والثاني يقتضي انحصار خشية العلماء على الله واعلم ان حكم غير حكم الا
في افادة القصرين وامتناع مجامعة لا العاطفة تقول ما جاءني غير زيد اما
افرادا لمن يقول جاء زيد مع جاء اخر واما قلبا لمن يقول ما جاء زيد وانما جاء
مكانه انسان اخر ولا تقول ما جاءني غير زيد لا عمرو واعلم انه مهدت لك
في هذا العلم قواعد متى بنيت عليها اعجب كل شاهد بناؤها واعترف لك بكمال
الحاذق

الحذق في صناعة البلاغة ابناؤها ونهجت لك مناهج متى سلكتها
اخرجت بك عن الجبل المعتسف الى سواء السبيل وطرقتك عن الحجب
المطروف الى المنير الذي هو شفاء العليل ونصبت لك اعلاما متى انتحيتها
اعثرتك على ضوال منشودة وحشدت لك منها ما ليست عن اصره محشودة
ومثلت لك امثلة متى حذوت عليها امنت العثار في مظان الزلل ذات
ان تتصرف فما ينثني اليه عنانك يد الخطل ثم اذا كنت ممن ملك الذوق
السليم ونصفت كلام رب العزة اطلعتك على ما يورد لك معناك موارد
العزة وكشفت لغد بصيرتك عن وجه اعجازه القناع وفصلت لك
ما اجمله ابناؤه فلتك للصائغ على معارضته النزاع فان ملاك الامر في علم المعاني
هو الذوق السليم والطبع المستقيم فمن لم يرزقهما فعليه بعلوم اخر اشتغل
لم يحظ بطائل مما تقدم وما تاخر اذا لم يكن للمرء عين صحيحة فلا غرو ان يرتاب والصبح مسفر
معناه ان الخبر كثيرا ما يخرج لا على مقتضى الظاهر ويكون المراد به الطلب
فسنذكر ذلك في اخر القانون الثالث باذن الله تعالى

القانون الثاني

من علم المعاني وهو قانون الطلب وقد سبق ان حقيقة الطلب
حقيقة معلومة مستغنية عن التحديد فلا نتكلم هناك وانما نتكلم في
مقدمة يستدعيها المقام من بيان ما لا بد للطلب منه ومن تنوعه و
التنبيه على ابوابه في الكلام وكيفية توليدها لما سوى اصلها وهي ان لا
ارتياب في ان الطلب من غير تصور اجمالا او تفصيلا لا يصح وانه
يستدعي مطلوبا لا محالة ويستدعي فيما هو مطلوبه ان لا يكون حاصلا وقت
الطلب ولكن هذا المعنى عندك فسنفرع عليه فالطلب اذا تاملت
نوعان نوع لا يستدعي في مطلوبه امكان الحصول وقولنا لا يستدعي
ان يمكن اعم من قولنا يستدعي ان لا يمكن ونوع يستدعي فيه امكان
الحصول والمطلوب بالنظر الى ان لا واسطة بين الثبوت والانتفاء
يستلزم انحصاره في قسمين حصول ثبوت متصور وحصول انتفاء
متصور وبالنظر الى كون الحصول ذهنيا وخارجيا يستلزم انقساما
الى اربعة اقسام حصولين في الذهن وحصولين في الخارج ثم اذا لم يرد

104

بذلك الحصول في الذهن على التصور والتصديق لم يتجاوز اقسام المطلوب
ستة حصول تصور او تصديق في الذهن وحصول انتفاء تصور
او تصديق فيه وحصول ثبوت تصور او انتفائه في الخارج وطلب
حصول التصور في الذهن لا يخلو اما ان يتصل بمجمل او بمفصل
بالنسبة وتوجيه ذلك ان الانسان اذا صح منه الطلب بان ادرك اما تاما
كشيء ما او بالتفصيل بالنسبة الى شيء ثم طلب حصوله لذلك في
الذهن وامتنع طلب الحاصل توجه لا محالة الى غير حاصل وهو تفصيل المجمل
او تفصيل المفصل بالنسبة ثانيا النوع الاول من الطلب هو التمني
او ما ترى كيف تقول ليت زيدا جاءني فتطلب كون غير الواقع
فيما مضى واقعا فيه مع حكم العقل بامتناعه او كيف تقول ليت الشباب
يعود فتطلب عود الشباب مع جزمك بانه لا يعود او كيف تقول
ليت زيدا ياتيني او ليتك تحدثني فتطلب اتيان زيد وحديث صاحبك
في حال لا تتوقعهما ولا لك طماعية في وقوعهما اذ لو توقعت او طمعت

لاستعملت لعل او عسى واما الاستفهام والامر والنهي والنداء فمن
النوع الثاني اما الاستفهام فلطلب حصول في الذهن والمطلوب حصوله
في الذهن اما ان يكون حكما بشيء على شيء او لا يكون والاول هو التصديق
ويمتنع انفكاكه من تصور الطرفين والثاني هو التصور ولا يمتنع انفكاكه من
التصديق ثم المحكوم به اما ان يكون نفس الثبوت او الانتفاء كما تقول
الانطلاق ثابت او متحقق او موجود كيف شئت او ما الانطلاق ثابتا
فتحكم على الانطلاق بالثبوت والانتفاء وبالاطلاق اي ثبوتا كلا او لا
كذا بالتقييد كما تقول الانطلاق قريب او ليس بقريب فتحكم على الانطلاق
بثبوت القرب له او بانتفائه عنه لا مزيد للتصديق على هذين النوعين
والنوع الاول لا يحتمل الطلب لا في التصديق والمسند اليه لكون المسند فيه
وهو نفس الثبوت والانتفاء مستغنيا عن الطلب والثاني يحتمله في التصديق
وطرفيه واما الامر والنهي والنداء فللطلب الحصول في الخارج اما حصول
انتفاء متصور كقولك في النهي للمتحرك لا تتحرك فانك تطلب بهذا الكلام انتفاء

انتفاء الحركة في الخارج واما حصول ثبوته كقولك في الامر قم وفي
النداء يا زيد فانك تطلب بهذين الكلامين حصول قيام صاحبك
واقباله عليك في الخارج والفرق بين الطلب في الاستفهام والطلب
في الامر والنهي والنداء واضح فانك في الاستفهام تطلب ما هو في
الخارج ليحصل في ذهنك نقش له مطابق وفيما سواه تنقش في
ذهنك ثم تطلب ان يحصل له في الخارج مطابق فنقش الذهن في
الاول تابع وفي الثاني متبوع وتوفية هذه المعلنة حقها تستدعي
مجالا غير مجال ما نحن فيه فلنكتف بالاشارة اليها ومجرد التنبيه عليها واذ
قد عثرت على ما رفع لك فبالحري ان نبين كيف تتفرع من هذه الابواب
الخمسة التمني والاستفهام والنهي والامر والنداء ما يتفرع على سبيل
الجملة اذ لا بد منه ثم التفصيل لا أثنيه في علم البيان بتلاوتها عليك
ما تترقب من التفصيل هنالك ضمنا فنقول متى امتنع اجراء هذه
الابواب على الاصل تولد منها ما ناسب المقام كما اذا قلت لمن همك

ثمه ليتك تحدثني امتنع اجراء التمني والحال ما ذكر على اصله فطلب
الحديث من صاحبك غير مطموع في حصوله وولد بمعونة قرينة الحال
معنى السؤال او كما اذا قلت هل لي من شفيع في مقام لا يسع امكان
التصديق بوجود الشفيع امتنع اجراء الاستفهام على اصله وولد
بمعونة قرائن الاحوال معنى التمني وكذا اذا قلت لو ياتيني زيد فتحدثني
بالنصب طالبا لحصول الوقوع فما يفيد لو من تقدير غير الواقع واقعا
ولد التمني وبسبب توليد لعل معنى التمني في قولهم لعلي ساحج فازورك
بالنصب هو بعد المرجو عن الحصول او كما اذا قلت لمن تراه لا ينزل
الا تنزل فيصيب خيرا امتنع ان يكون المطلوب بالاستفهام التصديق
بحال نزول صاحبك لكونه حاصلا وتوجه بمعونة قرينة الحال الى نحو الا
تحب النزول مع محبتنا اياه وولد معنى العرض او كما اذا قلت لمن تراه
يؤذي الاب اتفعل هذا امتنع توجه الاستفهام الى فعل الايذاء لعلمك
بحاله وتوجه الى ما لا تعلم مما يلابسه من نحو استحسن وولد الانكار والزجر

اعلم ان لو ولعل ذكرهما على سبيل الاستطراد
وذلك لان كلامه مما يتولد عن الابواب الخمسة

او كما اذا قلت لمن يهجو اباه مع علمك بان هجو الاب ليس شيئا غير
هجو النفس هل تهجو الا نفسك او غير نفسك امتنع منك اجراء الاستفهام
على ظاهره لاستدعائه ان يكون الهجو احتمل عندك توجه الى غير و
وتولد منه بمعونة القرينة الانكار والتوبيخ او كما اذا قلت لمن يسيء
الادب الم اؤدب فلانا امتنع ان تطلب العلم بتاديبك فلانا وهو
حاصل وتولد منه الوعيد والزجر او كما اذا قلت لمن بعثت
اليه مهم وانت تراه عندك اما ذهبت بعد امتنع الذهاب عن توجه
الاستفهام اليه لكونه معلوم الحال واستدعى شيئا مجهول الحال
مما يلابس الذهاب اما يتيسر لك الذهاب وتولد منه الاستبطاء
والتحضيض او كما اذا قلت لمن يتصلف عندك وانت تعرفه الا
اعرفك امتنعت معرفتك به عن الاستفهام وتوجه الى مثل اتظنني
لا اعرفك وتولد الانكار والنفي والتعجب او كما اذا قلت لمن جاءك
اجئتني امتنع المجيء عن الاستفهام وتولد بمعونة القرينة التقرير او كما اذا قلت

لمن تدعى امر السب في وسعه افعله امتنع ان تكون المطلوب
بالامر حصول ذلك الامر في الخارج لحكمك عليه بامتناعه وتوجه
الى مطلب ممكن الحصول مثل بيان عجزه وتولد التعجيز والتحدي او
كما اذا قلت لعبد شتم مولاه انك ادبته حتى التاديب او وعدته
على ذلك ابلغ ايعاد اشتم مولاك امتنع ان تكون المراد الامر بالشتم
والحال ما ذكر وتوجه بمعونة قرينة الحال الى نحو اعرف لازم الشتم و
تولد منه التهديد او كما اذا قلت لعبد لا يمتثل امرك لا تمتثل امري
امتنع طلب ترك الامتثال لكونه حاصلا وتوجه الى غير حاصل مثل
لا تكترث لامري ولا تبال به وتولد التهديد والوعيد او كما اذا قلت لمن
اقبل عليك بتظلم يا مظلوم امتنع توجيه الندا الى طلب الاقبال
لحصوله وتوجه الى غير حاصل مثل زيادة الشكوى بمعونة قرينة الحال
وتولد منه الاغراء ولنقتصر على هذا فانه لم يستضئ بمصباح لم يستضئ بالصباح
ناقلين الكلام الى التصحيح لابواب الطلب والله اعلم

الباب الاول في التمني

اعلم ان الكلمة الموضوعة للتمني هي
ليت وحدها واما لو وهل فقد افاد بهما معنى التمني بالوجه ما سبق وكان
الحروف المسماة بحروف التنديم والتحضيض وهي هلا والا ولولا ولوما
ماخوذة منهما مركبة مع ما ولا المزيدتين مطلوبا بالتزام التركيب التنبيه
على التزام هل ولو معنى التمني فاذا قيل هلا اكرمت زيدا او الا تبدل
الهاء همزة او لولا او لوما فكان المعنى ليتك اكرمت زيدا متولدا منه معنى
التنديم واذا قيل هلا تكرم زيدا او لولا فكان المعنى ليتك تكرمه متولدا منه معنى
السؤال والتحضيض

الباب الثاني في الاستفهام

للاستفهام
كلمات موضوعة وهي الهمزة وام وهل وما ومن واي وكم وكيف واين
وانى ومتى وايان بفتح الهمزة وبكسرها وهذه اللغة اعني كسر همزتها تقوي
ايا ان يكون اصلها اي اوان وهذه الكلمات ثلثة انواع احدها يختص
طلب حصول التصور وثانيها يختص طلب حصول التصديق وثالثها
لا يختص وقد نبهت فيما سبق ان طلب التصور مرجعه الى تفصيل

المجمل ولا تفصيل المنفصل بالنسبة واذا تاملت طلب التصديق
وجدته راجعا الى تفصيل المجمل ايضا وهو طلب تعيين الثبوت
او الانتفاء في مقام التردد والهمزة من النوع الاخير تقول في
طلب التصديق أما حصل الانطلاق وازيد منطلق وفي طلب
التصور بها في طرف المسند اليه ادبس في الاناء ام عسل وفي
طرف المسند اي في الخابية دبس ام في الزق فانت في الاول
تطلب تفصيل المسند اليه وهو المظروف وفي الثاني تطلب
تفصيل المسند وهو الظرف وهل من النوع الثاني لا يطلب به
الا التصديق كقولك هل حصل الانطلاق وهل زيد منطلق
ولاختصاصه بالتصديق امتنع ان يقال هل عندك عمرو ام بشر
باتصال ام دون ام عندك بشر بانقطاعها وقبح هل رجل عرف
وهل زيدا عرفت لما سبق ان التقدم يستدعي حصول التصديق
بنفس الفعل فبينه وبين هل تدافع واذا استحضرت ما سبق

من التفاصيل في صدد التقدم عساك ان تهتدي الى الطويت
ذكره انا ولا بد للهل من ان تخصص الفعل المضارع بالاستقبال
فلا يصح ان يقال هل تضرب زيدا وهو اخوك كما تقول اتضرب زيدا
وهو اخوك في ان يكون الضرب واقعا في الحال ذلك كون هل لطلب
الحكم بالثبوت او الانتفاء وقد نبهت فيما قبل على ان الاثبات
والنفي لا يتوجهان الى الذوات وانما يتوجهان الى الصفات و
لاستدعائه التخصيص بالاستقبال لا يحتمل ذلك وانت تعلم ان الصفات
في الاستقبال انما تكون لصفات الذوات لا لنفس الذوات
لان الذوات من حيث هي هي ذوات فيما مضى وفي الحال وفي الاستقبال
استلزم ذلك مزيد اختصاص لهل دون الهمزة بما يكون كونه زمانيا
اظهر كالافعال ولذلك كان قوله عز وعلا فهل انتم شاكرون ادخل في الانباء
عن طلب الشكر من قولنا فهل تشكرون او فهل انتم تشكرون
او أفأنتم شاكرون لان هل تشكرون مفيد للتجدد وهل انتم تشكرون

كذلك وانا انتم شاكرون ان كان يبني من عدم التجدد لكنه دون هل
انتم شاكرون لثابت ان هل ادعى للفعل من الهمزة فترك الفعل
معه يكون افضل في المبنا عن استدعاء المقام عدم التجدد ولكون
هل ادعى للفعل من الهمزة لم يحسن هل زيد منطلق الا من البليغ
كما لم يحسن نظير قوله ليبك يزيد ضارع لخصومة من كل احد على ما سبق
في موضعه والخطب مع الهمزة في نحو ازيد منطلق اهون واما ما ومن
واي وكم وكيف واين وانى ومتى وايان فمن النوع الاول من طلب
حصول التصور على تفصيل بينهن لا بد من ايقافك عليه ليتضح مثل تطبيقها
في الكلام على ما يستوجب فنقول اما ما فللسؤال عن الجنس تقول ما عندك
بمعنى اي اجناس الاشياء عندك وجوابه انسان او فرس او كتاب او طعام
وكذلك تقول ما الكلمة وما الاسم وما الفعل وما الحرف وما الكلام وفي
التنزيل فما خطبكم بمعنى اي اجناس الخطوب خطبكم وفيه ما تعبدون من بعدي
اي اي من في الوجود تؤثرونه في العبادة او عن الوصف تقول ما زيد وما

عمرو وجوابه الكريم او الفاضل وما شاكل ذلك ولكونها للسؤال عن
الجنس وللسؤال عن الوصف وقع بين فرعون وموسى ما وقع لان
فرعون حين كان جاهلا بالله معتقدا ان لا موجود مستقلا بنفسه
سوى اجناس الاجسام اعتقاد كل جاهل لا نظر له ثم سمع موسى قال
انا رسول رب العالمين سال بما عن الجنس سؤال مثله فقال وما رب
العالمين كانه قال اي اجناس الاجسام هو وحين كان موسى عالما بالله
اجاب عن الوصف تنبيها على النظر المؤدي الى العلم بحقيقته الممتنعة
عن حقائق الممكنات فلما لم يتطابق السؤال والجواب عند فرعون الجاهل
عجب من حوله من الجماعة الجهلة فقال لهم الا تستمعون ثم استهزأ بموسى
وجننه فقال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وحين لم يرهم موسى يتفطنون
لما نبههم عليه في الكرتين من فساد مسئلتهم الحمقاء واستماع جوابه الحكيم غلظ في
الثالثة فقال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون ويحتمل
ان يكون فرعون قد سال بما عن الوصف لكون رب العالمين عنده مشتركا

بين نفسه وبين من دعاه اليه موسى في قوله انا رسول رب العالمين
لجهله وفرط عتوه وتسويل نفسه الشيطانية له ذلك الضلال الشنيع
من ادعاء الربوبية وارتكاب ان يقول انا ربكم الاعلى ونفخ الشيطان
في خيشومه المشئوم بتسلم اولئك البهائم له اياها واذعانهم له بذلك و
تلقيبهم اياه برب العالمين وشهرته فيما بينهم بذلك الى درجة دعت السحرة
اذ عرفوا الحق وخروا سجدا لله وقالوا امنا برب العالمين الى ان يعقبوه
بقولهم رب موسى وهرون نفيا لاتهامهم ان يعنوا فرعون وان يكون ذكر
السؤال من فرعون على طاعته ان يجري موسى في جوابه على نهج حاضريه
لو كانوا المسئولين في وجه بدله فبعثه المخلص لجهله بحال موسى وعدم
علمه بشأنه اذ كان ذلك المقام اول اجتماعه بموسى بدليل ما جرى فيه من
قوله اولو جئتك بشيء مبين قال فأت به ان كنت من الصادقين فحين
سمع المخلص لم يلبث تعجبا وتعجيبا واستهزاء وجنونا وتفيهقا ما تفيهق من
لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين واما من فالسؤال

الجنس من ذوي العلم تقول من هو بل يعني أبشر هو ام ملك
ام جني وكذا من ابليس ومن فلان ومن معهود منه قوله حكاية
عن فرعون فمن ربكما يا موسى اراد من مالككما ومدبر امركما املك
هو ام جني ام بشر منكم الهان يكون لهما رب سواه لادعائه الربوبية
لنفسه فاهتبله في سؤاله هذا الا معنى الا كان رب سواي فاجاب
موسى بقوله ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى كأنه قال نعم لنا
رب سواك وهو الصانع الذي اذا سلكت الطريق الذي بجادة
لما اوجد وتقديره اياه على ما قدر واتبعت فيه الخريت الماهر وهو العقل
الهادي عن الضلال لزمك الاعتراف بكونه ربا وان لا رب سواه
وان العبادة له مني ومنك ومن الخلق اجمع حق لا مدفع له واما اي
فللسؤال عما يميز احد المتشاركين في امر يعمهما تقول القائل عندي ثياب
فيقول اي الثياب هي فتطلب منه وصفا يميزها عندك عما يشاركها
في الثوبية قال تعالى حكاية عن سليمان ايكم يأتيني بعرشها اي الانسي ام الجني

بعد حكاية عن الكفار اي الفريقين خير مقاما اي انحن ام اصحاب محمد عليه السلام
واما كم فللسوال عن العدد اذا قلت كم درهما لك وكم رجلا رايت فكانك
قلت اعشرون ام ثلثون ام كذا ام كذا وتقول كم درهمك وكم مالك اي كم
دانقا وكم دينارا او كم ثوبك اي كم شبرا وكم ذراعا وكم زيد ماكث اي كم يوما
اوكم شهرا وكم رايتك اي كم مرة وكم سرت اي كم فرسخا اوكم يوما قال عز وجل
قال قايل منهم كم لبثتم اي كم يوما او كم ساعة وقال كم لبثتم في الارض عدد
سنين وقال سل بني اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومنه قول الفرزدق
كم عمة لك يا جرير وخالة • فدعاء قد حلبت علي عشاري • فمن روى بنصب
التميز واما كيف فللسوال عن الحال اذا قيل كيف زيد فجوابه صحيح او سقيم
او مشغول او فارغ او شبعان او جوعان فتنتظم الاحوال كلها واما اين فللسوال
عن المكان اذا قيل اين زيد فجوابه في الدار او في المسجد او في السوق
فتنتظم الاماكن كلها واما انى فتستعمل تارة بمعنى كيف قال تع فاتوا حرثكم انى
شئتم اي كيف شئتم واخرى بمعنى من اين قال تع انى لك هذا اي من اين

لك هذا واما متى وايان فهما للسوال عن الزمان اذا قيل متى
جئت او ايان جئت قيل يوم الجمعة او يوم الخميس او شهر كذا او سنة
كذا وعن علي ابن عيسى الربعي رحمة الله عليه امام ائمة بغداد في علم النحو
ان ايان تستعمل في مواضع التفخيم كقوله عز وجل يسال ايان يوم القيمة
يسالون ايان يوم الدين واعلم ان هذه الكلمات كثيرا ما يتولد منها
امثال ما سبق من المعاني بمعونة قراين الاحوال فيقال ما هذا ومن
هذا للتحقير والاستخفاف في التحقير وما لي للتعجب قال تع حكاية عن سليمن
ما لي لا ارى الهدهد واي رجل هو للتعجب وايما رجل وكم دعوتك
للاستبطاء وكم تدعوني للانكار وكم احلم للتهديد وكيف تؤذي اباك
للانكار والتعجب والتوبيخ وعليه قوله تع كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا
فاحياكم بمعنى التعجب ووجه تحقيق ذلك هو ان الكفار في حين صدور
الكفر منهم لا بد من ان يكونوا على احدى الحالتين اما عالمين بالله واما جاهلين
به فلا ثالثة فاذا قيل لهم كيف تكفرون بالله وقد علمت ان كيف للسوال

عن الحال وللكفر مزيد اختصاص بالعلم بالصانع وبالجهل به انساق حال

لذلك فافاد انه في العلم بالله تكفرون ام في حال الجهل به ثم قال اذا قيل

كيف تكفرون بالله بقوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وصار المعنى

كيف تكفرون بالله والحال حالكم على هذه القصة وهي ان كنتم امواتا

فصرتم احياء وسيكون كذا وكذا فهذا الكفر ابعد شيء عن العاقل فصار

وجوده منه مظنة التعجب ووجه بعده هو ان هذه الحالة تلزمه ان لا يكون

للعاقل علم بان له صانعا قادرا عالما حيا سميعا بصيرا موجودا غنيا في جميع

ذلك عن سواه قديما غير جسم ولا عرض حكيما خالقا منعما مكلفا مرسلا

للرسل باعثا مثيبا معاقبا وعلم بان لهذا الصانع يليه ان يكون صدور

الفعل عن العاقل مع الصارف القوي مظنة تعجب وتعجيب وانكار

وتوبيخ فصح ان يكون قوله كيف تكفرون للاخر لانه تعجبا وتعجيبا

وانكارا وتوبيخا وكذلك قال ابن مقبل للتوبيخ والتقريع والانكار

حال تذليل المخاطب قال يا ابن شركاء الذين كنتم تزعمون توبيخا للمخاطب

ونقريعا لهم لكونه سوالا في وقت الحاجة لطلب الاغاثة عمن كان يدعى له

انه يغيث وقال تعالى فاين تذهبون للتنبيه على الضلال وقال تعالى

نعيد على خاتن للتعجب او التعجيب والانكار وقال فانى تؤفكون انكارا وتوبيخا

وقال انى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين استبعادا لذكراهم وكذا

وانى لهم التناوش من مكان بعيد وقال متى قلت هذا للجحد والانكار

ومتى تفعل شانك للاستبطاء وقد عرفت الطريق فراجع نفسك واذا

سلكتها فاسلكها عن كل التيقظ لا التعنت فلا تجوز بعدما عرفت ان

التقديم يستدعي العلم بحال نفس الفعل وقوعا او غيره وقوع ازيدا ضربت

سائلا عن حال وقوع الضرب ولا انت ضربت زيدا بنية التقديم ولا عله

نوضح ازيدا ضربت ام لا ولا انت ضربت زيدا ام لا بنية التقديم ولكن

ان شئت ام فعل ازيدا ضربت ام عمرا وانت ضربت زيدا ام عمرو

ان اردت بالاستفهام التقرير فاحذه على مثال الاثبات وقل حال

تقرير الفعل اضربت زيدا او انضرب زيدا وقل حال تقرير انه الضارب

دون عمرو ءانت ضربت زيداً كما قال تع ءانت فعلت هذا بآلهتنا يا
ابراهيم او ان زيداً مضروب ازيداً ضربت وان اردت به الانكار فانسجه
على منوال النفي فقل في انكار نفس الضرب اضربت زيداً او قل ازيداً
ضربت ام عمراً فانك اذا انكرت من يردد الضرب بينهما تولد منه انكار
الضرب على وجه برهاني ومنه قوله تع آالذكرين حرم ام الانثيين
وفي انكار انه الضارب ءانت ضربت زيداً وفي انكار ان زيداً مضروب
ازيداً ضربت كما قال تع قل اغير الله اتخذ ولياً وقال اغير الله تدعون
ومنه ايضاً قوله ابشراً منا واحداً نتبعه فتذكر ولا تغفل عن التفاوت
بين الانكار للتوبيخ على معنى لم كان او لا يكون كقولك اعصيت ربك او
اتعصي ربك وبين الانكار للتكذيب على معنى لم يكن او لا يكون كقوله تع
افاصفيكم ربكم بالبنين وقوله اصطفى البنات على البنين وقوله انلزمكموها
واياك ان يزل عن خاطرك التفصيل الذي سبق في نحو انا ضربت
وانت ضربت وهو ضرب من احتمال الابتداء واحتمال التقديم وتفاوت

تفاوت المعنى في الوجهين فلا تحمل نحو قوله تع آلله اذن لكم على
التقديم فليس المراد ان الاذن ينكر من الله دون غيره ولكن
احمله على الابتداء مراداً منه تقوية حكم الانكار وانظم في هذا السلك
قوله تع افانت تكره الناس وقوله افانت تسمع الصم او تهدي
العمي وقوله اهم يقسمون رحمة ربك وما جرى مجراه وقد عرفت
ان هذه الكلمات للاستفهام وعرفت ان الاستفهام طلب وليس
يخفى ان الطلب انما يكون لما يهمك ويعنيك شأنه لا لما وجوده وعدمه
عندك بمنزلة وقد سبق ان كون الشيء مهماً جهة مستدعية لتقديمه
في الكلام فلا يخفى عليك لزوم كلمات الاستفهام صدر الكلام ووجوب
التقديم في نحو كيف زيد واين عمرو ومتى الجواب وما شاكل ذلك

الباب الثالث في الامر وللامر حرف واحد وهو اللام الجازم

في قولك ليفعل وصيغ مخصوصة سبق الكلام في ضبطها في علم الصرف
وعدة اسماء ذكرت في علم النحو والامر في لغة العرب عبارة عن استعمالها

اعلم استعمال نحو لينزل وانزل ونزال وصه على سبيل الاستعلاء
واما ان هذه الصور والتي هي من قبيلها هل هي موضوعة لذلك وهي حقيقة
فيه لتبادر الفهم عند استماع نحو قم وليقم زيد الى جانب الامر وتوقف
ما سواه من الدعاء والالتماس والندب والاباحة والتهديد على
اعتبار القرائن واطباق ائمة اللغة على اضافتهم نحو قم وليقم الى الامر بقولهم
صيغة الامر ومثال الامر ولام الامر دون ان يقولوا صيغة الاباحة
ولام الاباحة مثلا ثم ذلك وتحقيق معنى الحقيقة والمجاز موضعه علم
البيان فيذكر هناك ان شاء الله تعالى ولا شبهة في ان طلب المتصور
على سبيل الاستعلاء يورث ايجاب الاتيان به على المطلوب منه ثم اذا
كان الاستعلاء ممن هو اعلى رتبة من المامور استتبع ايجابه وجوب
الفعل بحسب جهات مختلفة والا لم يستتبعه فاذا صادفت هذه اصل الاستعمال
بالشرط المذكور افادت الوجوب والا لم تفد غير الطلب ثم انها حينئذ تولد
بحسب قرائن الاحوال ما ناسب المقام ان استعملت على سبيل التضرع كقولنا

كقولنا اللهم اغفر وارحم ولدت الدعاء وان استعملت على سبيل التلطف
كقول كل واحد لمن يساويه في المرتبة افعل بدون الاستعلاء ولدت
السؤال او الالتماس كيف عبرت عنه وان استعملت في مقام الاذن
كقولك جالس الحسن او ابن سيرين لمن يستاذن في ذلك بلسانه او لسان
حاله ولدت الاباحة وان استعملت في مقام تسخط المامور به ولدت التهديد
على ما تقدم الكلام في امثال ذلك

الباب الرابع في النهي

للنهي حرف واحد وهو لا الجازم في قولك لا تفعل والنهي محذو به حذو الامر في
ان اصل استعمال لا تفعل ان يكون على سبيل الاستعلاء بالشرط المذكور
فان صادف ذلك افاد الوجوب والا افاد طلب الترك فحسب ثم ان استعمل
على سبيل التضرع كقول المبتهل الى الله لا تكلني الى نفسي سمي دعاء وان استعمل
في حق المساوي الرتبة لا على سبيل الاستعلاء سمي التماسا وان استعمل في
حق المستاذن سمي اباحة وان استعمل في مقام تسخط الترك سمي تهديدا
والامر والنهي حقهما الفور والتراخي يتوقف على قرائن الاحوال لكونهما للطلب

ولكون الطلب في استدعاء تحصيل المطلوب اظهر منه في عدم الاستدعاء
لو عند الانصاف والنهي لطلب حال المطلوب باخويها وهما الاستفهام والنداء
مبنية على ذلك صلح ترتبه على ذلك تبادر الفهم اذا امر المولى عبده
بالقيام ثم امره قبل ان يقوم بان يضطجع وينام حتى المساء الى ان المولى
غير الامر دون تقدير الجمع بينهما في الامر وارادة التراخي للقيام وكذا استحسان
العقلاء عند امر المولى عبده بالقيام او القعود او عند نهيه اياه اذا لم يتدارك
ذلك ذمه واما الكلام في ان الامر اصل في المرة ام في الاستمرار
وان النهي اصل في الاستمرار ام في المرة كما هو مذهب البعض فالوجه هو
ان ينظر ان كان الطلب بها راجعا الى قطع الواقع كقولك في الامر للساكن
تحرك وفي النهي للمتحرك لا تتحرك فلا يشبه المرة وان كان الطلب بها راجعا
الى اتصال الواقع كقولك في الامر للمتحرك تحرك ولا تتحرك هذا طلبا للحاصل فان
الطلب حال وقوعه يتوجه الى الاستقبال كما نبهت عليه في صدر القانون
ولا وجود في الاستقبال قبل صيرورته حالا وقولك النهي للمتحرك لا تسكن فلا يشبه الاستمرار

الاستمرار واعلم ان هذه الابواب الاربعة التمني والاستفهام والامر و
النهي تشترك في الاعانة على تقدير الشرط بعدها كقولك في التمني ليت لي
مالا انفقه على معنى ان ارزقه انفقه وقولك في الاستفهام اين بيتك ازرك
على معنى ان تعرفنيه او ان اعرفه ازرك واما العرض كقولك الا تنزل تصب
خيرا على معنى ان تنزل تصب خيرا فليس بابا على حدة واما هو مولد من
الاستفهام كما عرفت وقولك في الامر اكرمني اكرمك وقال تعالى فهب لي من
لدنك وليا يرثني بالجزم واما قراءة الرفع فلا وجه لحملها على الاستيناف بل
دون الوصف لئلا يلزم منه انه لم يوهب من وصف لهلاك يحيى قبل
زكريا وقال تعالى قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم
ومنهم من يضمر لام الامر مع يقيموا الا ان اضمار الجازم نظير اضمار الجار
فانظر او قولك في النهي لا تشتم يكن خيرا لك على معنى ان لم تشتم يكن خيرا
لك وتقدير الشرط لقرائن الاحوال غير ممتنع قال تعالى فلم تقتلوهم ولكن
الله قتلهم على تقدير فان افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم وقال فالله هو الولي

على تقدير ان ارادوا ولياً بحق فالله هو الولي بالحق لا ولي سواه وامثال
ذلك في القرآن كثيرة وكذا تقدير الجزاء لما كذلك قال ان كان من عند الله
وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ترك
الجزاء وهو ألستم ظالمين لذكر الظلم عقيبه في قوله ان الله لا يهدي القوم
الظالمين

الباب الخامس في النداء

ما يتعلق بالنداء من حروفه
وتفصيل الكلام في معانيها سبق التعرض لذلك في علم النحو فلا نتكلم
فيه ولكن ههنا نوع من الكلام صورته صورة النداء وليس بنداء فننبه
عليه وتلك الصورة هي قولهم اما انا فافعل كذا ايها الرجل ونحن نفعل
كذا ايها القوم واللهم اغفر لنا ايتها العصابة يراد بهذا النوع من الكلام
الاختصاص على معنى انا افعل كذا متخصصا بذلك من بين الرجال ونحن
نفعل كذا متخصصين من بين الاقوام واللهم اغفر لنا مخصوصين من بين
العصائب واعلم ان الطلب كثيرا ما يخرج لا على مقتضى الظاهر وكذلك
الخبر فيذكر احدهما في موضع الآخر ولا يصار الى ذلك الا لتوخي نكتة قلما

فلما يتفطن لها من لا يرجع الى دربة وصاحب حنكة في نوعنا هذا
ولا يفض فيه بفرس فارط والكلام بذلك متى صادف مقامات البلاغة
اثر لك عن السحر الحلال ما شئت ومن النكات ما قد سبق في
أن نظم الكلام اذا استحسن من بليغ لا يمتنع ان لا يستحسن مثله من
غير البليغ وان اتحد المقام اذ لا شبهة في صحة اختلاف النظم مقبولا
وغير مقبول عند اختلاف المقام فلا بد لحسن الكلام من انطباق له على
ما لاجله يساق ومن صاحب لا عراف بجهات الحسن لا يتخطاها
والا لم يمتنع حمل الكلام منه على غيرها وتعري عن الحسن لذهاب
كسوته ولا بدع مع ذلك من اذني لافتنانات البلاغة مصوغة فالآفة
العظمى والبلية الكبرى لتلك الافتنانات الا من اضيعه هي لغيرها
مخلوقة اذا اتصل بذوبها كلام لم تزن به الدر الثمين فشحذهم جهلهم
مستخفا بفوقه فيه المثعلب ولا مرما اخذ القرآن متفاوت العذر ارتفاعا
واغلطا ابن العلاء في نوعنا هذا ومن ابجله والجهات المحسنة

لاستعمال الخبر في موضع الطلب نكتة تارة تكون قصد التفاؤل بالوقوع
كما اذا قيل في مقام الدعاء اعاذك الله من الشبهة وعصمك من الحيرة
ووفقك للتقوى لبقاء له بلفظ الماضي على عدّها من الامور الحاصلة
التي حقها الاخبار عنها بافعال ماضية وانه نوع مستحسن الاعتبار وقلّ
في ذا الحسن اعتبار ما هو ابعد كاباء الكتّاب في حق المخدرات لفظ حرام
وما هو أبعد وأبعد كاباء اهل الظرف اهداء السفرجل للاحبة
لاستعمال اسمه اذا سمي بالعربية على حروف سفرجل فما ظنك بالتورية وهل
خلع هارون على كاتبه اذا ساله عن شئ فقال لا وايد الله امير المؤمنين
الا انه لم يسمع ما عليه الاغبياء فما بينهم من لا ايدك الله بترك الواو او غير هارون
حين خرج الى ناحية لمطالعة عماراتها واستقراء أماراتها وقد تراءت له في
طريقه شجرة من بعيد فسال عنها كاتبا بصحبته فقال الكاتب شجرة الوفاق
تفاديا عن لفظ الخلاف فكساه أفترى ذلك لغير ما نحن فيه او هل حين
غضب الداعي على شاعره ابي مقاتل الضرير حين انشد موعد احبابك للفرقة

غد اغضبته شئ غير معنى التفاؤل حتى قال له موعد احبابك يا اعمى
ولك المثل السوء وامر باخراجه وهل تسمية العرب الفلاة مفازة و
العطشان ناهلا واللديغ سليما وما شاكل ذلك الا من باب التفاؤل
فالمفازة هي المنجاة والناهل هو الريّان والسليم هو ذو السلامة وتارة
لاظهار الحرص في وقوعه فالطالب متى تبالغ حرصه فيما يطلب ربما انتقشت
في الخيال صورته لكثرة ما يناجي به نفسه فيخيّل اليه غير الحاصل حاصلا حتى اذا
حكم الحسّ بخلافه غلّطه تارة واستفتح له محملا اخرى وعليه قول شيخ
المعرّة ما سرت الا وطيف منك يصحبني سرى امامي وتأويبا على اثري
يقول لكثرة ما ناجيت نفسي بك انتقشت في خيالي فاعدّك بين يدي
مغلّطا للبصر بعلّة الظلام اذا لم يدركك ليلا امامي واعدّك خلفي اذا لم
يتيسر في تغليطه حين لا يدركك بين يدي نهارا وتارة لقصد الكناية
كقول العبد للمولى اذا حوّل عنه الوجه ينظر المولى الي ساعة ووجه
حسنه اما نفس الكناية ان شئت واما الاحتراز عن صورة الامر واما

وتارةً لحمل المخاطب على المذكور ابلغ حمل بالطف وجه كما اذا سمعت من
لا تحب ان ينسب اليه الكذب يقول لك تاتيني غدا او لا تأتيني وتارةً مناسبات
اخر فتاملها فانها كثيرة وما من آية من آي القرآن واردة على هذا الاسلوب
الا ومدارها على شيء من هذه النكت قال تع واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل
لا تعبدون في موضع لا تعبدوا واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم في
موضع لا تسفكوا يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب
اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله في موضع آمنوا وجاهدوا
فانظر ومن هذا القبيل قول كل من يقول من البلغاء في الدعاء رحمه الله
او يرحمه الله ومن الجهات الحسنة لايراد الطلب في مقام الخبر اظهار معنى
الرضا بوقوع الداخل تحت لفظ الطلب اظهارا له درجة كأن المرضي
مطلوب قال كثير أسيئي بنا او أحسني لا ملومة فذكر لفظ الامر بالاساءة
ثم عطف عليه بلفظ او الامر بضد الاساءة تنبيها بذلك على ان ليس المراد
بالامر الايجاب المانع عن الترك لكن المراد هو الاباحة التي لا تنافي تخيّر

تخيّر المخاطب بين ان يفعل وان لا يفعل فاعلا كل ذلك لتوخي اظهار
معنى الرضا باي ما اختاره في حقه من الاساءة او الاحسان او توخي
اظهار نفي ان يتفاوت وقوعا وعدمَ وقوعٍ كما تقول صم او لا تصم فانت
لا تريد الصيام توهم من تخاطب انك تطلب منه ان تصوم وتنظر في
حالك او لا تصوم وتنظر ليتبين لك انك لا تبالي على الصيام صاموا او لم يصوموا
وعليه قوله تع استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة
فلن يغفر الله لهم وكذا قوله انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم وما شاكل
ذلك من لطائف الاعتبارات والامر في باب التعجب من نحو اكرم بزيد على
قول من يقول انه بمعنى الخبر آخذ ما حربه من قبيل ذي كذا جاعلا الباء زائدة
مثلها في كفى بالله متوطنة في هذا السلك ولهذا النوع اعني اخراج الكلام لا على
مقتضى الظاهر اساليب متفننة اذ ما من مقتضى كلام ظاهري الا ولهذا
النوع مدخل فيه بجهة من جهات البلاغة على ما تنبه على ذلك منذ اعتنينا
بشأن هذه الصناعة ونرشد اليه تارة بالتصريح وتارات بالفحوى ولكل

من تلك الأساليب عرفت في البلاغة تتشعب من أفانين سحرها ولا
كالأسلوب الحكيم فيها وهو تلقي المخاطب بغير ما يترقب كما قال

أتت تشتكي عندي مزاولة القرى ✽ وقد رأت الضيفان ينحون منزلي

فقلت كأني ما سمعت كلامها ✽ هم الضيف جدي في قراهم وعجلي

أو السائل بغير ما يتطلب كما قال يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس
والحج قالوا في السؤال ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يتزايد قليلا
قليلا حتى يمتلئ ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ فأجيبوا بما ترى
وكما قال يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين
واليتامى والمساكين وابن السبيل سألوا عن شأن ما ينفقون فأجيبوا
ببيان المصرف ينزل سؤال السائل منزلة سؤال غيره لتوخي
التنبيه له بألطف وجه على تعديه عن موضع سؤال هو أليق بحاله أن يسأل
عنه أو أهم له إذا تأمل وإن هذا الأسلوب الحكيم لربما صادف المقام فحرك
من نشاط السامع ما سلبه حكم الوقور وأبرزه في معرض المسحور وهل ألان

شكيمة الحجاج لذلك الخارجي وسل سخيمته حتى آثر أن يحسن
على أن يسيء غير أن سحره بهذا الأسلوب إذ توعده الحجاج بالقيد في قوله
لأحملنك على الأدهم فقال متغابيا مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب
مبرزا وعيده في معرض الوعد متوصلا أن يريه بألطف وجه أن امرءا
مثله في مسند الإمرة المطاعة خليق بأن يصفد لا أن يصفد وأن يعد
لا أن يوعد ولكن هذا آخر كلامنا الآن في علم المعاني منتقلين عنه إلى
علم البيان بتوفيق الله تعالى وعونه حتى إذا قضينا الوطر من إيراد ما ننبه
لا نحن له استأنفنا الخوض في التعرض للعلمين لنتمم المراد منهما على حسب
المقامات إن شاء الله تعالى

الفصل الثاني في علم البيان

والخوض فيه يستدعي تمهيد قاعدة وهي أن محاولة إيراد المعنى الواحد
بطرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان بالدلالات
الوضعية غير ممكن فإنك إذا أردت تشبيه الخد بالورد في الحمرة مثلا
وقلت خد يشبه الورد في الحمرة امتنع أن يكون كلام مؤد لهذا المعنى بالدلالة

الوضعية اكمل منه في الوضوح او انقص فانك اذا القيت نظام كل
كلمة منها ما يرادفها فالسامع ان كان عالما بكونها موضوعة لتلك المفهومات
كان فهمه منها كفهمه من تلك من غير تفاوت في الوضوح والا لم يفهم شيئا
اصلا وانما يمكن ذلك في الدلالات العقلية مثل ان يكون لشيء تعلق
بآخر ولثان بثالث فاذا اريد التوصل بواحد منها الى المتعلق به حتى
تفاوتت تلك الطرق في وضوح التعلق وخفائه صح في طريق افادته الوضوح
والخفاء واذا عرفت هذا عرفت ان صاحب علم البيان له فضل احتياج
الى التعرض لانواع دلالات الكلام فنقول لا شبهة في ان اللفظ متى كانت
موضوعة لمفهوم امكن ان تدل عليه من غير زيادة ولا نقصان بحكم الوضع
وتسمى هذه دلالة المطابقة ودلالة وضعية ومتى كان لمفهومها ذلك ولنسمه
اصليا تعلق بمفهوم آخر امكن ان تدل عليه بوساطة ذلك التعلق بحكم العقل
سواء كان ذلك المفهوم الآخر داخلا في مفهومها الاصلي كالسقف في مفهوم
البيت وتسمى هذه دلالة التضمن ودلالة عقلية ايضا او خارجا عنه كالحائط عن

عن مفهوم السقف في مفهوم البيت وتسمى هذه دلالة الالتزام عقلية
ايضا ولا يجب في ذلك التعلق ان يكون مما يثبته العقل بل ان كان
مما يثبته اعتقاد المخاطب اما لعرف او لغير عرف امكن المتكلم ان
يطمع من مخاطبه ذلك في صحة ان ينتقل ذهنه من المفهوم
الاصلي الى الآخر بوساطة ذلك التعلق بينهما في اعتقاده واذا عرفت
ان ايراد المعنى الواحد في صور مختلفة لا يتاتى الا في الدلالات
العقلية وهي الانتقال من معنى الى معنى بسبب علاقة بينهما كلزوم احدهما
للآخر بوجه من الوجوه ظهر لك ان علم البيان مرجعه اعتبار الملازمات
بين المعاني ثم اذا عرفت ان اللزوم اذا اقتصر بين الشيئين فاما
ان يكون من الجانبين كالذي بين الامام والخلف بحكم العقل او بين
طول القامة وبين طول النجاد بحكم الاعتقاد او من جانب واحد كالذي
بين العلم والحياة بحكم العقل او بين الاسد والجرأة بحكم الاعتقاد
ظهر لك ان مرجع علم البيان اعتبار هاتين الجهتين جهة الانتقال

من ملزوم الى لازم وجهة الانتقال من لازم الى ملزوم ولم يتبين لك بظاهر الانتقال من احد لازمي الشي الى الآخر مثل ما اذا انتقل من بياض الثلج الى البرودة فوجه ما ذكر ينتقل من البياض الى الثلج ثم من الثلج الى البرودة فتامل واذ ظهر لك ان مرجع علم البيان معاني الجهتان علمت ان انصباب علم البيان الى التعرض للمجاز والكناية فان المجاز ينتقل فيه من الملزوم الى اللازم كما تقول رعينا غيثا والمراد لازمه وهو النبت وقد سبق ان اللزوم لا يجب ان يكون عقليا بل ان كان اعتقاديا اما لعرف او لغير عرف صح البناء عليه واما نحو قولك امطرت السماء نباتا اي غيثا من المجازات المنتقل فيهما عن اللازم الى الملزوم فخرط في سلك رعينا الغيث وفصل ترجيح المجاز على الحقيقة والكناية على التصريح اذا انتهينا اليه يطلعك على كيفية انخراطه في سلكه باذن الله تعالى والمطلوب بهذا التكلف هو الضبط واعلم ان الكناية ينتقل فيها من اللازم الى الملزوم كما تقول فلان طويل النجاد والمراد طول القامة الذي هو ملزوم طول

طول النجاد فلا يصار الى جعل النجاد طويلا او قصيرا الا لكون القامة طويلة او قصيرة فلا علينا ان نتخذهما اصلين واذ لا يخفى ان طريق الانتقال من الملزوم الى اللازم طريق واضح بنفسه ووضوح طريق الانتقال من اللازم الى الملزوم انما هو بالغير وهو العلم بكون اللازم مساويا للملزوم او اخص منه فلا عتب في تاخير الكناية لكونها ما تنظر الى هذه الجهة نازلة من المجاز منزلة المركب من المفرد ثم ان المجاز في الاستعارة من حيث انها من فروع التشبيه كما ستقف عليه لا يتحقق بمجرد حصول الانتقال من الملزوم الى اللازم بل لا بد فيها من تقدمة تشبيه شي بذلك الملزوم في لازم له تستدعي تقدم التعرض للتشبيه فلا بد من ان ناخذه اصلا ثالثا ونقدمه فهو الذي اذا مهر فيه ملك زمام التدرب في فنون السحر البياني

الاصل الاول من علم البيان في الكلام في التشبيه

لا يخفى عليك ان التشبيه مستدعي طرفين مشبها ومشبها به واشتراكا بينهما من وجه وافتراقا من آخر مثل ان يشتركا

في الحقيقة ومختلفين في الصفة او بالعكس فالاول كالانسانين اذا اختلفا
صفة طولا وقصرا والثاني كالطويلين اذا اختلفا حقيقة انسانا وفرسا
والا فانت خبير بان ارتفاع الاختلاف من جميع الوجوه حتى التعين يأبى
التعدد فيبطل التشبيه لان تشبيه الشيء لا يكون الا وصفا له بمشاركته
المشبه به في امر والشيء لا يتصف بنفسه كما ان عدم الاشتراك بين
الشيئين في وجه من الوجوه يمنعك من محاولة التشبيه بينهما لرجوعه
الى طلب الوصف حيث لا وصف وان التشبيه لا يصار اليه الا لغرض
وان حاله تتفاوت بين القرب والبعد وبين القبول والرد فهذا القدر
المجمل لا يحوج سامعه الى نظر انما المحوج هو تفصيل الكلام في مضمونه وهو
طرفا التشبيه ووجه التشبيه والغرض في التشبيه واحوال التشبيه
لكونه قريبا او غريبا مقبولا او مردودا فظهر من هذا انه لا بد من النظر في
هذه المطالب الاربعة فلنتنوع اربعة انواع النوع الاول النظر في طرفي
التشبيه المشبه والمشبه به اما ان يكونا مستندين الى الحس كالخد عند التشبيه

التشبيه بالورد في المبصرات وكالاطيط عند التشبيه بصوت الفراريج
في المسموعات وكالنكهة عند التشبيه بالعنبر في المشمومات وكالريق عند
التشبيه بالخمر في المذوقات وكالجلد الناعم عند التشبيه بالحرير في الملموسات
واما ان يستندا الى الخيال كالشقيق عند التشبيه باعلام ياقوت منشرة
على رماح من الزبرجد فهو في الحسيات مطرود تقليلا للاعتبار وتسهيلا
على المتعاطي واما ان يكونا مستندين الى العقل كالعلم اذا شبه بالحيوة
واما ان يكون المشبه معقولا والمشبه به محسوسا كالعدل اذا شبه
بالقسطاس وكالمنية اذا شبهت بالسبع وكحال من الاحوال اذا شبهت
بناطق او بالعكس من ذلك كالعطر اذا شبه بخلق كريم واما الوهميات
المحضة كما اذا قدرنا صورة وهمية محضة مع المنية مثلا شبهناها بالمخلب
او بالناب المحققين فعلنا افترست المنية فلانا بشيء هو لها شبيه بالمخلب
او بشيء هو لها شبيه بالناب او مع الحال ثم شبهناها باللسان فعلنا نطقت
الحال بشيء هو لها شبيه باللسان المحقق فالعقليات وكذا الوجدانيات

كالذكاء والعلم والتشبيع والجمع فاعرفه النوع الثاني الطرف وجه التشبيه
لما انحصر التشبيه من ان يكون الاشتراك بالحقيقة والافتراق بالصفة
فان مثل جسمين ابيض واسود وكذا مثل انف وفرس فهما مشتركان بالحقيقة
ومعنى العضو المعلوم وانما يفترقان باتصاف احدهما بالاختصاص بالانسان
واتصاف الآخر بالاختصاص بالمرسونات وما جرى مجراها من نحو شفة
وجحفلة ورجل وحافر ومن ان يكون الاشتراك بالصفة والافتراق
بالحقيقة اخرى مثل طويلين جسم وخط والوصف حينئذ انحصر من ان
يكون مستند الى الحس كالكيفيات الجسمانية مثل الاتصاف بما يدرك
بالبصر من الالوان والاشكال والمقادير والحركات وما يتصل بها من الحسن
والقبح وغير ذلك او ما يدرك بالسمع من الاصوات الضعيفة او القوية
او الملائمة ومن او ما يدرك بالذوق من انواع الطعوم او ما يدرك بالشم
من انواع الروائح او ما يدرك باللمس من الحرارة والبرودة والرطوبة و
اليبوسة والخشونة والملاسة واللين والصلابة ومن الخفة والثقل وما

وما يتصل بها ومن ان يكون مستند الى العقل والعقلي ايضا لما انحصر
من حقيقي كالكيفيات النفسانية مثل الاتصاف بالذكاء والتيقظ والمعرفة
والعلم والقدرة والكرم والسخاء والحلم والغضب وما جرى مجراها من
الغرائز والاخلاق ومن اعتباري ونسبي كاتصاف الشيء بكونه مطلوب
الوجود او العدم عند النفس او بكونه مطموعا فيه او بعيدا عن الطمع او
شيء انتصوري وصفي محض ومن المعلوم عندك ان الحقائق منقسمة
الى بسائط وذوات اجزاء مختلفة وان في الصفات ما مرجعها امر واحد
وما مرجعها اكثر ظهر لك ما ذكر ان وجه التشبيه يحتمل ان يتفاوت
فنقول وبالله التوفيق وجه التشبيه اما ان يكون امرا واحدا او غير
واحد وغير الواحد اما ان يكون في حكم الواحد لكونه الحقيقة ملتئمة
واما اوصافا مقصودا من مجموعها هيئة واحدة او لا يكون في حكم
الواحد فهذه اقسام ثلثة اما الاول فاما ان يكون حسيا او عقليا ولا بد
للحسي من ان يكون طرفاه حسيين لامتناع ادراك الحس من غير المحسوس

جهة دون العقلي فانه يعم انواع الطرفين الاربعة المذكورة لصحة ادراك العقل المحسوس
جهة ولذلك تسمع علماء هذا الفن رضوان الله عليهم يقولون التشبيه بالوجه
العقلي اعم من التشبيه بالوجه الحسي فالحسي كالخد اذا شبه بالورد في الحمرة
وكالصوت الضعيف اذا شبه بالهمس في الخفاء وكالنكهة اذا شبهت
بالعنبر في طيب الرائحة وكالريق اذا شبه بالخمر في لذة الطعم على زعم
القوم وكالجلد الناعم اذا شبه بالحرير في لين المس وههنا نكتة لا بد من
التنبيه لها وهي ان التحقيق في وجه الشبه يقتضي ان يكون غير عقلي وذلك
انه متى كان حسيا وقد عرفت انه يجب ان يكون موجودا في الطرفين وكل موجود
فله تعين فوجه الشبه مع المشبه متعين فيمتنع ان يكون هو بعينه
موجودا مع المشبه به لامتناع حصول المحسوس المتعين معهما مع كونه
بعينه هناك بحكم ضرورة العقل وبحكم التنبيه على امتناعه ان شئت وهو
استلزامه اذا عدمت حمرة الخد دون حمرة الورد او بالعكس
كون الحمرة معدومة موجودة معا وهكذا في اخواتها بل يكون مثله مع المشبه به

بل لكن المثلين لا يكونان شيئا واحدا ووجه الشبه بين الطرفين
كما عرفت واحد فيلزم ان يكون امرا كليا ماخوذا من المثلين بتجريده عن
التعين لكن ما هذا شانه فهو عقلي ويمتنع ان يقال فالمراد بوجه الشبه حصول
المثلين في الطرفين فان المثلين متشابهان فلهما وجه تشبه فان كان عقليا
كان المرجع في وجه الشبه العقل في المآل وان كان حسيا استلزم
ان يكون مع المثلين مثلان اخران وكان الكلام فيهما كالكلام فيما سواهما
ويلزم التسلسل وتمام التحقيق موضعه علوم اخر والعقلي كوجود الشيء
العديم النفع اذا شبه بعدمه في العراء عن الفائدة او كالعلم اذا شبه بالحيوة
في كونهما جهتي ادراك فيما طرفاه معقولان وكالرجل اذا شبه بالاسد
في الجراءة او كاصحاب النبي صلى الله عليه اذا شبهوا بالنجوم في مطلق الاهتداء
وذلك فيما طرفاه محسوسان وكالعلم اذا شبه بالنور في الهداية او كالعدل
اذا شبه بالقسطاس في تحصيل ما بين الزيادة والنقصان فيما المشبه
معقول والمشبه به محسوس وكالعطر اذا شبه بخلق كريم في استطابة

النفس اباءها او كالنجم اذا اشبهت بالسنن في عدم الخفاء فما المشبه محسوس
والمشبه به معقول وفي اكثر هذه الامثلة نوع تجوز وتسامح فاعرف
واما القسم الثالث وهو ان يكون وجه التشبيه غير واحد لكنه في حكم الواحد
فهو على نوعين اما ان يكون مستندا الى الحس كسقط النار اذا شبه بعين
الديك في الهيئة الحاصلة من الحمرة والشكل الكري والمقدار المخصوص و
كالثريا اذا شبهت بعنقود الكرم المنور في الهيئة الحاصلة من تقارن الصور
البيض المستديرة الصغار المقادير في المرأى على كيفية مخصوصة والى
مقدار مخصوص وكالسنان الجلي اذا شبه بعمارات مستوفق السفه والحوا
ناتب على راسه شجرا غصنا وكالشمس اذا شبهتها بالمرآة في كف الاشل
في الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع الاشراق والحركة السريعة المتصلة
وتموج الاشراق او اذا شبهتها بالبوتقة فيها ذهب ذائب كما قال
والشمس من مشرقها قد بدت مشرقة ليس لها حاجب
كانها بوتقة احميت يجول فيها ذهب ذائب

في الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع صفاء اللون واتصال الحركة و
شبه تموجه المتحرك من انبساط وانقباض وذلك لان البوتقة
اذا احميت وذاب فيها الذهب اخذ يتحرك فيها بجملته ويغير غليان
متشكلا بشكل البوتقة في الاستدارة تلك الحركة العجيبة كانه يهم بان
ينبسط حتى يفيض من جوانب البوتقة لما في طبعه من النعومة
ثم يبدو له فيرجع الى الانقباض لما بين اجزائه من كمال التلاحم وقوة
الاتصال والبوتقة في ضمن ذلك متحركة تبعا مؤدية مع الذهب الذائب
فيها الهيئة المذكورة فان الشمس اذا احد الانسان النظر اليها ليتبين
جرمها وجدها مؤدية للهيئتين كوجه الشبه في قوله كان مثار النقع
فوق رؤوسنا واسيافنا ليل تهاوى كواكبه فليس المراد من التشبيه
تشبيه النقع بالليل ثم تشبيه السيوف بالكواكب انما المراد تشبيه
الهيئة الحاصلة من النقع الاسود والسيوف البيض متفرقات فيه
بالهيئة الحاصلة من الليل المظلم والكواكب المشرقة في جوانب منه

وفي قوله وكأن اجرام النجوم لوامعا درر نثرن على بساط ازرق

فليس المراد تشبيه السماء بالبساط الازرق انما المراد تشبيه الهيئة

الحاصلة من النجوم البيض المتلألئة في جوانب من اديم السماء الملقية

قطاعها عن الزرقة الصافية بالهيئة الحاصلة المستطرفة من درر

منثورة على بساط ازرق دون شيء اخر مناسب للازرق في الحسن و

القيمة وفي قوله كانما المريخ والمشتري قدامه في شامخ الرفعة

منصرف بالليل عن دعوة قد اسرجت قدامه شمعة فالمراد

ايضا تشبيه الهيئة الحاصلة من المريخ والمشتري قدامه بهيئة الحاصل

من المنصرف عن الدعوة منسرح الشمع من دونه وفي امثال ما ذكر من

الابيات تشبيه المركب بالمركب المذكور فيها تشبيه المفرد بالمفرد

هذا فن له فضل احتياج الى سلامة الطبع وصفاء القريحة فليس

الحاكم في تمييز التباين اذا التبس احدهما بالاخر سوى ذلك ومن تشبيه

المفرد قوله كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي

واما ان يكون مستندا الى العقل كما اذا شبهت اعمال الكفرة بالسراب

في المنظر المطمع مع المخبر المؤيس وكما اذا شبهت الحسناء من منبت

السوء بالخضراء الدمن في حسن المنظر المنضم الى سوء المخبر والتفرق

عن اثنا عشر والجماعة المتناسبة في الخصال المنضمة لذلك عن تعيين

فاضل بينهم ومفضول بالحلقة المفرغة الممتنعة عن تعيين بعضه

طرفا وبعضه وسطا واما القسم الثالث وهو ان لا يكون وجه

التشبيه امرا واحدا ولا منزلا منزلة الواحد فهو على اقسام ثلثة

ان تكون تلك الامور حسية او عقلية او البعض حسيا والبعض

عقليا فالاول كما اذا شبهت بعض الطيور بالغراب في حدة النظر

وكمال الحذر واخفاء السفاد والثالث كما اذا شبهت انسانا بالشمس

في حسن الطلعة ونباهة الشان وعلو الرتبة واعلم انه ليس يلزم

فيما بين اصحاب علم البيان ان يتكلفوا التصريح بوجه التشبيه على

ما هو به بل قد يذكرون على سبيل التسامح ما اذا امعنت فيه النظر

كما اذا شبهت فاكهة باخرى في لون وطعم ورائحة والثاني

نجد الاشياء مستنعاً لما تكون وجه التشبيه في المآل فلا بد من التنبيه
عليه من ذلك قولهم في الالفاظ اذا وجدوها لا تثقل على اللسان و
لا تكدّ بتنافر حروفها او تكرارها ولا تكون غريبة وحشية تستكره لكونها
غير مألوفة ولا ما تشتبه معانيها وتستغلق فيصعب الوقوف عليها
فيشمئز عنها النفس هي كالعسل في الحلاوة وكالماء في السلاسة
وكالنسيم في الرقة وقولهم في الحجة المطلوب بها قلع الشبهة متى صادفتها
معلومة الاجزاء يقينية التأليف قطعية الاستلزام هي كالشمس
في الظهور فيذكرون الحلاوة والسلاسة والرقة او الظهور لوجه الشبه
على ان وجه الشبه في المآل هناك شيء غيرها وذلك لازم الحلاوة
وهو ميل الطبع اليها ومحبة النفس ووقوعها عليها ولازم السلاسة
والرقة وهو افادة النفس نشاطاً والاهداء الى الصدر انشراحاً والى
القلب روحاً فشأن النفس مع الالفاظ الموصوفة بتلك الصفات
كشأنها مع العسل الشهي الذي يلذ طعمه فتهش النفس له ويميل الطبع

الطبع اليه ويحبّ وروده عليه او كشأنها مع الماء الذي ينساغ في
الحلق ويحدد فيه اجلب انحدار للراحة ومع النسيم الذي يسري في
البدن فيتخلل المسالك اللطيفة منه فيفيد ان النفس نشاطاً ويهدي
الى الصدر انشراحاً والى القلب روحاً ولازم الظهور وهو ازالة الحجاب
فشأن البصيرة مع الشبهة كشأن البصر مع الظلمة كونهما معهما كالمحجوب
وانقلاب حالهما الى خلاف ذلك مع الحجة اذا ابهرت والشمس اذا ظهرت
وتسامحهم هذا ليس الا حيث يقع التشبيه في وصف اعتباري كالذي
نحن فيه واقول ينبغي ان يكون تكلم التحقيق في وجه التشبيه على
ما سبق التنبيه عليه من تسامحهم هذا وقد جاز تسامح نحن في ذلك كما ترى
واعلم ان حق وجه التشبيه شموله الطرفين فاذا اضافه صح و الا
فسد كما اذا جعلت وجه الشبه في قولهم النحو في الكلام كالملح في
الطعام الصلاح باستعمالهما والفساد باهمالهما صح لشمول هذا المعنى
المشبه والمشبه به فالملح ان استعمل في الطعام صلح الطعام والا فسد

والنحو كذلك اذا استعمل في الكلام نحو عرف زيد عمرا برفع الفاعل ونصب
المفعول صلح الكلام وصار منتفعا به في تفهم المراد منه واذا لم يستعمل
فيه فلم يرفع الفاعل ولم ينصب المفعول فسد لخروجه عن الانتفاع به
واذا جعلت وجه الشبه ما قد يذهب اليه ذوو التعنت من ان الكثير
من الملح يفسد الطعام والقليل يصلحه فالنحو كذلك فسد لخروجه اذ ذاك
عن قبول الطرفين الاختصاص بالمشبه به فان الكثير والقليل انما يتصور
في الملح بان يجعل القدر المصلح منه للطعام مضاعفا مثلا اما في النحو فلا
لامتناع جعل رفع الفاعل او نصب المفعول مضاعفا هذا وربما امكن
تصحيح قول المتعنتين ولكنه ليس مما يهمنا الآن النوع الثالث الطرفين
الغرض من التشبيه الغرض من التشبيه في الاغلب يكون عائدا الى
المشبه وقد يعود الى المشبه به فاذا كان عائدا الى المشبه فاما ان يكون
لبيان حاله كما اذا قيل لك ما لون عمامتك قلت كلون هذه واشرت الى
عمامة لديك واما ان يكون لبيان امكان وجوده كما اذا اردت تفضيل واحد

واحد على الجنس الذي هو منه باخراجه عن البشرية الى نوع اشرف
وانه في الظاهر كان يرى امرا كالممتنع فيتبعه التشبيه لبيان امكانه
قائلا حاله كحال المسك الذي هو بعض دم الغزال وليس يعد في الدماء
لما اكتسب من الفضيلة الموجبة اخراجه الى نوع اشرف من الدم
واما ان يكون لتقوية شأنه في نفس السامع وزيادة تقريره عنده
كما اذا كنت مع صاحبك في تقرير انه لا يحصل من سعيه على طائل
ثم اخذت ترقم على الماء وقلت هل افاد رقمي على الماء نقشا ما انك في
سعيك هذا كرقمي على الماء فانك تجد لتمثيلك هذا من التقرير ما لا يخفى
واما ان يكون لابرازه الى السامع في معرض التزيين او التشويه او الاستطراف
او ما شاكل ذلك كما اذا شبهت وجها اسود بمقلة الظبي افراغا له في
قالب الحسن بتغاير بنيه او كما اذا شبهت وجها مجدورا بسلحة جامدة
قد نقرتها الديكة اظهارا له في صورة اشوه ارادة ازدياد القبح والتنفير عنه
او كما اذا شبهت الفحم فيه جمر موقد ببحر من المسك موجه الذهب تطلاله

عن صحة الوقوع على انه اشاعة عادة ليستطرف وللاستطراف وجه
آخر وهو ان يكون المشبه به نادر الحضور في الذهن اما في نفس الامر
كالذي نحن فيه فاذا احضر استطرف النوادر عند مشاهدتها واستلذ
استلذاذ ما لجدتها فلكل جديد لذة واما مع حضور المشبه او ان الحديث
فيه مثل حضور النار والكبريت مع حديث البنفسج والرياض كما في قوله
* ولازوردية تزهو بزرقتها * بين الرياض على حمر اليواقيت *
* كأنها فوق قامات ضعفن بها * اوائل النار في اطراف كبريت *
فان صورة اتصال النار باطراف الكبريت ليست مما يمكن ان يقال انها
نادرة الحضور في الذهن ندرة صورة بحر من المسك موجه الذهب
واما الثاني حضورها مع حديث البنفسج فاذا احضر احضارا مع المشبه
استطرف لمشاهدة عناق بين صورتين لا تتراءى ناراهما وهل الحكاية
المعروفة في حديث حسد جرير لعدي بن الرقاع الا لعز ما نحن فيه فيحكى
ان جريرا قال انشد في عدي * عرف الديار توهما فاعتادها * فلما بلغ

بلغ الى قوله * تزجي اغن كأن ابرة روقه * رحمته وقلت فقد وقع
ما عساه يقول وهو اعرابي جلف جاف فلما قال * قلم اصاب
من الدواة مدادها * استحالت الرحمة حسدا واما الغرض
العائد الى المشبه به فهو ضربان احدهما ايهام كونه اتم من المشبه في وجه
الشبه كقوله * وبدا الصباح كأن غرته * وجه الخليفة حين يمتدح *
فانه قصد ايهام ان وجه الخليفة في الوضوح اتم من الصباح
وكقوله * وكأن النجوم بين دجاها * سنن لاح بينهن ابتداع *
فانه من راي ذوي الصناعة للعلماء شبهوا الهدى والشريعة و
السنن وكل ما هو علم بالنور لحصول صاحبها في حكم من يمشي في نور
الشمس فيهتدي الى الطريق المستقيم فلا يتعسف فيعثر تارة على
علو قتال وتردى اخرى في مهواة مهلكة وشبهوا الضلالة والبدعة
وكل ما هو جهل بالظلمة لحصول صاحبها في حكم من يخبط في الظلام
فلا يهتدي الى الطريق ولا يزال من غوير وبين تردد قصد في

تشبيهه هذا تفضيل الشنف في الوضوح على النجوم وتنزيل
البدع في الظلام فوق الديباج وكقوله «ولقد ذكرتك في
الظلام كأنه «يوم النوى وفؤاد من لم يعشق» فإنه أيضا حين
رأى الأوقات التي تحدث فيها المكاره وصفت بالسواد كقولهم
اسود النهار في عيني وأظلمت الدنيا على جعل يوم النوى كأنه
أعرف وأشهر بالسواد من الظلام فشبهه به ثم عطف عليه
فؤاد من لم يعشق تظرفا فإن الغزل يدعي القسوة على من لم
يعرف العشق والقلب القاسي يوصف بشدة السواد فنظمه
في سلكه وكقوله «كأن انتضاء البدر من تحت غيمه «نجاء من البأساء
بعد وقوع» فإنه رأى العادة جارية أن يشبه المتخلص من البأساء
بالبدر الذي ينحسر عنه الغمام فقلب التشبيه ليرى أن صورة النجاء
من البأساء لكونها مطلوبة فوق كل مطلوب أعرف عند الإنسان
من صورة انتضاء البدر من تحت غيمه فشبه هذه بتلك وكقوله

116

من أرض كأخلاق الكرام قطعتها «وقد كحل الليل السماك فأبصرا»
فإنه لما رأى استمرار وصف الأخلاق بالضيق وبالسعة تعمد تشبيه
الأرض الواسعة بخلق الكرام ادعاء أنه في ذلك أزيد في السعة الكلي
من الأرض المتباعدة الأطراف ومن الأمثلة ما حكاه جل وعلا عن
مستحل الربا من قولهم إنما البيع مثل الربا في مقام إنما الربا مثل البيع
لأن الكلام في الربا لا في البيع ذهابا منهم إلى جعل الربا في باب
الحل أقوى حالا وأعرف من البيع ومن الأمثلة ما قال تعالى أفمن يخلق
كمن لا يخلق لمزيد التوبيخ فيه دون أن يقول أفمن لا يخلق كمن يخلق
مع اقتضاء المقام بظاهره إياه لكونه إلزاما للذين عبدوا الأوثان وسموها
آلهة تشبيها بالله فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق وعندي أن الذي تقتضيه
البلاغة القرآنية هو أن يكون المراد بمن لا يخلق الحي العالم القادر من
الخلق لا الأصنام وأن يكون الإنكار موجها إلى توهم تشبيه الحي العالم القادر
من الخلق به عز وتقدس عن ذلك علوا كبيرا تعريضا به عن أبلغ الإنكار لتشبيه

مالبس يحيى عالم فتحيّر به ويكون قوله افلا تذكرون تنبيه توبيخ على امكان
التعريض وقوله عز وجل ارأيت من اتخذ الهه هواه بدل ارأيت من
اتخذ هواه الهه مصبوب في هذا القالب فاحسن التأمل ترى العجب
قد اصاب بنا كلة الرحى وانما جعلنا الغرض العائد الى المشبه به
هو ما ذكر بان المشبه به حقه ان يكون اعرف بجهة التشبيه من المشبه
واخص به واقوى حالا معها والا لم يصح ان يذكر لبيان مقدار المشبه
ولا لبيان امكان وجوده ولا لزيادة تقريره على الوجه الذي تقدم ولا لابرازه
في معرض التزيين كالوجه الاسود اذا شبهته بمقلة الظبي مجازا لتخيل
استحسان سواده تعليلا لسواد الوجه او في معرض التشويه كالوجه المجدور
اذا شبهته بسلحة جامدة قد نقرتها الديكة ارادة تخييل زيادة استقباحها
ونقرتها لا لاجل تحقيق الوجه لامتناع تعريف المجهول بالمجهول وتقرير الشيء
بما ساواه في التقرير بالابلغ او في معرض الاستطراف كالفحم فيه جمر موقد اذا شبهته
ببحر من المسك موجه الذهب فلا لانه ممتنع وقوعه في الواقع ليستطرف او

او للوجه الآخر على ما تقدم لمثل ما ذكر وربما كان الغرض العائد الى
المشبه به بيان كونه اهم عند المشبه كما اذا اشتبه لك بلا وجه كالقمر في
الاشراق والاستدارة وقيل هذا الوجه تشبيه ما ذا فلت الرغيف
اظهار الاهتمام بشان الرغيف لا غير وهذا الغرض يسمى اظهار المطلوب
ولا يحسن المصير اليه الا في مقام الطمع في تيسير المطلوب كما حكي عن الصاحب
ان قاضي سجستان دخل عليه فوجد الصاحب متفننا فاخذ يمدحه
حتى قال وعالم يعرف بالسجزي واشار للندماء ان ينظموا على اسلوبه
ففعلوا واحدا بعد واحد الى ان انتهت النوبة الى شريف في البين فقال
اشهى الى النفس من الخبز فامر الصاحب ان يقدم مائدة واما اذا تساوى
الطرفان المشبه والمشبه به في جهة التشبيه فالاحسن ترك التشبيه
الى التشابه ليكون كل واحد من الطرفين مشبها ومشبها به تفاديا من ترجيح
احد المتساويين ويظهر من هذا ان التشبيه اذا وقع في باب التشابه
صح فيه العكس بخلاف فيما عداه وكان حكم المشبه به اذ ذاك غير ما تلي عليك

نعم ان يقال لون هذه العمامة كلون تلك وان يقال لون تلك كلون هذه
وان يقال بدا الصبح كغرة الفرس وبدت غرة الفرس كالصبح متى كان المراد
بالتشبيه وقوع منير في مظلم وحصول بياض في سواد مع كون البياض قليلا
بالاضافة الى السواد وان يقال الشمس كالمرآة المجلوة او كالدينار الخارج
من السكة كما قال وكأن الشمس المنيرة دينار جلته حدائد الضراب وان يقال
المرآة المجلوة او الدينار الخارج من السكة كالشمس متى كان القصد من التشبيه
الى مجرد مستدير متلالئ متضمن لخصوص في اللون لكون وجه التشبيه
في جميع ذلك غير مختص بأحد الطرفين زيادة اختصاص واعلم ان التشبيه
متى كان وجهه وصفا غير حقيقي وكان منتزعا من عدة امور خص باسم التمثيل
كالذي في قوله اصبر على مضض الحسود فان صبرك قاتله
فالنار تأكل نفسها ان لم تجد ما تأكله فان تشبيه الحسود المتروك مقاولته
بالنار التي لا تمد بالحطب فيسرع فيها الفناء ليس الا في امر متوهم له وهو ما يتوهم
اذا لم تأخذ معه في المقاولة مع علمك بتطلبه اياها عسى ان يتوصل بها الى

128

الى نفثة مصدور من قيامه اذ ذاك مقام ان تمنعه ما يتحجه فيسرع
فيه الهلاك وانه كما ترى منتزع من عدة امور وكالذي في قوله
وان من ادبته في الصبا كالعود يسقى الماء في غرسه
حتى تراه مورقا ناضرا بعد الذي ابصرت من يبسه
فان تشبيه المؤدب في صباه بالعود المسقى اوان الغرس المونق باوراقه
ونضرته ليس الا فيما يلازم كونه مهذب الاخلاق مرضي السيرة حميد الفعال
لتأديه المطلوب بسبب المصادف وقته من تمام الميل اليه في كال استحسان
حاله وانه كما ترى امر تصوري لا صفة حقيقية وهو مع ذلك منتزع من
عدة امور وكالذي في قوله عز من قائل مثلهم كمثل الذي استوقد نارا
فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون
فان وجه تشبيه المنافقين بالذين شبهوا بهم في الآية هو رفع الطمع الى
تسني مطلوب بسبب مباشرة اسبابه القريبة مع تعقب الحرمان والخيبة
لانقلاب الاسباب وانه كما ترى منتزع من امور جمة وكالذي في

قوله تع ايضا او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون اصابعهم
في آذانهم من الصواعق حذر الموت ‌‌‌‌في اصل النظم او كمثل ذوي صيب
فحذف ذو ولدلالة يجعلون اصابعهم في آذانهم عليه وحذف مثل لما دل
عليه عطفه على قوله كمثل الذي استوقد نارا اذ لا يخفى ان التشبيه ليس
بين مثل المستوقدين وهو صفتهم العجيبة الشان وبين ذوات الصيب
اما التشبيه بين صفته اولئك وبين صفة هؤلاء ونظيره قوله تع يا ايها
الذين آمنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصاري
الى الله فاوقع التشبيه بين كون الحواريين انصار الله وبين قول عيسى من
انصاري الى الله وانما المراد كونوا انصار الله مثل كون الحواريين انصاره
وقت قول عيسى من انصاري على ان ما مصدري مستعمل ما فات استعمال
مقدم الحاج ثم نظير المذكور في حذف المضاف والمضاف اليه قول القائل
اسال البحار فانتحى للعقيق وقول القائل وقد جعلتني من حزيمة اصبعا
على ما قدر الشيخ ابو علي الفارسي رحمه الله علمه من اسال شقيا سحابه ومن

ومن ذا ساقوه اصبح وحذف المضافات من الكلام عند الدلالة
سائغ من ذلك قوله تع فكان قاب قوسين او ادنى تقديره مقدار
مسافة قرب جبريل مثل قاب قوسين وان قوله كصيب من
السماء الى الآخر مثل لما ان وجه التشبيه بينهم وبين المنافقين هو انهم
في المقام المطمع في حصول المطالب ونجح المآرب لم يحظون الا بضد
المطموع فيه من مجرد مقاسات الاهوال وانه كما ترى تماما نحن بصدده
وكذا الذي في قوله عز وجل مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها
كمثل الحمار يحمل اسفارا فان وجه التشبيه بين احبار اليهود الذين
كلفوا العمل بما في التورية ثم لم يعملوا بذلك وبين الحمار الحامل للاسفار
هو حرمان الانتفاع بما هو ابلغ شيء بالانتفاع به مع الكد والتعب
في استصحابه وليس بمشبهه كونه عائدا الى التوهم ومركبا من
عدة معان والذي نحن بصدده من الوصف غير الحقيقي احوج
منظور فيه الى التامل الصادق من ذي بصيرة ناقدة وروية نافذة

لالتباسه في كثير من المواضع بالعقلي والحقيقي لا سيما المعاني التي
ينتزع منها فربما انتزع عنها من نفسه فأورث الخطأ لوجوب انتزاعها من أكثر
نحو قوله كما أبرقت قوما عطاشا غمامة فلما رأوها أقشعت وتجلت
إذا أخذت تنتزع وجه التمثيل من قوله أبرقت قوما عطاشا غماما تحسب
أنك أخطأت عن غرض الشاعر من التشبيه مراحل فإن مغزاه أن يصل ابتداء
مطمعا بانتهاء مؤيس وذلك يوجب انتزاع وجه التشبيه من مجموع البيت
ثم إن التشبيه التمثيلي متى فشا استعماله على سبيل الاستعارة لا غير سمي
مثلا ولورود الأمثال على سبيل الاستعارة لا تغير وستأتيك الكلام في
الاستعارة بإذن الله تعالى النوع الرابع الطارئة أحوال التشبيه من كونه
قريبا أو غريبا مقبولا أو مردودا والكلام في ذلك يستدعي تقديم أصول
وأنا أذكر لك ما يرشدك إلى كيفية سلوك الطريق هناك بتوفيق الله تعالى مقدما
جملة منها لتكون لك عونا في درك ما يجيء تلخص في طلبه منها أن إدراك الشيء
مجملا أسهل من إدراكه مفصلا ومنها أن حضور صورة الشيء المتكرر على الحس

الحس أقرب من حضور صورة شيء يقل وروده على الحس وحال هذين
الأصلين واضح ومنها أن الشيء مع ما يناسبه أقرب حضورا منه مع ما
لا يناسبه فللجام مع السطل أقرب حضورا منه مع النخل وقد سبق تقريره
في باب الفصل والوصل ومنها أن استحضار الأمر الواحد أيسر من
استحضار غير الواحد وحاله أيضا مكشوف ومنها أن ميل النفس إلى
الحسيات أتم منه إلى العقليات وأعني بالحسيات ما تجرده منها بأنها على
النفس من إدراك الجزئيات على ما نبهت عليه وزيادة ميلها إليها دون
غيرها من العقليات لزيادة تعلقها بها بسبب تجردها إياها بقوة العقل
ونظمها إياها في سلك ما عداها ولزيادة إلفها بها أيضا لكثرة تأديها إليها من
أجل كثرة طرقه وهي الحواس المختلفة الموجودة لها وأما تمام الكلام من أن إلف
النفس مع الحسيات أتم منه مع العقليات لتقدم إدراك الحس على إدراك
العقل فبعد تقرر أن إدراك النفس إنما يكون بالجهات أن تدرك النفس
غير مدرك الحس كما ترى عن إنالة المطلوب بمعزل وعن تحقيق المقصود

بالف متقبل ومنها ان النفس لا تعرف اقبل منها لما لا تعرف لجنسها العلم
طبعا ومنها ان تجدد صورة عندها احب اليها والقعد صاحب مساعدة
معاد وانه من القبول بحيث ينبغي ان يستعان فيه بتلاوة اكثر من معاد و
لكل جديد لذة ولكن يرد ان الموفق بين علم الالف وبين حكم التكرار لموح
شي يلائم التامل فليتامل لان الالف مع الشي لا يحصل الا بتكرره على النفس
ولو كان التكرار يورث الكراهة لكان المالوف اكره شي عند النفس والمنع
اذ ذاك يراعيها الا مالوف والوجدان يكذب ذلك اذ قد تقدم الكل ما ذكرنا
مقول من اسباب قرب التشبيه وكونه نازل الدرجة ان يكون وجهه امرا
واحدا كالسواد في قولك جفنك كالفحم او البياض في قولك شهد كالثلج او ان
يكون المشبه مناسبا للمشبه به كما اذا شبهت الجرة الصغيرة بالكوز او الجرة العظيمة
المستطيلة بالجمل او العنبة الكبيرة السوداء بالجاصة او ان يكون المشبه به
غالب الحضور في خزانة التصور لجهة من الجهات كما اذا شبهت الشعر الاسود
بالليل او الوجه الجميل بالبدر او المحبوب بالروح ومن اسباب بعده غرابته

او ان يكون وجه التشبيه امورا كثيرة كما في تشبيه سقط النار بعين الديك او تشبيه الثريا
بعنقود الكرم المنور او تشبيه في قوله كان مثار النقع فوق رؤوسنا واسيافنا ليل تهاوى كواكبه
او ان يكون المشبه به بعيد النسبة عن المشبه كالخنفساء عن الانسان قبل تشبيه
احدهما بالاخر في اللجاج او البنفسج عن النار والكبريت قبل تصور التشبيه بين الطرفين
او ان يكون المشبه به نادر الحضور في الذهن لكونه شيئا وهميا كما في قوله
ومسنونة زرق كانياب اغوال او مركبا خياليا كما في قوله وكان محمر الشقيق اذا تصوب او تصعد
اعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد او مركبا عقليا كما في قوله عز قائلا انما مثل
الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما ياكل الناس والانعام
حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها
امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس وكل ما كان التركيب خياليا
كان او عقليا من امور اكثر كان حاله في البعد والغرابة اقوى واما كون التشبيه
مقبولا فالاصل فيه ان يكون التشبيه صحيحا وقد تقدم معنى الصحة وان يكون كاملا
في تحصيل ما تعلق به من الغرض وان يكون سليما عن الابتذال مثل ان يكون المشبه به

محسوسا اعرف شيء باحد لون مخصوص او شكل او مقدار او غير ذلك اذا كان الغرض
من التشبيه بيان حال المشبه من جهة ذلك الامر او بيان مقداره على ما هو عليه فالنفس
لما لا يعرف عنده امثل وله متى صادفته اقبل لا سيما فيما القصد به لكن يجب في
الباب كون المشبه به مع ما ذكر على حد مقدار المشبه في وجه الشبه لا ازيد
من كونه محسوسا اعرف شيء الى اخره
ولا انقص وكلما كان ادخل في السلامة من الزيادة او النقصان كان ادخل في
وجه الشبه
القبول او مثل بان يكون المشبه به اتم محسوس في امر حتى هو وجه الشبه اذا
مثال للكامل اتما عطف على قوله مثل
قصد تنزيل المشبه الناقص منزلة الكامل او قصد زيادة تقرير المشبه عند السامع
لمثل ما تقدم او مثل ان يكون المشبه به مسلم الحكم معروفه فيما يقصد من وجه الشبه
نظير آخر للكامل
اذا كان الغرض من التشبيه بيان امكان الوجود او محاولة التزيين او التشويه
فقبول النفس لا تعرف فوق قبولها لما لا تعرف او مثل بان يكون المشبه به في
التشبيه الاستطرافية نادر الحضور في الذهن لبعد عن التصور او نادر الحضور فيه
مع المشبه لبعد نسبته اليه فالنفس تتسارع الى قبول نادر يطلع عليها لما يتصور لذته
النفس
من لذة الحدود وتتمثل من تعرية عن كراهة معاد هذا وانك متى تطفلت اصحاب قرب

قرب التشبيه وتقارب مسلكه وكذا لاصحاب الخواطه من القبول في سلكه تطفلت
لاصحاب بعد وغرابته ولاصحاب رده لرد الله ولن يذهب عليك ان مرتبة التشبيه
التشبيه
متى كان اقوى كان التشبيه اقرب كذا مبعده متى كان اقوى كان اغرب جرت لذلك
في شان قبوله ورده على نحو ما جرى في شان قربه وبعده واعلم ان ليس من الواجب في
التشبيه ذكر كلمة التشبيه بل اذا قلت زيد اسد والكيفية بذكر الطرفين عند تشبيهها
مثلا اذا قلت كان زيدا اسد الا انهم لا في كونه ابلغ وله في ذكر المشبه لفظا بل اذا
لمشابهه لاستعان به
كان محذوفا مثلا اذا قلت اسد اي اسد جاعلا المشبه بخبر المبتدأ المحذوف
المحذوف
كي لغض المسافة من الملفوظ به في الكلام والمحذوف منه بمثل ظهور قوة الافادة وانا
الواجب في التشبيه اذا ترك المشبه ان لا يكون معرضا عنه صفحا مثله اذا قلت
اي معرضا عنه اعراضا كليا
عندي اسد او رأيت اسدا او نظرت بلا اسد فانه بعد تشبيها وسبيلك بيان حاله
وانا على حد زيد اسد قرينة المحذوف المبتدأ تشبيها لا تك حين اوقعت اسدا دون زيد
عن جملة خبر لزيد استدعى ان يكون هو اياه مثله في زيد منطلق في ان الذي هو زيد
اسد اي مثل اسد عاه
هو بعينه منطلق والا كان زيدا استبعد تعذيبه وجعل فرشت بما نساي الكن العقل

ان يكون الذي هو انسان هو بعينه اسدا فيلزم ان يشاع جعل اسم للجنس وصفا
حتى يصح اسناده الى المبتدأ المعبر به التشبيه عنف كلمته تصل الى المبالغة
واذا عرفت ان وجود طرفي التشبيه يمنع عن حمل الكلام على غير التشبيه عرفت
ان نقل كلمة التشبيه لا يؤثر الا في الظاهر وعرفت ان نحو انت فلان اسد
ولقيني منه اسد وهو اسد في صورة انسان واذا نظرت اليه لم تر الا اسدا
وان رايته عرفت جبهة الاسد ولئن لقيته ليلقينك منه الاسد وان اردت اسدا
فعليك بفلان وانما هو اسد وليس هو آدميا بل هو اسد كل ذلك تشبيهات
لا وقوف الا في شان المبالغة ولخيط الابيض والخيط الاسود في قوله تعالى حتى
يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود يعد ان من باب التشبيه حيث
بيّنا بقوله من الفجر ولولا ذلك لكانا من باب الاستعارة وللحاصل من مراتب
التشبيه ثمان احدها ذكر اركانه الاربعة وهي المشبه والمشبه به وكلمة التشبيه
ووجه التشبيه كقولك زيد كالاسد في الشجاعة ولا قوة لهذه المرتبة وثانيها
ترك المشبه كقولك كالاسد في الشجاعة وهي كالاولى في عدم القوة وثالثها ترك

133

ترك كلمة التشبيه كقولك زيد اسد في الشجاعة وفيها نوع قوة ورابعها ترك المشبه
وكلمة التشبيه كقولك اسد في الشجاعة في موضع الخبر عن زيد وهي كالثالثة في
القوة وخامسها ترك وجه التشبيه كقولك زيد كالاسد وهي ايضا قوية لعموم وجه
الشبه وسادسها ترك المشبه ووجه التشبيه كقولك كالاسد في موضع الخبر عن
زيد وحكمها الحكم للخامسة وسابعها ترك كلمة التشبيه ووجه التشبيه في الذكر كقولك
زيد اسد وهي اقوى الكل وثامنها افراد المشبه به في الذكر كقولك اسد في الخبر
عن زيد وهي كالسابعة واعلم ان التشبيه قد ينتزع من نفس التضاد نظرا
الى اشتراك الضدين فيه من حيث اتصاف كل واحد منهما بمضادة صاحبه
ثم تنزله منزلة شبه التناسب بواسطة تمليح او تهكم فيقال للجبان ما اشبهه بالاسد
وللبخيل انه حاتم ثان والله المستعان الاصل الثاني من علم البيان
المجاز ويتضمن التعرض للحقيقة والكلام في ذلك مفتقر الى تقديم التعرض لوجه دلالات
الكلم على مفهوماتها ولمعنى الوضع والواضع من المعلوم ان دلالة اللفظ على مسمى
دون مسمى مع استواء نسبته اليهما يمتنع فيلزم الاختصاص باحدهما ضرورة والاختصاص

لكونه امرا ممكنا يستدعي في حقيقته مؤثرا مخصصا وذلك المخصص عند التقسيم
اما الذات او غيرها وغيرها اما الله تعالى او غيره ثم ان في السلف من حكي عنه اختيار
الاول ومنهم من اختار الثاني ومنهم من اختار الثالث والمحققون المتاخرون على فساد الراي
الاول ولعمري انه فاسد فان دلالة اللفظ على معنى لو كانت لذاته كدلالته بعينه
اللافظ وانك لتعلم ان ما بالذات لا يزول بالغير لكان يمتنع نقلها الى المجاز وكذا الى ما جعله
علما ولو كانت دلالته ذاتية لكان يجب امتناع ان لا تدل على معانيه الذهنية كلها
وجب امتناع ان لا تدل على الالفاظ لامتناع انفكاك الدليل عن المدلول ولكان يمتنع
اشتراك اللفظ بين متنافيين كالناهل للعطشان والريان على ما تسمعه من اصحاب
اللغة لما تقدم لك ان تذكرت وكالجون للاسود والابيض وكالقرء للحيض والطهر
وانما لم يلزم لاستلزامه ثبوت المعنى مع انتفائه حين قلت هو ناهل او جون وجه نساوه
الطهر من ان يعني والكرين ان يعني ما دام محمولا على الظاهر ولكن الذي يدور في خلدي انه
منه انه وكانه تنبيه على ما عليه ائمة علم الاشتقاق والتصريف رحمهم الله ان الحروف
في انفسها خواص بها تختلف كالجهر والهمس والشدة والرخاوة والتوسط بينها وغير ذلك

ذلك مستدعية في حق المحيط بها علما ان يسوى بينها واذا اخذ في تعيين شيء
منها لمعنى ان لا يهمل التناسب بينهما قضاء لحق الحكمة مثل ما ترى في الفصم
بالفاء الذي هو حرف رخو لكسر الشيء من غير ان يبين والقصم بالقاف الذي هو حرف
شديد لكسر الشيء حتى يبين وفي الثلم بالميم الذي هو حرف ما يبقى للخلل في
الجدار والثلب بالباء الذي هو شديد للخلل في العرض وفي الزفير بالفاء لصوت
الحمار والزئير بالهمزة الذي هو شديد لصوت الاسد وما شاكل ذلك وان للتركيبات
كالفعلان والفعلى بتحريك العين فيهما مثل النزوان والحيدى وفعل مثل شرف
وغير ذلك خواص ايضا فيلزم فيها ما يلزم في الحروف وفي ذلك نوع تاثير لها
في الكلم في اختصاصها بالمعاني معنا والحق بعد اما التوقف في الالهام
قوله بان المخصص هو الله تعالى واما الوضع والاصطلاح قوله باسناد التخصيص الى
العقلاء والمرجع بالآخرة فيهما امر واحد وهو الوضع لكن الواضع اما الله عز وجل
واما غيره فالوضع عبارة عن تعيين اللفظة بازاء معنى بنفسها وقوله بنفسها
احتراز عن المجاز فانه تعيينه بازاء ما اريد به بقرينة فان ذلك التعيين لا يسمى وضعا

وإذا عرفت أن دلالة الكلمة على المعنى موقوفة على الوضع وأن الوضع تعيين
الكلمة بإزاء معنى بنفسها وعندك علم أن دلالة معنى غير ممتنعة عرفت صحة أن
يستعمل الكلمة مطلوبا بها تنبيهك معناها الذي هي موضوعة له ومطلوبا بها
أخرى غير معناها بمعونة قرينة وتبنى كون الكلمة حقيقة ومجازا على ذا فالحقيقة
هي الكلمة المستعملة فيما هي موضوعة له من غير تأويل في الوضع كاستعمال
الأسد في الهيكل المخصوص فلفظ الأسد موضوع له بالتحقيق ولا تأويل فيه وإنما ذكرت
هذا القيد ليحترز به عن الاستعارة في الاستعارة تعد الكلمة مستعملة فيما هي موضوعة
لكن على أصح القولين ولا نسميها حقيقة بل نسميها مجازا لغويا لبناء دعوى المستعار
موضوعا للمستعار له على ضرب من التأويل كما ستقف على ذلك في موضعه ولذلك
أن تقول الكلمة المستعملة فيما تدل عليه بنفسها دلالة ظاهرة كاستعمال
الأسد في الهيكل المخصوص أو القرء في أن لا يتجاوز الطهر والحيض غير مجموع بينهما فهذا
ما يدل عليه بنفسه ما دام منتسبا إلى الوضعين أما إذا خصصته بواحد إما
صريحا مثل أن يقول القرء بمعنى الطهر وإما استلزاما مثل أن يقول القرء لا بمعنى الحيض فإنه

فإنه ح ينتصب دليلا دالا بنفسه على الطهر بالتعيين كما كان الوضع يعينه
بإزائه بنفسه وإنه لمظنة فضل تأمل منك فاحفظ وقولي دلالة ظاهرة
احتراز عن الاستعارة وستعرف وجه الاحتراز في باب الاستعارة ولك
أن تقول الحقيقة هي الكلمة المستعملة في معناها بالتحقيق والحقيقة تنقسم
عند العلماء إلى لغوية وشرعية وعرفية والسبب في انقسامها هذا هو ما
عرفت أن اللفظة تمتنع أن تدل على مسمى من غير وضع فمتى رأيتها دالة لم تشك في
أن لها وضعا وأن لوضعها صاحبا فالحقيقة لدلالتها على المعنى تستدعي
صاحب وضع قطعا فمتى تعين عندك نسبت الحقيقة إليه فقلت لغوية إن
كان صاحب وضعها واضع اللغة وقلت شرعية إن كان صاحب وضعها الشارع
ومتى لم يتعين قلت عرفية وهذا المأخذ يعرفك أن انقسام الحقيقة إلى أكثر مما
هي منقسمة إليه غير ممتنع في نفس الأمر وأما المجاز فهو الكلمة المستعملة
في غير ما هي له بالتحقيق استعمالا في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها مع قرينة
مانعة عن إرادة معناها في ذلك النوع وقولي بالتحقيق احتراز أن لا يخرج

الاستعارة التي هي من باب المجاز نظرا الى دعوى استعمالها فيما هي موضوعة
له وقيد استعمالها في الغير بالنسبة الى نوع حقيقتها احترازا عما اذا اتفق كونها
مستعملة فيما تكون موضوعة له لا بالنسبة الى نوع حقيقتها كما اذا استعمل صاحب
اللغة لفظ الغائط مجازا عما ينفصل من الانسان من منهم متناولة له او كما اذا
استعار صاحب الحقيقة الشرعية الصلاة للدعاء او صاحب العرف الدابة
للحمار والمراد بنوع حقيقتها اللغوية ان كانت اياها او الشرعية او العرفية ان كانت
وقوله مع قرينة مانعة عن ارادة معناها في ذلك النوع احتراز عن الكناية
فان الكناية كما ستعرف تستعمل ويراد بها المكنى عنه فتقع مستعملة في غير ما هي
له موضوعة مع انا لا نسميها مجازا لعرائها عن هذا القيد ولك ان تقول المجاز
هو الكلمة المستعملة في غير ما تدل عليه بنفسها دلالة ظاهرة استعمالا في الغير
بالنسبة الى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن ارادة ما تدل عليه بنفسها في
ذلك النوع ولك ان تقول المجاز هو الكلمة المستعملة في غير معناها بالتحقيق
استعمالا في ذلك بالنسبة الى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن ارادة معناها في

في ذلك النوع واعلم انا لا نقول في عرفنا استعملت الكلمة فيما تدل عليه او
في غير ما تدل عليه حتى يكون الغرض الاصلي طلب دلالتها على المستعمل
فيه ومن حق الكلمة في الحقيقة التي ليست بكناية ان تستغني في الدلالة
على المراد منها بنفسها عن الغير لتعينها له بجهة الوضع ولا ما يظن بالمشترك
من الاحتياج الى القرينة في دلالته على ما هو معناه فقد عرفت ان ما هو
منشأ هذا الظن عدم تحصيل معنى المشترك الدائر بين وضعين وحق
الكلمة في المجاز ان لا تستغني عن الغير في الدلالة على ما يراد منها لتعينها له ذلك
الغير وسميت الحقيقة حقيقة لمكان التناسب وهو ان الحقيقة اما فعيل
بمعنى مفعول من حققت الشيء احقه اذا اثبته فمعناها المثبتة والكلمة
متى استعملت فيما كانت موضوعة له دالة عليه بنفسها كانت مثبتة في
موضعها الاصلي واما فعيل بمعنى فاعل من حق الشيء يحق اذا وجب فمعناها
الواجب بمعنى الثابت والكلمة المستعملة فيما هي موضوعة له ثابتة في موضعها
الاصلي واجب لها ذلك اما التاء فهو عندي للتانيث في الوجهين لتقدير لفظ

للحقيقة قبل التسمية صفة مؤنث غير مجراة على الموصوف وهو الكلمة وكذلك
المجاز سمي مجازا لجهة التناسب لأن المجاز مفعل من جاز المكان يجوزه إذا تعداه
والكلمة إذا استعملت في غير ما هي موضوعة له وهو مما لا يدل عليه بنفسها فقد
تعدت موضعها الأصلي واعتبار التناسب في التسمية مزلة أقدام ربما شاهدت
فيها من الزلل ما يتعجب فيا لك والسخرية من تسمية إنسان له حمرة بأحمر ومن
وصفه بأحمر أن تزل فإن اعتبار المعنى في التسمية لترجيح الاسم على غيره حال
تخصيصه بالمسمى واعتبار المعنى في الوصف لصحة إطلاقه عليه فأين أحدهما
عن الآخر وإن كنت استوثم سمعوا بقول الله عز وجل بيت الله لكونه مجازا يقول
اشتقاقا من كذا أو لكونه معوجا اشتقاقا من كذا فتعجلوا ناسا أناسا فأخذوا
يرمون والمرمى حيث بانوا وطلقوا الألف الملقي عنزا وعدد الحقيقة والمجاز عندهما
في هذا النوع تغير ما ذكرت فيجدون الحقيقة هكذا كل كلمة أريد بها ما وقعت له
في وضع واضع وقوعا لا تستند فيه إلى غيره وإنما يقولون واضع بالتنكير دون التعريف
ليعم واضع اللغة وغيره من أصحابه وضاع المتأخرين عن وضع اللغة والشرع

137

في فنه يعودها إلى الوقوع وفي غيره يعود إلى الوضع وإنما يذكرون هذا القيد تحرزا
للمعنى الأول مثل أن يتلوا كل كلمة أريد بها ما وقعت له في وضع واضع لما
وقعت له في غير وضع واضع والذي يقع له الكلمة في غير الوضع هو ما يتناوله
عقلا بوساطة الوضع كما إذا وقعت للعشرة مثلا في الوضع فإنها تكون واقعة
لخمسة وخمسة إلا أنها في وقوعها الخمسة وخمسة تستند إلى غير الوضع وهو العقل
ويحدون المجاز هكذا كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضع لملاحظة
بين الثاني والأول فأمثل في ذلك قولهم واعلم أن الكلمة حال وضعها اللغوي
لما عرفت من أن الحقيقة ترجع إلى إثبات الكلمة في موضعها وأن المجاز يرجع إلى
إخراج الكلمة عن موضعها حقها أن لا تسمى حقيقة ولا مجازا كالجسم حال الحدوث
لا يسمى ساكنا ولا متحركا وأما حال الوضعين الآخرين فحقها كذلك لكن في الأول
بالإطلاق وفي الآخرين بتقييد الحقيقة بنوعها مثل أن تقال لا تكون حقيقة
شرعية ولا مجازها ولا تكون حقيقة عرفية ولا مجازها وإن كان الإطلاق لا يحتمل
وإذ قد تقدم إليك ما أحاطت به معرفتك فيجري أن نتم الكلام بتلخيص ما عند السلف

في الاصلين وتخليصه مما يقع من الحشو في البين ان نسوقه اليك مرتبا ترتيبا يقيد اوابد فوائدهم مقيدا مقررا ابسط الكلام عن وجوه فوائدهم فاعلى ذلك لتطلع على كنه ما اجروا اليه وتعثر على ماخذ ما انا خوله منبهين على اثار الساق على ما يدونه وما يحق نراه فاذا استنتجنا من كان بارتيك في جهة ذراه آثرت عن استطلاع طلعتها اتاسبت اعلم ان المجاز عند السلف من علماء هذا الفن قسمان لغوي وهو ما تقدم ويسمى مجازا في المفرد وعقلي وسيأتيك تعريفه ويسمى مجازا في الجملة واللغوي قسمان خال عن الفائدة ومتضمن لها والمتضمن للفائدة قسمان خال عن المبالغة في التشبيه ومتضمن لها وانه يسمى الاستعارة ولها انقسامات فهذه فصول خمسة مجاز لغوي معنوي مفيد خال عن المبالغة في التشبيه استعارة مجاز لغوي راجع الى حكم الكلمة مجاز عقلي ويتلوه الكلام في الحقيقة العقلية وانا اسوق اليك هذه الفصول بعون الله تعالى وهو المستعان

قسم يرجع الى معنى الكلمة وقسم يرجع الى حكم لها في الكلام والراجع الى معنى الكلمة قسمان

مجاز لغوي راجع الى المعنى خال عن الفائدة

الفصل الاول

المجاز اللغوي الراجع الى معنى الكلمة غير المفيد وهو ان تكون الكلمة موضوعة لحقيقة من الحقائق مع قيد فتستعملها لتلك الحقيقة لا مع ذلك القيد بمعونة القرينة

138

مثل ان تستعمل المرسن وانه موضوع لمعنى الانف مع قيد ان يكون انف مرسون في استعمال الانف من غير زيادة قيد بمعونة القرائن كقول العجاج وفاحما ومرسنا مسرجا يعني انفا يبرق كالسراج او مثل المشفر وهو موضوع للشفة مع قيد ان تكون شفة بعير في استعمال الشفة فتقول فلان غليظ المشفر في ضمن قرينة دالة على ان المراد هو الشفة لا غير او مثل ان يستعمل الحافر وانه موضوع للرجل مع قيد ان يكون رجل فرس او حمار في استعمال الرجل بالاطلاق اعتمادا على دلالة القرائن على ذلك ويسمى هذا القبيل مجازا لغويا لتعديه عن مكانه الاصلي بحكم الوضع وغير مفيد ومعنويا لتعلقه بالمعنى لا بالحكم كالذي سياتيك ولغويا لاختصاصه بمكانه الاصلي بحكم الوضع وغير مفيد لقيامه مقام احد المترادفين من غير تفاوت واسلوب حسن ومنع عند المصير اليه المراد منه

الفصل الثاني

المجاز اللغوي الراجع الى المعنى المفيد الخالي عن المبالغة في التشبيه وهو ان تعدى الكلمة عن مفهومها الاصلي بمعونة القرينة الى غيره لملاحظة بينهما ونوع تعلق نحو ان تراد النعمة باليد وهي موضوعة للجارحة المخصوصة لتعلق النعمة بها من حيث انها تصدر عن اليد

ومنها تصل لها المقصود بها وكذا اذا اردت القوة او القدرة مما له العزة الكبر
مايظهر سلطانها له اليد وبها يكون البطش والضرب والقطع والاخذ والدفع
وغير ذلك من الافاعيل التي تخبر فضل اخبار عن وجود القدرة وتنبي عن
مكانها اتم انباء ولذلك تجدهم لا يريدون باليد شيئا لا ملابسة بينه وبين هذه الجارحة
ونحو ان تراد المزادة بالراوية وهي في الاصل اسم للبعير الذي يحملها العلاقة الحاملة
بينها وبينه بسبب حمله اياها وان يراد البعير بالجفنة وهو مثلع البيت
للجهة المذكورة ونحو ان يراد الرجل بالعين اذا كان ربيئة من حيث ان العين لما كانت
المقصود في كون الرجل ربيئة صارت كانها الشخص كله ونحو ان يراد النبت
بالغيث كما يقولون رعينا الغيث لكون الغيث سببا فيه ونحو ان يراد الغيث
بالسماء لكونه من جهتها يقولون اصابتنا السماء اي الغيث ونحو ان يراد الغيث
بالنبات كقولك امطرت السماء نباتا لكون الغيث سببا فيه او بالسنام كقول من قال
اسنمة الآبال في سحابه ومن هذا يعرف وجه تفسير من فسر انزال الانعام في قوله
وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج بانزال الماء لها سيما اذا نظر الى ما ورد من كل

ماء في الارض فهو من السماء ينزله جل وعلا منها الى الصخرة ثم تقسم وقيل
هذا معنى قوله الم تر ان الله انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض ومما نحن
فيه قوله وينزل لكم من السماء رزقا اي مطرا هو سبب الرزق وقوله وفي
السماء رزقكم ومما نحن فيه هذا المسلك هداه الله اي لطف به واضله الله
اي خذله ومنع الطافه لكونهما في حقه عبثا وقوله عز سلطانه فان لم تفعلوا
ولن تفعلوا فاتقوا النار التي اي العناد المستلزم للنار وقوله انما ياكلون في
بطونهم نارا اي استلزام اموال اليتامى اياها وقول القائل ياكلن كل ليلة اكافا
اي علفا ثمن اكاف للتعلق بين ذلك العلف وبين الاكاف وقولهم اكل فلان الدم
اي الدية للتعلق بينهما ومن امثلة المجاز قوله تع فاذا قرات القرآن فاستعذ
بالله استعملت قرات مكان اردت القراءة لكون القراءة مسببة عن ارادتها
استعمالا مجازيا بقرينة الفاء في فاستعذ والسنة المستفيضة بتقديم
الاستعاذة ولا ملتفت لمن يوخر الاستعاذة فذلك لضيق العطن ومنه
قوله ونادى نوح ربه في موضع اراد نداء ربه بقرينة فقال رب وقوله وكم من قرية

اهلكناها في موضع اردنا اهلاكها بقرينة فجاءها باسنا والبأس انما هو بعد الاهلاك وقوله
وحرام على قرية اهلكناها في موضع اردنا اهلاكها بقرينة انهم لا يرجعون اي عن
معاصيهم للخذلان وقوله ما آمنت قبلهم من قرية اردنا اهلاكها ليؤمن احد
منهم افهم لا يؤمنون وما ادل نظم الكلام على الوعيد بالاهلاك اما من الانكار
في انهم يؤمنون لا يقع في الحز المستعد يرد عن علي ان يهلكم وانا حلت المشانع
عما ذكرت من ضيق العطن انه متى جرى فيما هو ابعد جريا مستقيما يكاد
يريك من اذا تكلم بكلام لمن صلى الغير قبله ليس كل احد يقول للخمار ضيق
فم الركية وعليه قس والتضييق كالتشبيه عمالك الراغ هو النفير من السعة
الى الضيق وله سعة هنالك اما الذي هنالك هو مجرد تجويز ان يريد للحفار التوسعة
فينزل مجوز مراده منزلة الواقع ثم يامره بتغييره الى الضيق اما نجئ ان تكون في
الاقرب اخبر به اجره وامثال ذلك ما تعدى الكلمة معونة القرينة من معناها
الاصلي الى غيره لتعلق بينهما بجهة قويا كان او ضعيفا واضحا او خفيا والتعلق
بين الصارف عن فعل الشيء وبين الداعي الى تركه كعمل عندي ان يكون متعلق

في قوله علت كلمته ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك مرادا به ما دعاك الى ان لا
تسجد وان تكون لا غير صلة قرينة للمجاز ونظيره ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ان لا
تتبعني ومن امثلة المجاز المتفرع منه في باب الاستثناء وتحقيق الكلام في ذلك
متعلق بالتعرض للتناقض في شعب من علم المعاني بشعبة تتمم المصير الى
ما له وعليه فالرأي ان نؤخر الكلام في الاستثناء الى الفراغ عن تلك الشعبة
وهي شعبة علم الاستدلال وتسميته مجازا لغويا معنويا لما تقدم ومفيد التضمنه
تشبيه شاهد لحقق ما انت تريد به تشبيها تكن تقرير هذا المجاز في الفصل
الثالث باذن الله تعالى واما معنى كونه خاليا عن المبالغة في التشبيه فوضعه
الفصل الذي يليه

الفصل الثالث في الاستعارة

الاستعارة هي ان تذكر احد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الاخر مدعيا دخول المشبه
في جنس المشبه به دالا على ذلك باثباتك للمشبه ما يخص المشبه به كما تقول في
الحمام اسد وانت تريد به الشجاع مدعيا انه من جنس الاسود فتثبت للشجاع ما يخص
المشبه به وهو اسم جنسه مع سد طريق التشبيه بافراده في الذكر او كما تقول

ان المنية انشبت اظفارها وانت تريد بالمنية السبع بادعاء السبعية لها
وانكار ان يكون شيئا غير سبع فتثبت لها ما يخص المشبه به وهو الاظفار وسمي
هذا النوع من المجاز استعارة لمكان التناسب منه ومن حق الاستعارة وذلك
انا متى ادعينا في المشبه كونه داخلا في حقيقة المشبه به فردا من افرادها
برزنا ما صادف من جانب المشبه به سواء كان اسم جنسه وحقيقته او لوازما
من لوازمها في معرض نفس المشبه به نظرا لما طاهر الحال من الدعوى فالشجاع
حال كونه فردا من افراد حقيقة الاسد يكتسي اسم الاسد اكتساء الهيكل المخصوص
اياه نظرا لتلك الدعوى وفي المنية حال دعوى كونها داخلة في حقيقة السبع اذا
اثبت لها مخلب او ناب نظرا الى ذلك تبرز في نفس السبع معرضا انه كذلك ينبغي
وكذلك الصورة المتوهمة على شكل المخلب او الناب مع المنية المدعى انها سبع تبرز
في تشبيهها باسم المخلب بروز الصورة المحققة المسماة باسم المخلب من غير فرق نظرا
لتلك الدعوى وهذا شان العارية فان المستعير يبرز مع ما هو في معرض المستعار
منه لا تفاوت الا في ان احدهما اذا فتش عنها مالك والاخر ليس كذلك وههنا

ههنا سؤال وجواب تمهيدا في فصل الاستعارة بالكناية وسمي المشبه به
سواء كان هو المذكور او المتروك مستعارا منه واسمه مستعارا والمشبه
به مستعارا له والذي فرع سمعك من ان الاستعارة تعتمد ادخال المستعار
له في جنس المستعار منه هو السر في امتناع دخول الاستعارة في الاعلام
اللهم الا اذا تضمنت نوع وصفية لسبب خارج تضمن اسم حاتم الجود
وما دراء الخل وما جرى مجراهما واما عد هذا النوع لغويا فعلى احد القولين وهو
المنصور كما سبقت عليه وكان شيخنا الحاتمي تغمده الله برضوانه احد ناصريه
فان لهم فيه قولين احدهما انه لغوي نظرا الى استعمال الاسد في غير ما وضع
له عند التحقيق فانا وان ادعينا للشجاع الاسدية فلا نتجاوز حديث الشجاعة
حتى ندعي للرجل صورة الاسد وهيئته وعبالة عنقه ومخالبه وانيابه وما له
من سائر ذلك من الصفات البادية لحواس الابصار ولئن كانت الشجاعة
من اخص اوصاف الاسد وامكنها لكن اللغة لم تضع الاسم لها وحدها بل
لها في مثل تلك الجثة وتلك الصورة والهيئة وعبالة الانياب والمخالب الى غير ذلك

من الصور الخاصة في جوارحه جمّ ولو كانت تضعفه لتلك الشجاعة التي

تعرفها لكان صفة لا اسما ولكان استعماله فيمن كان على غاية قوة البطش ونهاية

جراءة المقدم من جهة التحقيق لا من جهة التشبيه وللماضي بحوثٌ في

الاستعارة اذ ذاك البتة ولم تنقلب المطلوب نصب القرائن ومنع

الكلمة عن حملها على ما هي موضوعة له لما اجاب حملها على ما هي موضوعة

له وثانيهما انه ليس بلغوي نظرا الى الدعوى فان كونه لغويا يستدعي كون

الكلمة مستعملة في غير ما هي موضوعة له ومنع مع ادعاء الاسدية للرجل و

انه داخل في جنس الاسود فرد من افراد حقيقة الاسد وكذا مع ادعاء

كون الصبيح الكامل الصباحة انه شمس وانه قمر وليس البتة شيئا غيرهما

أن يكون اطلاق اسم الاسد على ذلك عن اعتراف بانه رجل او اطلاق اسم

الشمس او القمر على هذا عن اعتراف بانه آدمي لتقرّح ذلك في الدعوى وقل

سلامة الاعتراف بانه آدمي غير شمس وغير قمر في الحقيقة لئن يكون موضع

تعجب قوله، قامت تظللني من الشمس، نفسٌ اعز علي من نفسي، قامت

162

، قامت تظللني ومن عجب، شمس تظللني من الشمس، او موضع نهي عن التعجب

قوله، لا تعجبوا من بلى غلالته، قد زرّ ازراره على القمر، وحمله ترى بالثياب

نور من البدر احيانا فيبليها، فكيف تنكر ان تبلى معاجرها، والبدر في كل وقت طالع فيها،

ومع الاصرار على دعوى انه اسد وانه شمس وانه قمر يمتنع ان يقال انه مستعمل

الكلمة فيما هي موضوعة له ومما ازيد به الامام عبد القاهر قدس الله روحه

لهذا النوع من اللغوي تارة ومن العقلي اخرى على هذين الوجهين جزاه الله

افضل الجزاء فهو الذي لا يزال ينور القلوب في مستودعات لطائف نظمه

لمن ابى لو تعلمها وارشادا للنكل لخا وقفت على وجه التوفيق من اطلاق المستعير

على ادعائه الاسدية للرجل ومن نصبه في ضمن الكلام قرينة دالة على انه

ليس الهيكل المخصوص مصدقة عنده كشف لك الغطاء اما ان وجه

التوفيق هو ان تبنى دعوى الاسدية للرجل على ادعاء ان افراد جنس

الاسد قسمان بطريق التأويل متعارف وهو الذي له غاية جراءة المقدم

ونهاية قوة البطش مع الصورة المخصوصة وغير متعارف وهو الذي له تلك

الجراءة وتلك القوة لم مع تلك الصورة بل مع صورة اخرى على نحو ما ارتكب
المتنبي هذا الادعاء في نفسه وجماعته من جنس الجن وعد جماله من
جنس الطير حيث قال نحن قوم ملجن في زي ناس فوق طير لها شخوص الجمال
مستشهدا للدعوى بما يتعلق بالمخيلات العرفية والتأويلات المناسبة من نحو قولهم
اذا راوا اسدا هرب عن ذئب انه ليس باسد واذا راوا انسانا لا تقاومه
احد انه ليس بانسان وانما هو اسد في صورة انسان وان تخصص تقديرك
القرينة بنفيها المتعارف الذي يسبق الى الفهم لتعين ما انت تستعمل
الاسد فيه ومن البناء على هذا النوع قوله تحية بينهم ضرب وجيع وقولهم
عتابك السيف وقوله عز وعلا يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم
على ما ستسمع هذه الاسئلة في فصل المستثنى منه ان شاء الله تعالى ومنه قوله
وبلدة ليس بها انيس الا اليعافير والا العيس والاستعارة لبناء الدعوى
فيها على التأويل تفارق الدعوى الباطلة فان صاحبها يتبرا عن التأويل
وتفارق الكذب بنصب القرينة المانعة عن اجراء الكلام على ظاهره فان الكذاب

الكذاب لا ينصب دليلا على خلاف زعمه وانما ينصب ما يروج ما يقول
واكثر كل صعب وذلول واذ قد عرفت ما كان يتعلق ببيان وصف الاستعارة
ووجه تسميتها استعارة وتفرعها اسناد على اللغة ومفارقتها للدعوى
الباطلة وللكذب فاعلم ان الاستعارة تنقسم الى مصرح بها ومكني عنها
والمراد بالاول هو ان يكون الطرف المذكور من طرفي التشبيه هو المشبه به
والمراد بالثاني ان يكون الطرف المذكور هو المشبه والمصرح بها تنقسم الى
تحقيقية وتخييلية والمراد بالتحقيقية ان يكون المشبه المتروك متحققا اما
حسا او عقلا والمراد بالتخييلية ان يكون المشبه المتروك شيئا وهميا محضا
لا تحقق له الا في مجرد الوهم ثم تفتقر كل واحدة منهما الى قطعية وهي ان يكون
المشبه المتروك متعين الحمل على ما له تحقق حسي او عقلي او على ما لا تحقق له البتة
الا في الوهم والى احتمالية وهي ان يكون المشبه المتروك صالح الحمل تارة على
ما له تحقق واخرى على ما لا تحقق له فهذه اقسام اربعة الاستعارة المصرح بها
التحقيقية مع القطع الاستعارة المصرح بها التخييلية مع القطع الاستعارة المصرح بها

مع الاحتمال الصحيح للتخييل ثم الاستعارة بالكناية ثم ان الاستعارة ربما قسمت
الى اصلية وتبعية والمراد بالاصلية ان يكون معنى التشبيه داخلا في
المستعار دخولا اوليا والمراد بالتبعية ان لا يكون داخلا دخولا اوليا وربما
لحقها التجريد فسميت مجردة او الترشيح فسميت مرشحة فيجب ان نتكلم في هذه
الانقسامات وهي ثمانية القسم الاول في الاستعارة المصرح بها المحققة مع
القطع هي اذا وجدت وصفا مشتركا بين ملزومين مختلفين في الحقيقة وهو في
احدهما اقوى منه في الاخر وانت تريد الحاق الاضعف بالاقوى على وجه
التسوية بينهما ان تدعي لملزوم الاضعف من جنس ملزوم الاقوى باطلاق اسمه
عليه وسد طريق التشبيه بافراده في الذكر توصلا بذلك الى المطلوب
لوجوب تساوي اللوازم عند تساوي ملزوماتها جاعلا ذلك في ضمن قرينة
مانعة عن حمل المفرد بالذكر على ما يسبق منه الى الفهم كيلا يحمل عليه فيبطل
الغرض التشبيهي بانيا دعواك على التاويل المذكور ليمكن التوفيق بين دلالة
الافراد بالذكر وبين دلالة القرينة المتنافيتين ولتمتاز دعواك عن الدعوى الباطلة

الباطلة مثال ذلك ان يكون عندك شجاع وانت تريد ان تلحقه في جرأته وقوته
بجراءة الاسد وقوته فتدعي الاسدية له باطلاق اسمه عليه مفردا اياه في الذكر
فتقول رأيت اسدا لئلا تنفذ جرأته وقوته دون جراءة الاسد وقوته مع نصب
قرينة مانعة عن ارادة الهيكل المخصوص به كيرمي او يتكلم او في الحمام او ان
يكون عندك وجه جميل وانت تريد ان تلحقه في ضوئه واشراقه وملاحة
استدارته بالبدر فتجعله بدرا باطلاق اسمه عليه مع افراده في الذكر قائلا
نظرت الى بدر يبتسم او ان يكون عندك عالم وانت تريد الحاقه لكثرة فوائده بعد
ما جرت العادة على تشبيه فوائد العلماء بالفرائد لكثرة فرائد البحر فتدعيه بحرا
سالكا في ذلك المسلك المعهود او ان تريد الحاق عدل عادل في اباء التفاوت
بالميزان او بالقسطاس في ذلك فتدخله في جنس الميزان او القسطاس قائلا
ميزان ليرنا او قسطاسه لا يقبل التفاوت ومن الامثلة استعارة اسم احد
الضدين او النقيضين للاخر بواسطة انتزاع شبه التضاد والحاقه بشبه
التناسب بطريق التهكم او التمليح على ما سبق في باب التشبيه ثم ادعاء

احدهما من جنس الآخر والافراد بالذكر ونصب القرينة كقولك ان فلانا تواترت
عليه البشارات بقتله ونهب ماله وسبي اولاده ويخص هذا النوع باسم الاستعارة
التهكمية او التمليحية واعلم ان قرينة الاستعارة ربما كانت معنى واحدا كالذي
رأيت في الامثلة المذكورة وربما كانت معاني مربوطا بعضها بالبعض كما في قوله
وصاعقة من نصله ينكفي بها على ارؤس الاقران خمس سحائب اراد
استعارة السحائب لانامل الممدوح الخمس ثم نقلها على ما جرت به العادة من تشبيه الجواد
بالبحر الفياض تارة وبالسحاب الهطال اخرى بما ذاك هو انه ذكر ان هناك صاعقة ثم
قال من نصله فبين ان تلك الصاعقة من نصل سيفه ثم قال على ارؤس الاقران
ثم قال خمس فذكر العدد الذي هو عدد انامل اليد فجعل ذلك كله قرينة لما اراد من استعارة
السحائب للانامل ومن الامثلة استعارة وصف احدى صورتين منتزعتين من امور
لوصف الاخرى مثل ان تجد انسانا استفتي في مسألة فهم تارة بالاطلاق للسان بالجواب
ولا يهم اخرى فتأخذ صورة تردده هذا شبهتها بصورة تردد انسان قام ليذهب في امر
فتارة يريد الذهاب فيقدم رجلا وتارة لا يريد فيؤخر اخرى ثم تدخل صورة المشبه في

في جنس صورة المشبه به روما للمبالغة في التشبيه فتكسوها وصف المشبه به
من غير تغيير فيه بوجه من الوجوه على سبيل الاستعارة قائلا اراك ايها المفتي
تقدم رجلا وتؤخر اخرى وهذا هو الذي نسميه التمثيل على سبيل الاستعارة ولكون
الامثال كلها تمثيلات على سبيل الاستعارة لا تجد التغيير اليها سبيلا فاعلم ان التسمية
في الاستعارة المصرح بها المتخيلة مع القطع بان لا تسمى باسم صورة محققة
صورة عندك وهمية محضة تقدرها مشابهة لها مقدرا في الذكر في ضمن قرينتها مانعة
من حمل الاسم على ما يسبق منه الى الفهم من كون مسماه شيئا متحققا وذلك مثل
ان تشبه المنية بالسبع في اغتيال النفوس وانتزاع ارواحها بالقهر والغلبة من غير تفرقة
بين نفاع وضرار ولا رقة لمرحوم ولا مراعاة لذي فضيلة تشبيها بليغا حتى كانها
سبع من السباع فيأخذ الوهم في تصويرها بصورة السبع واختراع ما يلازم صورته
ويتم بها شكله من ضروب هيئات وفنون اعضاء وعلى الخصوص ما يكون قوام اغتيال
السبع للنفوس بها وتمام افتراسه للفرائس بها من الانياب والمخالب ثم تطلق على مخترعات
الوهم عندك اسامي المحققة على سبيل الافراد بالذكر وان تضيفها الى المنية قائلا مخالب

المنية وانياب المنية الشبيهة بالسبع ليكون اضافتها اليها قرينة مانعة
عن اجرائها على ما يسبق الى الفهم منها من تحقق مسمياتها او مثل ان تشبه
الحال اذا دلت على امر من الامور بالانسان الذي يتكلم فيعمل الوهم
في الاختراع للحال ما قوام كلام المتكلم به وهو تصور صورة اللسان ثم تطلق
عليه اسم اللسان المحقق ويضيفه الى الحال قائلا لسان الحال الشبيه بالمتكلم
ناطق بكذا او مثل ان تشبه حكما من الاحكام اذا اصادفته واقفا منتبها امرك
وتابعا لرايه كيف شاء بالناقة المنقادة التابعة لمستتبعها كيف اراد فتثبت
له في الوهم ما قوام ظهور انقياد الناقة به واتباعها المستتبع وهو صورة الزمام
فتطلق عليها اسم الزمام المحقق قائلا زمام الحكم الشبيه بالناقة في اتباع
المستتبع في يد فلان القسم الثالث في الاستعارة المصرح بها المحتملة للتحقيق
وللتخييل هي كما ذكر ما ان تكون المشبه المتروك صالح الحمل على ما له تحقق من
وجه وعلى ما لا تحقق له من وجه اخر ونظيره قول زهير ٭ صحا القلب عن سلمى
واقصر باطله ٭ وعري افراس الصبي ورواحله ٭ اراد ان يبين انه امسك عما كان

كان يرتكب اوان الصبى ودفع النفس عن التلبس بذلك معرضا اعراض
الكلي من المعاودة لسلوك سبيل الغي وركوب مراكب الجهل فقال وعري افراس
الصبي ورواحله اي ما بقيت آلة من آلاتها الحاج اليها في الركوب والارتكاب
فانه كما نوع فرضت من الانواع جرفية او غيرها متى طمحت النفس على
اجتنابه ودفع العلة واشار من دق بابه وقطع العزم عن معاودة ارتكابه
فيقل العناية بحفظ ما قوام ذلك النوع به من الالات والادوات فربما
بدا التعطيل تشتمل عليها فتهلك وتضيع شيئا فشيئا حتى لا تكاد تجد في
ادنى مدة اثرا منها ولا عينا فيقت لذلك معراة الاالة ولا اداة فيحتمل قوله افراس
الصبي ورواحله ان تعد استعارة تخييلية لما يسبق الى الفهم ويتبادر الى الخاطر
من تنزيل افراس الصبي ورواحله منزلة انياب المنية ومخالبها وان كان يحتمل
احتمالا بالتكلف ان تجعل الافراس والرواحل عبارة عن دواعي النفوس في
شهواتها والقوى الحاصلة لها في استيفاء اللذات او عن الاسباب التي قلما
تتاخذ في اتباع الغي وجرا ذيال البطالة الا اوان الصبى ولذلك قوله علت كلمته

فاذا فهم اشد لباس الجوع الظاهر من اللباس عند اصحابنا الحمل على التخييل
وان كان يحتمل عندي ان يحمل على التحقيق وهو ان يستعار لما يلبسه الانسان
عند جوعه من انتقاع اللون ورثاثة الهيئة القسم الرابع في الاستعارة بالكناية
اي كما عرفت ان تذكر المشبه وتريد به المشبه به دالا على ذلك بنصب
قرينة تنصبها وهي ان تنسب اليه وتضيف شيئا من لوازم المشبه به
المساوية مثل ان تشبه المنية بالسبع ثم تفردها بالذكر مضيفا اليها على
سبيل الاستعارة التخييلية من لوازم المشبه به ما لا يكون الا له ليكون قرينة
دالة على المراد فتقول مخالب المنية نشبت بفلان طاويا لذكر المشبه به
وهو قولك الشبيهة بالسبع او مثل ان تقول لسان الحال ناطق بكذا تاركا لذكر
المشبه وهو قولك الشبيه بالمتكلم او تقول زمام الحكم في يد فلان تترك
ذكر المشبه به وقد ظهر ان الاستعارة بالكناية لا تنفك عن الاستعارة التخييلية
هذا ما يدل عليه ساق كلام الاصحاب وستقف اذا انتهينا الى اخر
هذا الفصل على تفصيل ههنا وكانه بل لما قدمت ان الاستعارة تستدعي

تستدعي ادعاء ان المستعار له من جنس المستعار منه دعوى اصرار وادعاء
انه كذلك مع الاصرار بابيه الاعتراف بحقيقته والاستعارة بالكناية مبناها
على ذكر المشبه باسم جنسه ولا اعترافا بحقيقة الشيء اكمل من التنويه باسم
جنسه يختلج في ضميرك ان الجمع بين الانكار البليغ وبين الاعتراف الكامل
كيف يتسنى فالوجه في ذلك هو انا نفعل ههنا باسم المشبه ما نفعل في الاستعارة
بالتصريح بمسمى المشبه كما انا ندعي هناك الشجاع مسمى للفظ الاسد بارتكاب تأويل
على ما سبق حتى يتهيأ التفصي عن التناقض في الجمع بين ادعاء الاسدية وبين نصب
القرينة المانعة عن ارادة الهيكل المخصوص ندعي ههنا اسم المنية اسما للسبع
مرادفا له بارتكاب تأويل وهو ان المنية تدخل في جنس السباع لاجل المبالغة
في التشبيه بالطريق المعهود ثم نذهب على سبيل التخييل الى ان الواضع كيف
يصح منه ان يضع اسمين لحقيقة واحدة وان لا يكونا مترادفين فيتهيأ لنا بهذا
الطريق دعوى السبعية للمنية مع التصريح بلفظ المنية القسم الخامس في الاستعارة
الاصلية هي ان يكون المستعار اسم جنس كرجل واسد وكقيام وقعود ووجه كونها

اصلية هو ما عرفت ان الاستعارة مبناها على تشبيه المستعار له بالمستعار
منه وقد تقدم في باب التشبيه ان التشبيه ليس الا وصفا للمشبه بكونه
مشاركا للمشبه به في وجه والاصل في الموصوفية هي الحقائق مثل ما تقول
جسم ابيض او بياض صاف جسم طويل او طول مفرط وانما قلت الاصل في
الموصوفية هي الحقائق ولم اقل لا يعقل الوصف الا للحقيقة نظرا الى مساقة حيث
يقولون في نحو شجاع باسل وجواد فياض وعالم نحرير ان باسلا وصف لشجاع وفياضا
وصف لجواد ونحريرا وصف لعالم القسم السادس في الاستعارة التبعية هي ما
يقع في غير اسماء الاجناس كالافعال والصفات المشتقة منها وكالحروف بناء
على ان الاستعارة تعتمد التشبيه والتشبيه يعتمد كون المشبه موصوفا و
الافعال والصفات المشتقة منها والحروف عن ان توصف بمعزل فهذه
كلها عن احتمال الاستعارة بانفسها بمعزل وانما المحتمل لها في الافعال والصفات
المشتقة منها مصادرها وفي الحروف متعلقات معانيها فتقع الاستعارة
هناك ثم تسري فيها واعني بمتعلقات معاني الحروف ما يعبر عنها عند تفسيرها

نفسرها مثل قولنا من معناها ابتداء الغاية والى معناها انتهاء الغاية
وكي معناها الغرض فابتداء الغاية وانتهاء الغاية والغرض ليست معانيها
اذ لو كانت هي معانيها والانتهاء والابتداء والغرض اسماء لكانت هي ايضا
اسماء لان الكلمة اذا سميت اسما سميت لمعنى الاسمية لها وانما هي متعلقات
معانيها اي اذا افادت هذه الحروف معاني رجعت لها بنوع استلزام
فلا تستعير الفعل الا بعد استعارة مصدره ولا تقول نطقت الحال بدل
دلت الا بعد تقدير استعارة نطق الناطق لدلالة الحال على الوجه الذي
عرفت من ادخال دلالة الحال في جنس نطق الناطق لقصد المبالغة
في التشبيه والحاق ايضاح دلالة الحال للمعنى بايضاح نطق الناطق له وكذا
اذا قلت الحال ناطقة بكذا بدل دالة على كذا ولذا قوله عز سلطانه فبشرهم
بعذاب اليم في الاستعارة التهكمية بدل فانذرهم وقول قوم شعيب عليه السلام
انك لانت الحليم الرشيد بدل السفيه الغوي لقرائن احوالهم وما حكى
قولهم للشمس جونة لشدة ضوئها والجون الاسود وللغراب اعور لحدة بصره

وعلى هذا المستعير الحرف الابعد تقدير الاستعارة في متعلق معناه فاذا

اردت استعارة لعل لغير معناها فقدرت الاستعارة في معنى الترجي ثم

استعملت هناك لعل مثل ان تبنى على اصول العدل ذاهبا الى ان

الصانع حكيم تعالى وتقدس ان يكون في افعاله عبث بل كل ذلك حكمة

وصواب مفعول لغرض صحيح ما خلق الانسان الا لغرض الاحسان و

حين ركب فيه الشهوة الحاملة على فعل ما يجب تركه والنفرة الحاملة على

ترك ما يجب فعله واودع عقله المضادة لهما حتى تتابعتهما ايدي الدواعي

والصوارف فعقبت بهما حينا الخير قلما يتقدم له عنه ولا متاخر يحمله الخير ما

لا يورثه الا العناء اذا اتبع العقل وقع من النفس المشتهية النافرة

في عناء واذا اتبع النفس وقع من العقل الناهي الآمر في عناء المخلص

هناك ما اوقعه في ورطة تلك الحيرة سفها ولا عبثا تعالى عن ذلك علوا

كبيرا وانما فعل لغرض الاحسان وهو التكليف ليتمكن من الثواب على التحمل

فعله في حقه ابتداء من التعظيم العظيم مع الدوام في ضمن التمتع من

انواع المشتهيات بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على بال

احد مخلصة ان يشوبها تنغيص ما فيلتبسه لم بالغنى ولذلك صح زمام

الاختيار في يده ممكنا اياه من فعل الطاعة والمعصية مريدا منه ان

يختار ما يثمر له تلك السعادة الابدية مرتجا في ذلك حيث علة فتشبه

حال المكلف الممكن من فعل الطاعة والمعصية مع الارادة منه ان يطيع

باختياره بحال المرتجي المخير بين ان يفعل وان لا يفعل ثم تستعير الجانب المشبه

لعل جاعلا قرينة الاستعارة علم العالم الذات الذي لا يخفى عليه خافية بعلم

ما كان وما هو كائن وما سيكون فما خلق الله الخلق لعلهم يعبدون او لعلهم

يتقون وعليه قول رب العزة علام الغيوب يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي

خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ونظائره واذا اردت استعارة لام الغرض

فقدرت الاستعارة في معنى الغرض ثم استعملت لام الغرض هناك مثل ان

يكون هناك ترتب وجود امر على امر من غير ان يكون الثاني مطلوبا بالاول

ويكون الاول غرضا فيه فتشبهه بترتب وجود امر من امرين مطلوب بالاول

بها البلبل ثم تستعير للترتب المشبه كلمة الترتب المشبه به في ضمن
قرينة مانعة عن حملها على ما هي موضوعة له تقول اذا اساءت فلان
احسن اليه انسان ثم آذاه ذلك انه قد احسن اليه ليؤذيه ومن ذلك
قوله علت كلمته فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقد ظهر مما
نحن فيه ان ربما في قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حقها ان
تعد من باب الاستعارة التهكمية وان تعد تبعية على قول سيبويه
رب واصلية على قول الاخفش وقد سبق ذكر هذا الخلاف في علم النحو
واعلم ان مدار قرينة الاستعارة التبعية في الافعال وما يتصل بها
على نسبتها الى الفاعل كقولك نطقت الحال او الى المفعول الاول كقول ابن
المعتز قتل البخل واحيا السماحا او الى المفعول الثاني كقول الآخر
صبحنا الخزرجية مرهفات وقول الآخر نقريهم لهذميات او المجرور
كقوله علت كلمته فبشرهم بعذاب اليم او الى الجميع كقوله تقرى الرياح رياض
الحزن مزهرة اذا سرى النوم في الاجفان ايقاظا هذا ما امكن من تلخيص كلام

كلام الاصحاب في هذا الفصل ولو انهم جعلوا قسم الاستعارة التبعية
من قسم الاستعارة بالكناية بان قلبوا فجعلوا في قولهم نطقت الحال بكذا
الحال التي ذكرها عندهم قرينة الاستعارة بالتصريح استعارة بالكناية عن
المتكلم بواسطة المبالغة في التشبيه على مقتضى المقام وجعلوا نسبة النطق
اليه قرينة الاستعارة كما تراهم في قوله واذا المنية انشبت اظفارها
يجعلون المنية استعارة بالكناية عن السبع ويجعلون اثبات الاظفار لها
قرينة الاستعارة وهكذا لو جعلوا البخل استعارة بالكناية عن حي ابطلت
حياته بسيف او غير سيف فالتحق بالعدم وجعلوا نسبة القتل اليه قرينة
الاستعارة ولو جعلوا ايضا اللهذميات استعارة بالكناية عن المطعومات
اللطيفة الشهية على سبيل التهكم وجعلوا نسبة لفظ القرى اليها قرينة
الاستعارة لكان اقرب الى الضبط فتدبره واذ قد عرفت ما ذكرت
فلا بأس ان اخيلك ما عند السلف في تعريف الاستعارة حدها عند
بعضهم تعليق العبارة على غير ما وضعت له في اصل اللغة على جهة

النقل للابانة وعند الا كرجعل الشيء الشيء لاجل المبالغة في التشبيه
كقولك رايت اسدا في الحمام وجعل الشيء للشيء لاجل المبالغة في التشبيه
كقولك لسان الحال وزمام الحكم ولا ازيد على الحكاية القسم السابع الثامن في
تجريد الاستعارة وترشيحها اعلم ان الاستعارة في نحو عندي اسد اذا لم
تعقب بصفات او تفريع كلام لا تكون مجردة ولا مرشحة وانما يلحقها التجريد او
الترشيح اذا عقبت بذلك ثم ان الضابط هناك اصل واحد وهو انك اذا عرفت
ان الاستعارة لا بد لها من مستعار له ومستعار منه فمتى عقبت بصفات
ملائمة للمستعار له او تفريع كلام ملائم له سميت مجردة ومتى عقبت بصفات
او تفريع كلام ملائم للمستعار منه سميت مرشحة مثالها في التجريد ان تقول
ساورت اسدا شاكي السلاح طويل القناة صقيل العضب وجاورت
بحرا ما اكثر علومه وما احجمه للحقائق وما اوقفه على الدقائق ومثالها
في الترشيح ان تقول ساورت اسدا هصورا عظيم اللبدتين وافي البراثن
منكر الزئير وجاورت بحرا زاخرا لا يزال متلاطما امواجه ولا يغيض فيضه ولا

ولا بد ذلك فصل ولا اعني بالصفات الصفات النحوية بل الوصف المعنوي
كيف كان ومبنى الترشيح على تناسي التشبيه وصرف النفس عن توهمه
حتى لا تبالي ان تبني على علو القدر وسمو المنزلة بناءك على العلو المكاني
والسمو كما فعل ابو تمام اذ قال ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة في السماء
وابن الرومي اذ قال اعلم الناس بالنجوم بنو نوبخت علما لم يأتهم بالحساب
بل بان شاهدوا السماء سموا بترق في المكرمات الصعاب مبلغ لم يكن
ليبلغها الطالب الا بتلكم الاسباب وكما قال ايضا يا آل نوبخت لا عدمتكم
ولا تبدلت بعدكم بدلا ان صح علم النجوم كان لكم حقا اذا ما سواكم انتحلا
كم عالم فيكم وليس بان قاس ولكن بان رقي فعلا اعلاكم في السماء مجدكم
فلستم تجهلون ما جهلا شافهتم البدر بالسؤال عن الامر الى ان بلغتم زحلا
ويلزم المستعار له ما يلزم المستعار منه من التعجب او نفي التعجب مما يليق
الا بالمستعار منه كما في قوله قامت تظللني ومن عجب شمس تظللني
من الشمس ومن قال لا تعجبوا من بلى غلالته قد زر ازراره على القمر

ومن قال «أتتني الشمس زائرة» ولم تك تبرح الفلكا، ومن قال «ولم أر قبلي من
مشى البدر نحوه»، أو ما ترى هؤلاء فيما فعلوا كيف نبذوا أمر التشبيه وراء ظهورهم
وكيف نسوا حديث الاستعارة كأن لم تجر منهم على بال ولا رأوها ولا طيف
خيال، وإذا كان أنواع التشبيه والاعتراف بالأصل يسوغون أن لا يبنوا
إلا على الفرع ويقولوا «هي الشمس مسكنها في السماء، فعز الفؤاد عزاء جميلا،
فلن تستطيع إليها الصعود، ولن تستطيع إليك النزولا» أو يقولوا «وعد البدر
بالزيارة ليلا، فإذا ما وفى قضيت نذوري، قلت يا سيدي ولم تؤثر الليل على
طلعة الصباح المنير، قال لا أحب تغيير رسمي، هكذا الرسم في طلوع البدور»
أو يقولوا «قلت زوري فأرسلت أنا آتيك سحرة، قلت فالليل كان أخفى وأدنى مسرة
فأجابت بحجة زادت القلب حسرة، أنا شمس وإنما تطلع الشمس بكرة» ثم
لا تسوغ ذلك مع جحد الأصل في الاستعارة أقرب. وإذ قد عرفت أقسام الاستعارة
فاعلم أن الاستعارة لها شروط في الحسن إن صادفتها حسنت وإلا عريت
عن الحسن وربما استكرهت فمن تلك الشروط رعاية جهات حسن التشبيه التي سبق

سبق ذكرها في الأصل الأول أي المستعار له والمستعار منه في الاستعارة
بالتصريح التحقيقية والاستعارة بالكناية وأن لا يشمها في كلام من جانب
اللفظ رائحة من التشبيه ولذلك يوصى في الاستعارة بالتصريح أن يكون الشبه
بين المستعار له والمستعار منه جليا بنفسه أو معروفا سائرا بين الأقوام و
إلا خرجت الاستعارة عن كونها استعارة ودخلت في باب التعمية والألغاز
كما إذا قلت رأيت عوقا مستقبلا أوان العرس وأردت إنسانا موذيا في
صباه أو قلت رأيت إبلا مائة لا تكاد تجد فيها راحلة وأردت الناس وأما
حسن الاستعارة التخييلية فبحسب حسن الاستعارة بالكناية متى كانت تابعة
لها كما في قولك فلان بين أنياب المنية ومخالبها ثم إذا انضم إليها المشاكلة
كما في قوله يد الله فوق أيديهم كانت أحسن وأحسن وقلما تحسن الحسن
البليغ غير تابعة لها ولذلك استهجنت في قول الطائي «لا تسقني ماء الملام فإنني
صب قد استعذبت ماء بكائي» ولما أن الاستعارة مبناها على التشبيه
تتنوع الخمسة أنواع تنوع التشبيه إليها استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسي

او بوجه عقلي واستعارة معقول لمعقول واستعارة محسوس لمعقول واستعارة

معقول لمحسوس فمن النوع الاول قوله تع واشتعل الراس شيبا فالمستعار منه

هو النار والمستعار له هو الشيب والجامع بينهما هو الانبساط ولكنه في النار

اقوى فالطرفان حسيان ووجه الشبه حسي ومن الثاني قوله اذ ارسلنا عليهم

الريح العقيم فالمستعار له الريح والمستعار منه المراة والجامع منع ظهور النتيجة

والاثر فالطرفان حسيان ووجه الشبه عقلي وكذلك قوله واية لهم الليل نسلخ

منه النهار فالمستعار له ظهور النهار من ظلمة الليل والمستعار منه ظهور المسلوخ

من جلدته فالطرفان حسيان والجامع كان لم تغن بالامس فالمستعار له الارض

المزخرفة المتزينة والمستعار منه النبات فهما حسيان والجامع الهلاك وهو امر

معقول وكذلك قوله تع حصيدا خامدين فاصل الخمود للنار ومن الثالث قوله تع

من بعثنا من مرقدنا فالرقاد مستعار للموت فهما امران معقولان والجامع

عدم ظهور الافعال وقوله تع وقدمنا الى ما عملوا فالقدوم وهو مجي المسافر بعد مدة

مستعار للاخذ في الجزاء بعد الامهال فهما امران معقولان والجامع وقوع المدة في

153

في البين وقوله سنفرغ لكم ايها الثقلان فالفراغ وهو الخلاص عن المهام والله

عز سلطانه لا يشغله شان عن شان وقع مستعارا للاخذ في الجزاء وحده و

ذلك امر عقلي والطرفان عقليان وقوله تكاد تميز من الغيظ وكذا قوله سمعوا

لها تغيظا فالغيظ والتغيظ مستعاران من الحالة الوجدانية التي تدعو الى

الانتقام للحالة المتوهمة من نار الله اعاذنا الله منها برحمته وفضله وقوله و

لما سكت عن موسى الغضب فالمستعار منه هو امساك اللسان عن الكلام وانه

امر معقول والمستعار له تفاوت الغضب عن اشتداد مثل السكون وانه ايضا

امر وجداني عقلي والجامع بينهما ان الانسان مع الغضب اذا اشتد وجد حالة

للغضب كانها تغريه واذا سكن وجد كانه قد امسك عن الاغراء ومن الرابع

قوله عز اسمه بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاصل استعمال القذف رمي الحجارة

والدمغ في الاجسام ثم استعير القذف لايراد الحق على الباطل والدمغ لاذهاب

الباطل فالمستعار منه حسي والمستعار له عقلي وقوله مستهم الباساء والضراء

فاصل المس في الاجسام ثم وقع مستعارا للمقاساة الشدة وقوله وضربت عليهم

الذلة والمسكنة فالمستعار منه ضرب القبة او ما شاكلها وانه امر حسي
والمستعار له الشمول وانه امر عقلي وكذا قوله وزلزلوا فاصل الزلزال التحرك
التحرك العنيف ثم وقع مستعارا للشدة مما نالهم وقوله فاصدع بما تؤمر فالصدع
هو كسر الزجاجة ببذل الامكان وانه امر حسي مستعار لتبليغ الرسالة ببذل الامكان
وانه امر عقلي وقوله واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاصل الخوض في الماء
وقع مستعارا للذكر الآيات وكل خوض ذمه الله تعالى في القران فهو من هذا
القبيل وقوله الم تر انهم في كل واد يهيمون فالوادي مستعار للامر والهيمان
للاشتغال به على سبيل التحير فالمستعار منه في هذه الامثلة حسي والمستعار له
عقلي ومن الخامس قوله عز اسمه انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية فالمستعار منه
التكبر وهو عقلي والمستعار له كثرة الماء وهو حسي والجامع الاستعلاء المفرط
وقوله تعالى بريح صرصر عاتية فالعتو هنا مستعار استعارة الطغيان في المثال الاول
وقوله تعالى فنبذوه وراء ظهورهم فالنبذ وراء الظهر وهو ان تلقي الشيء خلفك امر
حسي ثم وقع مستعارا للتعرض للغفلة وانه امر عقلي والجامع الزوال عن المشاهدة

المشاهدة وقوله تعالى فاحيينا به بلدة ميتا فالاحياء امر عقلي ثم وقع مستعارا
لاظهار النبات والاشجار والثمار وانه امر حسي وكذلك قوله تعالى فانشرنا به
بلدة ميتا اي احيينا واعلم ان الكلام في جميع ما ذكر من الامثلة في الانواع
الخمسة قول الاصحاب ولعل في البعض نظرا

الفصل الرابع

في فصول المجاز في المجاز اللغوي الراجع الى حكم للكلمة في الكلام هو عند السلف
رحمهم الله ان تكون الكلمة منقولة عن حكم لها اصلي الى غيره كما في قوله تعالى
وجاء ربك فالاصل وجاء امر ربك فالحكم الاصلي في الكلام لقوله ربك هو
الجر واما الرفع فمجاز وفي قوله تعالى واسأل القرية فالاصل واسأل اهل القرية
فالحكم الاصلي للقرية في الكلام هو الجر والنصب مجاز وفي قوله ليس كمثله شيء
فالاصل ليس مثله شيء بنصب مثله والجر مجاز ومدار هذا النوع على حرف واحد
وهو ان تكتسي الكلمة حلة لاجل حذف كلمة لا بد من معناها او لاجل اثبات
كلمة مستغنى عنها استغناء واضحا كالكاف في قوله تعالى ليس كمثله شيء او الباء
في نحو بحسبك ان تفعل كذا ونحو كفى بالله دون الباء في نحو ليس زيد بمنطلق او ما زيد

بقام ورائه فى هذا النوع ان يعد ملحقا بالمجاز ومشبها به لما فيها من التشبيه
ومعاشر الكهانة فى التعدى عن الاصل لا لاعن اصل له ان يعد مجازا وسبب
هذا لم اذكر الحد شاملا له ولكن العمدة فى ذلك على السلف الفصل

الخامس فى المجاز العقلى المجاز العقلى هو الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم
من الحكم فيه لضرب من التأويل افادة للخلاف لا بوساطة وضع كقولك انبت الربيع
البقل وشفى الطبيب المريض وكسا الخليفة الكعبة وهزم الامير الجند وبنى الوزير
القصر وانما قلت خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه دون ان اقول خلاف ما عند
العقل لئلا يمتنع طرده بما اذا قال الدهرى عن اعتقاد جهل او جاهل غيره
انبت الربيع البقل رائيا انبات البقل من الربيع فانه لا يسمى كلامه ذلك مجازا وان
كان بخلاف العقل فى نفس الامر ولذلك لا تراهم يحملون نحو قوله اشاب الصغير وافنى الكبير
كر الغداة ومر العشى على المجاز ما لم يعلموا او يغلب فى ظنهم ان قائله ما قاله
عن اعتقاد او ما تراهم كيف استدلوا بالقول فى بيت النجم قد اصبحت ام الخيار تدعى
على ذنبا كله لم اصنع من ان رأت رأسى كرأس الاصلع ميز عنه قنزعا عن قنزع جذب

جذب الليالى ابطئى او اسرعى حين نسب الحسار الشعر عن الرأس الى
الزمان فان لا ميز عنه قنزعا عن قنزع جذب الليالى لكونه مجازا انما انبعث من
قوله افناه قيل الله للشمس اطلعى حتى اذا واراك افق فارجعى الشاهد
لنزاهته ان يريد حمل كلامه السابق على الظاهر وليلا يمتنع عكسه بمثل كسا
الخليفة الكعبة وهزم الامير الجند فليس فى العقل امتناع ان يكسو الخليفة
نفسه الكعبة ولا امتناع ان يهزم الامير الجند ولا يقدح ذلك فى كونهما من المجاز
العقلى وانما قلت لضرب من التأويل ليحترز به عن الكذب فانه لا يسمى مجازا مع
كونه كلاما مفيدا خلاف ما عند المتكلم وانما قلت افادة للخلاف
لا بوساطة وضع ليحترز به عن المجاز اللغوى فى صورة وهى اذا ادعى انه
انبت موضوع لاستعماله فى القادر المختار او وضع لذلك فان المجاز حينئذ يسمى
لغويا وضعيا لا عقليا وانما قلت بوساطة وضع على التنكير دون ان اقول
الوضع لتشمل وضع اللغة ان ادعى ووضع غيرها ان ارتكب لاجل هذه الصورة
لا يرى علماء هذا الفن يحكمون على نحو انبت الربيع البقل بكونه مجازا عقليا الا بعد بيان

ان صيغ الافعال في معنى نسبتها الى الفاعل ليست تدل على معنى سوى صدورها
عن شيء ما فاما ان يكون ذلك الشيء قادرا او غير قادر فليس بداخل في مفهوماتها
وضعا ويثبتون ذلك بوجوه منها ان واضعها لم يشترطها في القادر فيؤيد ما نقل
عن احد من رواة اللغة وترك ذكر القيد دليل في العرف على الاطلاق و
حكم العقل بانه لا بد لها من مؤثر قادر ان لم يجعل دليلا في ترك تقييدها
بذلك في الوضع لعدم الحاجة اليه من اجل شهادة العقل فلا اقل من ان لا
(بيانه لعدم الحاجة)
يجعل دليلا في التقييد لا سيما والعقل يجوز في احيا واشاب وانبت وامثالها
صدورها عن القادر بواسطة مؤثر لا يكون موصوفا بالقدرة ومنها ان نحو فعل
(صفة مؤثر)
في قولهم فعل الربيع النور لو كان موضوعا لاستعماله في القادر ومن المعلوم ان التفاوت
بين الفعل ومصدره لا يكون الا بوجود الاقتران بالزمان لكان يلزم ان يكون قولنا
فعل الفارس كذا كذا او فعل الماء في كذا كذا وفعل الدواء الفلاني كذا مجازا
معلوما لكل احد لكن ادعاء ذلك من الانصاف بمعزل ومنها ان نحو احيا
واشاب وانبت لو كانت موضوعة لاستعمالها في القادر بناء على حكم العقل بانها

بانها لا توجد الا باختيار مختار لكان نحو شغل الحيز وقبل العرض و
نافى الضد موضوعة لاستعمالها في غير القادر بناء على حكم العقل
بان شغل الحيز وقبول العرض ومنافاة الضد ليست بالاختيار و
دعوى كونها موضوعة لذلك دعوى غير مسموعة من السلف وسمي
(اي استعمالها في غير القادر)
هذا النوع مجازا لتعدي الحكم فيه عن مكانه الاصلي فالحكم في انبت الربيع
البقل بكون الانبات فعلا للربيع مكانه الاصلي عند العقل كونه فعلا لله
عز وجل وفي هزم الامير الجند بكون هزم الجند فعلا للامير مكانه الاصلي
عند العقل كونه فعلا لعسكر الامير وسمي عقليا لا لغويا لعدم رجوعه
الى الوضع وكثيرا ما يسمى حكميا لتعلقه بالحكم كما ترى ومجازا في الاثبات ايضا
لتعلقه بالاثبات وليس من واجبات هذا المجاز ان يكون مكان الحكم
الاصلي فيه معلوما بنفس العقل كما في انبت الربيع البقل بل ان استعان
(العقل)
في علمه بذلك بامر غير الوضع كما في هزم الامير الجند وكسا الخليفة الكعبة
(فانه يحتاج العقل في العلم بذلك الى استعانة العرف)
جاز ولم يخرجه من كونه عقليا لكن الاليق اطلاق اسم العقلي على الاول

واسم الحكي او المبالغة على الثاني واعلم ان هذا المجاز لرجوعه الى الحكم و
اسنادها الحكم محكوما به ومحكوما له واحتمال كل واحد منهما الحقيقة الوضعية
والمجاز الوضعي لا يزال يتردد بين اربع صور لا تنفك عنهن اما ان يكون المحكوم
به والمحكوم له حقيقتين وضعيتين واما ان يكونا مجازين وضعيين واما ان
يكون المحكوم به حقيقة وضعية والمحكوم له مجازا وضعيا واما بالعكس من
هذا مثال الاولى قولك انبت الربيع البقل وشفى الطبيب المريض وكسا الخليفة
الكعبة وهزم الامير الجند والمحكوم له وهو الربيع والطبيب والخليفة والامير
كل منها حقيقة وضعية مستعملة في مكانها الوضعي والمحكوم به وهو انبات
البقل وشفاء المريض وكسوة الكعبة وهزم الجند كل من ذلك حقيقة ايضا
وضعية مستعملة في مكانها الوضعي لا مجاز الا في مجرد الحكم كما ترى ومثال
الثانية قولك احيا الارض شباب الزمان وستر الكعبة البحر الفياض المحكوم له
وهو شباب الزمان والبحر الفياض مجازان وضعيان ونفس الحكم في
المثالين مجاز عقلي ومثال الثالثة انبت البقل شباب الزمان وكسا الكعبة البحر

157

البحر الفياض ومثال الرابعة احيا الربيع الارض وستر الخليفة الكعبة و
اعلم ان هذا المجاز الحكمي كثير الوقوع في كلام رب العزة قال عز من قائل
فما ربحت تجارتهم وقال واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وقال فمنهم
من يقول ايكم زادته هذه ايمانا وقال تؤتي اكلها كل حين وقال حتى تضع
الحرب اوزارها وقال واخرجت الارض اثقالها باسناد الافعال في هذه الآيات
كلها الى غير ما هي لها عند العقل كما ترى زائلا بالحكم العقلي فيها عن مكانه الاصلي
اذ مكانه الاصلي اسناد الربح الى اصحاب التجارة واسناد زيادة الايمان
الى العلم بالآيات واسناد ايتاء اكل الشجر الى خالقها واسناد وضع اوزار
الحرب الى اصحاب الحرب واسناد اخراج اثقال الارض الى خالقها وله بحث
دقيق بعد ان اتضح لك كون المجاز فرع اصل تحقق مجازا اياما كان بدون حقيقة
يكون متعديا عنها الى مقام كتحقق فرع من غير اصل فلا تجوز في نحو سرتني رؤيتك
وهو اقدمني بلدك حق لي على فلان وصيرني هواك وبي يحيي بعض المثل نحو
يزيدك وجهه حسنا اذا ما زدته نظرا ان لا يكون لكل من هذه الافعال فاعل

الشدبر اذا انت اسندت الفعل اليه وجدت الحكم واقعا في مكانه الاصلي عند العقل
ملكن حكم العقل فيهما فانه ما شئ ارتضى لصحة اسنادهما نحو ذلك واذا ارتضى في
موسم تغدو بك صحة اسناد السرور لما من رزقك رؤيته واتاحها لك مولاه
عز وجل فعل اصل الكلام سرني الله وقت رؤيتك كما تقول في انبت الربيع البقل
اصل الكلام انبت الله البقل وقت الربيع وفي شفى الطبيب المريض اصل الكلام
شفى الله المريض عند علاج الطبيب واذا ارتضى في اقدمني بلدك حق لي على
فلان صحة اسناد اقدمني للحق على معنى اقدمني نفسي لاجل حق لي
على فلان اي قدمت لذلك كما تصرح بذلك فتقول حملتني نفسي على الطاعة
اي اطعته حاصله يرجع للمعنى اقدمني قدرتي على القدوم والداعي
اليه الخالص فالفعل في صورة للعلة الحاملة فهو ذو داع له الخالص و
نظيره محبتك جاءت بي اليك الاصل جاءت بي نفسي اليك لمحبتك اي جئتك
لمحبتك ووجد المجيء اليك من نفسي لمحبتك واياك والظن باقدمني بلدك حق
لي على فلان ومحبتك جاءت بي اليك كونهما حقيقتين والفعلان فيهما مسندان كما

كانت لمجرد الداعي والفعل لا يقبل الداعي فاعلا وانما يقبله محركا للفاعل
اعني للمصنف بالقدرة وتمام تحقيق هذا المعنى يستدعي نوعا من العلوم غير
نوع علم البيان فليقتنع بهذا القدر واذا ارتضى في وصيرني هواك و
لجني بضرب المثل صحة اسناد صيرني لله تعالى على معنى اهلكني الله تعالى ابتلاء بسبب
اتباعي هواك واذا ارتضى في يزيدك وجهه حسنا اذا ما زدته نظرا صحة اسناد
يزيد لله عز وجل على معنى يزيدك الله حسنا في وجهه لما اودعه من دقائق
للحسن والجمال يظهر بعد التأمل وانظر فعل فاعل اللهم في ذلك وقال
صيرني ويزيدك هذا واما الحقيقة العقلية وتسمى حكمة ايضا واثباتية فهي الكلام المفاد
به ما عند المتكلم من الحكم فيه كقولك انبت الله البقل وشفى الله المريض وكسا
الخليفة الكعبة وهزم عسكر الامير الجند وبنى عملة الوزير القصر واما قلت ما عند
المتكلم من الحكم فيه دون ان اقول ما في العقل من الحكم فيه ليتناول كلام الدهري
اذا قال انبت الربيع البقل رائيا انبات البقل من الربيع وكلام الجاهل اذا قال
شفى الطبيب المريض رائيا شفاء المريض من الطبيب حيث عدا منهما حقيقتين

مع كونهما غير معتقدين لحصول الفعل من المتكلم فيهما ومن اراد نصحه ذا امثاله فعليه ان يتبع

عقل المتكلم ان يتتبع ههنا انه من حق هذا المجاز العقلي ان يكون فيه للمسند اليه المذكور نوع

تعلق وشبه بالمسند اليه المتروك فانه لا يرتكب الا لذلك مثل ما نرى للربيع في انبات

الربيع البقل من نوع شبه بالفاعل المختار من دوران الانبات معه وجودا وعدما نظرا

الى عدم الانبات بدونه وقت الشتاء ووجوده مع مجيئه ودوران الفعل مع اختيار الفاعل

وجودا وعدما ومثل ما نرى ايضا للادعاء في شفى الدواء المريض من دوران الشفاء

مع تناوله وجودا وعدما وما نرى للخليفة في كسا الخليفة الكعبة من دوران كسوة البيت

مع امره وجودا وعدما فان لم يكن هذا الشبه بين المذكور والمتروك كان قلت انبت

الربيع البقل وشفى الدواء المريض نسبت له ما تنكره وما تسمع من علماء هذا الفن

كثر له في المجاز العقلي انه يكون مجازا له في الانبات ربما اوهم اختصاصه بالجزء بلا تخصيصه

به وقيل في مثل ما افادتنا الابل بعد ما انتعشت بالسير من الزبا فجعلتنا نسلها عن

زخارفها ومحوت وساوس الفضول عن دفتر الخاطر وليس يهيجني الآن غير التلافي

لما فرط فليشغل الدهر بما شاء ولتختلف الفصول اختلافها فليثبت الربيع ما احب

ولنثمر الاشجار بما اشتهت ولتنضج الخريف ما ادرك فلست ابالي ان هذه

الاوامر باسرها من المجاز الحكمي واذا تاملت المجاز العقلي وجدت الحاصل

منه يرجع الى ايقاع نسبة في غير موضعها عند المتوقع اما من جهة العقل

من التاول مثل النسبة من انبات البقل والربيع في الخبر والامر والنهي

والاستفهام وبني الوزير بناء القصر في ذلك وهذا كله تقرير للكلام في هذا الفصل

بحسب راي الاصحاب من تقسيم المجاز الى لغوي وعقلي واما الذي عندي هو نظم

هذا النوع في سلك الاستعارة بالكناية بجعل الربيع استعارة بالكناية عن

الفاعل الحقيقي بواسطة المبالغة في التشبيه على ما عليه مبنى الاستعارة

كما عرفت وجعل نسبة الانبات اليه قرينة الاستعارة وبجعل الامير المدبر

لاسباب هزيمة العدو استعارة بالكناية هنا لهزيمة واقل ذلك في فصل

الاستعارة التبعية وفي المجاز الراجح عند الاصحاب الى الحكم للكلمة على

ما سبق اجعل المجاز كله لغويا ويقسم عندي هكذا الى مفيد وغير مفيد والمفيد

الى استعارة وغير استعارة والاستعارة الى مصرح بها ومكنى عنها والمصرح

بها لما حقيقة وتخييلية والكلية تجعلها لما قرينتها امر متقرر وهي كالانياب في
قولك انياب المنية وكنطقت في قولك نطقت الحال بكذا او امر محقق كالانبات
في قولك انبت الربيع البقل وكالهزم في قولك هزم الامير الجند الحقيقية و
التخييلية كلتاهما للقطعية واحتماله للتحقيق والتخييل يحصل اقسام ثلاثة
من ذلك حقيقية بالقطع تخييلية بالقطع محتملة او تخييلية بالاحتمال واعلم
ان حد الحقيقة العقلية والمجاز العقلي عند اصحابنا رحمهم الله غير ما ذكرت حد الحقيقة العقلية
عندهم كل جملة وضعتها على ان الحكم المفاد بها على موضوعه في العقل لضرب
من التأول واذ قد عرفت ما ذكرت وما ذكروا فاختر ايهما شئت

الفصل الثالث من علم البيان في الكناية

الكناية هي ترك التصريح
بذكر الشيء الى ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور الى المتروك كما تقول فلان طويل
النجاد لينتقل منه الى ما هو ملزومه وهو طول القامة وكما تقول فلانة نؤوم الضحى لينتقل
منه الى ما هو ملزومه وهو كونها مخدومة غير محتاجة الى السعي بنفسها في اصلاح
المهمات وذلك ان وقت الضحى وقت سعي نساء العرب في امر المعاش وكفاية اسبابه

على ما هو عليه في العقل وواقع موقعه وحد المجاز العقلي كل جملة اخرجت الحكم المفاد بها

وتحصيل ما يحتاج اليه في تهيئة المتناولات وتدبير اصلاحها فلا تنام فيه من
نسائهم الا من تكون لها خدم ينوبون عنها في السعي لذلك وسمي هذا النوع
كناية لما فيه من اخفاء وجه التصريح ودلالة كنى على ذلك ان كنى كيفما
تركبت دارت مع تأدية معنى الخفاء من ذلك كنى عن الشيء يكني اذا لم يصرح
به ومنه الكنى وهي ابو فلان وابن فلان وام فلان وبنت فلان سميت كنى لما
فيها من اخفاء وجه التصريح باسمائهم الاعلام ومن ذلك الكنهبل في العدو بكى اذا
اوصل اليه مضار من حيث لا يشعر بها ومنه بكايات الزمكي لحوائجها الملحة
على بنيه من حيث لا يشعرون ومن ذلك الكين للحمة المستبطنة في فلهم فرج
المرأة لخفائها ومن ذلك مقلوب الكين قلبا للكل لاخفاء الناس اياه احترازهم
ان يصرحوا بلفظه فضلا ان يرتكبوا معناه جهارا ثم ان الكناية تتفاوت الى تعريض
وتلويح ورمز وايماء واشارة وسنأتيك حديث كل على التمام عن قريب ذلك
والفرق بين المجاز والكناية يظهر من وجهين احدهما ان الكناية لا تنافي ارادة
الحقيقة بلفظها فلا يمتنع في قولك فلان طويل النجاد ان تريد طول نجاده من غير

امتناع تأويل مع إرادة طول قامته وفي قولك فلانة نؤوم الضحى أن تريد أنها
تنام ضحى لا عن تأويل يرتكب في ذلك مع إرادة كونها مخدومة مرفهة والمجاز
ينافي ذلك فلا يصح في نحو رعينا الغيث أن تريد معنى الغيث وفي نحو قولك في
الحمام أسد أن تريد معنى الأسد من غير تأويل ولكن في المجاز ملزوم قرينة معاندة (إرادة الحقيقة بلفظها)
لإرادة الحقيقة كما عرفت في ملزوم معاند الشيء معاند لذلك الشيء والثاني في
أن مبنى الكناية على الانتقال من اللازم إلى الملزوم ومبنى المجاز على الانتقال
من الملزوم إلى اللازم كما ستعرف ولهذا الحمل عند جحد الكناية على التصريح وإذ
قد سمعت أن الكناية تتناول فهما من اللازم إلى الملزوم فاسمع أن المطلوب بالكناية
لا يخرج عن أقسام ثلثة أحدها طلب نفس الموصوف وثانيها طلب نفس الصفة
وثالثها تخصيص الصفة بالموصوف والمراد بالوصف ههنا كالجود في الجواد
والكرم في الكريم والشجاعة في الشجاع وما جرى مجراها القسم الأول في الكناية المطلوب
بها نفس الموصوف الكناية في هذا القسم تقرب تارة وتبعد أخرى فالقريبة هي أن تتفق
في صفة من الصفات اختصاص بموصوف معين عارض فتذكرها متصلا بها

إلى ذلك الموصوف مثل أن تقول جاء المضياف وتريد زيدا لعارض
اختصاص للمضياف بزيد والبعيدة هي أن تتكلف اختصاصها بأن تضم
إلى لازم آخر وآخر فتلفق مجموعا وصفيا مانعا عن دخول كل ما عدا المقصود
فيه مثل أن تقول في الكناية عن الإنسان حي مستوي القامة عريض الأظفار
القسم الثاني في الكناية المطلوب بها نفس الصفة إن الكناية في هذا القسم
أيضا تقرب تارة وتبعد أخرى فالقريبة هي أن تنتقل إلى مطلوبك من أقرب
لوازمه إليه مثل أن تقول فلان طويل نجاده أو طويل النجاد متوصلا به
إلى طول قامته ومثل أن تقول فلان كثير أضيافه أو كثير الأضياف متوصلا به
إلى أنه مضياف واعلم أن بين قولنا طويل نجاده وقولنا طويل النجاد
فرقا وهو أن الأول كناية ساذجة والثاني كناية مشتملة على تصريح فتأمل
واستعن في درك ما قلت بالبحث عن تذكير الوصف في نحو فلانة حسنٌ
وجهها وعن تأنيثه في نحو فلانة حسنة الوجه وباستحضار ما تقدم في
نحو حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر في باب التشبيه

وان هذا النوع القريب تارةً يكون واضحاً كما في المثالين المذكورين وتارةً
خفيا كما في قولهم عريض القفا كناية عن الابله وفي قولهم عريض الوسادة كناية
عن هذه الكناية وأما البعيدة فهي أن تنتقل الى مطلوبك من لازم بعيد بوسائط
لوازم متسلسلة مثل أن تقول كثير الرماد فتنتقل من كثرة الرماد الى كثرة الجمر
من كثرة الجمر الى كثرة احراق الحطب تحت القدور ومن كثرة احراق الحطب
الى كثرة الطبائخ ومن كثرة الطبائخ الى كثرة الاكلة ومن كثرة الاكلة الى كثرة
الضيفان ثم من كثرة الضيفان الى انه مضياف فانظر بين الكناية وبين المطلوب
لعلك ترى من لوازم او مثل ان تقول جبان الكلب او مهزول الفصيل متوصلا
بذلك الى كونه مضيافا فاذا قال ، وما يك فيّ من عيب فاني ،
، جبان الكلب مهزول الفصيل ، فان جبن الكلب عن الهرير في وجه
من يدنو من دار من هو بمرصد لان يعس دونها مع كون الهرير والنباح في وجه
من لا يعرف امرا طبيعيا له مركوزا في جبلته مشعرا باستمرار تاديب له لامتناع
تغير الطبيعة وتفاوت الجبلة بموجب لا يقوى واستمرار تاديبه اي لا يتغير مشعر

162

مشعر باستمرار موجب نكايته وهو اتصال مشاهدته وجوها اثر وجوه
واتصال مشاهدته لذلك مشعر بكون ساحته مقصد اداني واقاصي وكونه
كذلك مشعر بكمال شهرة صاحب الساحة بحسن قرى الاضياف فانظر
لزوم جبن الكلب للمضيافية كيف تجده بوساطة عدة لوازم وكذا هزال
الفصيل يلزم فقد الام وفقدها مع كمال عناية العرب بالنوق لا سيما بالمتليات
لقوام اكثر مجاري امورهم بالابل يلزم كمال قوة الداعي الى نحرها واذ لا داعي
الى نحر المتليات باقوى من صرفها الى الطبائخ ومن صرف الطبائخ الى قرى الاضياف
فهزال الفصيل كما ترى يلزم المضيافية بعدة وسائط ومن هذا النوع ايضا
قول نُصيب ، لعبد العزيز على قومه ، وغيرهم مننٌ ظاهرة ،
فبابك اسهل ابوابهم ، ودارك مأهولة عامرة ، وكلبك آنس بالزائرين ،
من الام بالابنة الزائرة ، فانه من اراد ان يكني عن وفور احسان عبد العزيز الى
الخاص والعام واتصال ابادته لذي القريب والبعيد جعل كلبه آنسا بالزائرين
ذلك الانس وذلك يعني انسه ذلك بالزائرين على انهم عنده معارف فالكلب

فالكلب لا يأنس الا بمن يعرفه دل بمعنى كونهم معلوفة عنده على اتصال
مشاهدته اياهم ليلاً ونهاراً ودل بعض ذلك على لزومهم سدة عبد العزيز
ودل بعض لزومهم سدته على تيسر مباغيهم هناك تسبباً بالاتصال لا ينقطع
ثم دل بعض ذلك على ما اراد فانظر كيف لوّح مع بعد المسافة بين انس الكلب
بالزائر وبين احسان عبد العزيز الغافر ونظيره قول نصيب مع زيادة لطف
قول الآخر، تراه اذا ما ابصر الضيف مقبلاً، يكلمه من حبه وهو اعجم،
ومنه قول ابن هرمة، لا امتع العوذ بالفصال، ولا ابتاع الا قريبة الاجل، دل
قوله لا امتع العوذ بالفصال على انه لا يبقي لها فصالها فتنتفع بها من جهة استئناسها
بها وحصول الفرح الطبيعي لها في مشاهدتها اياها وما تستلذ من حركاتها
لديها ويحتمل ان يريد لا ابقي العوذ بسبب فصالها بل انحر فصالها فتسلم عن النحر
فتنتفع بالفصال من هذه الجهة ودل بعض انه لا يبقيها على انه ينحرها ودل بعض
نحرها على انها يعرفها للقرى الضيفان وكذا دل قوله قريبة الاجل على انها
لا تلبث عنده حية ودل بذلك على انه ينحرها ثم دل نحرها على معنى أضيف النسم

163

القسم الثالث في الكناية المطلوب بها تخصيص الصفة بالموصوف هي انها
تتفاوت في اللطف فتارة تكون لطيفة واخرى الطف انا اورد عدة امثلة
منها قول زياد الاعجم وهو لطيف، إن السماحة والمروءة والندى
في قبة ضربت على ابن الحشرج، فانه حين اراد ان لا يصرح بتخصيص
السماحة والمروءة والندى بابن الحشرج فيقول السماحة لابن الحشرج
والمروءة له والندى له فان الطريق الى تخصيص الصفة بالموصوف بالتصريح
اما الاضافة او معناها واما الاسناد او معناه فالاضافة كقولك سماحة
ابن الحشرج او سماحته مظهراً كان المضاف اليه او مضمراً ومعناها كقولك السماح
لابن الحشرج او السماحة له والاسناد كقولك سمح ابن الحشرج او حصل
السماحة ومعناه كقولك ابن الحشرج سمحٌ بتقدير ضمير ابن الحشرج في سمح العائد
اليه كما هو على تخصيص الصفة بالموصوف مصرح به في جميع ما تقدم من الامثلة
او ما ترى ان الوصف المكنى عنه وهو طول القامة بقولك طويل النجاد كيف
تجده مضافاً الى ضمير موصوفه في قولك زيد طويل نجاده وهو المضاف في نجاده.

ومنها ان يحادوا العائد لمارند المطلوب تخصص طول القامة او مسندًا
لا ضمير موصوفه في قولك طويل النجاد وهو الضمير في طويل العائد الى موصوفه
او الوصف المكنى عنه وهو وجود الاحسان بانس الكلب بالزوار كيف يجعل
مضافًا الى ضمير موصوفه وهو عبد العزيز المخاطب المطلوب تخصيص وجود الاحسان
او الوصف المكنى عنه وهو المضيافية بلا امتناع العوذ بالفصال وابتياع قريبة
الاجل كيف يجعل مسندًا الى ضمير موصوفه وهو ضمير الحكاية الراجع الى ابن
هرمة المطلوب تخصيص المضيافية به ماذا اصنع جمع السماحة والمروة والندى
في قبة تنبيهًا بذلك ان محلها محل ذو قبة نحا طها بذلك اختصاصها بابن الحشرج
ثم لما راى غرضه ما كان يتم بذلك لعدم حطّ قباب في الدنيا اكثر من حطّ
القبة مضروبة على ابن الحشرج حتى تم غرضه ومنها قولهم المجد بين ثوبيه والكرم
بين برديه وقد يظن هذا من قسم زيد طويل نجاده وليس بذاك فطويل نجاده
باسناد الطويل الى النجاد تصريح باثبات الطول للنجاد وطول النجاد كما عرفت
قائم مقام طول القامة فاذا صرح من بعد باثبات النجاد لزيد بالاضافة

بالاضافة كان ذلك تصريحًا باثبات الطول لزيد وليس قولنا الكرم بين برديه
مفيدًا اثبات الكرم للبردين حتى يماثل اذا اضيف الى زيد واثبت له انه تصريح
باثبات الكرم لزيد فتأمل ومنها قوله وهو الطف والمجد يدعو ان يدوم لجيده
عقد مساعي ابن العميد نظامه انظر حين اراد ان يثبت المجد لابن العميد لا على
سبيل التصريح ماذا اصنع اثبت لابن العميد مساعي وجعلها نظام عقد وبين
ان مناط ذلك العقد هو جيد المجد فنبه بذلك على اعتناء ابن العميد بتزيين
المجد ونبه بتزيينه اياه على اعتنائه بشانه اعنى بشان المجد وعلى محبته له ونبه
بذلك على انه ماجد ولم يقنعه ذلك حتى جعل المجد المعرف تعريف الجنس داعيًا
ان يدوم ذلك العقد لجيده فنبه بذلك على طلب حقيقة المجد دوام بقاء ابن
العميد ونبه بذلك على ان تزيينه والاعتناء بشانه مقصوران على ابن العميد
والكناية ابلغ ما يكون وحاصله ان الشاعر جعل المجد متزينًا في المآل بابن العميد
وجعل تزينه به مخصوصًا له به على نحو ما تقال تزينت الوزارة بفلان اذا
حصلت له ومنها قول الشنفرى الازدي في وصف امراة بالعفة يبيت بمنجاة من اللوم بيتها

«اذا ما بيوت بالملامة حلت» فانه حين اراد ان ينفي عنها ما دبر آنه ساحتها
عن التهمة وكان يجانبها عن أن تلام بنوع من الفجور على سبيل الكناية قصد الى
نفي النجاة عن اللوم ثم لما رآها غير مختصة بتلك العفيفة لوجود معناه في
الدساكر يشبهها الا بيت يحيط بها تخصيصا للنجاة عن اللوم بها فقال يبيت
بمنجاة من اللوم بيتها وكما جعل بيتها قصد للملازمة له مزيد اختصاص بالموصوف
وهو الليل في قول ابن هانئ «فما جازه جود ولا حل دونه» ولكن يصير الجود
حيث يصير، فانه اراد ان يجعل الجود له على سبيل التصريح ويثبته للممدوح لا على
سبيل التصريح ايضا فعمد الى نفي الجود فنفى أن يكون متوزعا يقوم منه جزء بهذا
وجزء بذاك فنكر الجود قصدا للنوع من افراد الحقيقة ونفى ان يجوز ممدوحه فقال
فما جازه جود بالتنكير كما ترى تنبيها بذلك على أن لو جازه لكان قائما على ما كان لم ينفع
قائما بنفسه ثم لمثل هذا اي ولا حل دونه كناية بذلك عن عدم توزعه وتقسمه
ثم خصصه من بعد بجهة تلك الجهة لملاحظته بعد أن عرفه باللام الاستغراقية
تعالى ولكن يصير الجود حيث يصير كناية عن ثبوته له ومنه قولهم مجلس فلان مظنة

مظنة للجود والكرم وقد يظن أن هما قسما رابعا وهو أن يكون المطلوب
بالكناية الوصف والتخصيص معا مثل ما يقال يكثر الرماد في ساحة عمرو في
الكناية عن ان عمرا مضياف فليس بذاك اذ ليس ما ذكر بكناية واحدة بل هما
كنايتان وانتقال من لازمين الى ملزومين احد اللازمين كثرة الرماد والثاني
تقييدها وهو قولك في ساحة عمرو واعلم ان الكناية في القسم الثاني والثالث
تارة يكون مسوقة لاجل الموصوف المذكور كما تقول فلان يصلي ويزكي فتتوصل
بذلك الى انه مؤمن وفلان يلبس الغيار وتريد انه يهودي وكالامثلة المذكورة
وتارة يكون مسوقة لاجل موصوف غير مذكور كما تقول في عرض من يؤذي
المؤمنين المؤمن هو الذي يصلي ويزكي ولا يؤذي اخاه المسلم وتتوصل بذلك
الى نفي الايمان عن المؤذي وكقوله علت كلمته في عرض المنافقين هدى للمتقين
الذين يؤمنون بالغيب اذا فسر الغيب بالغيبة بمعنى يؤمنون مع الغيبة عن
حضرة النبي عليه السلام او عن حضرة جماعة المسلمين على معنى هدى للذين يؤمنون
عن اخلاص لا للذين يؤمنون عن نفاق واذ قد وعيت ما املي عليك فنقول

ومتى كانت الكناية عرضية على ما عرفت كان اطلاق اسم التعريض عليها
مناسبا واذا لم يكن كذلك نظر فان كانت ذات مسافة بينها وبين المكنى عنه
متباعدة لتوسط لوازم كما في كثير الرماد واشباهه كان اطلاق اسم التلويح عليها
مناسبا لان التلويح هو ان تشير الى غيرك عن بعد وان كانت ذات مسافة قريبة
مع نوع من الخفاء كعريض القفا وعريض الوسادة كان اطلاق اسم الرمز عليها
مناسبا لان الرمز هو ان تشير الى قريب منك على سبيل الخفية قال
* رمزت اليه مخافة من بعلها * من غير ان تبدي هناك كلامها * وان كانت
لا مع نوع من الخفاء كقول ابي تمام * ابين فما يزرن سوى كريم *
* وحسبك ان يزرن ابا سعيد * فانه في افادة ان ابا سعيد كريم غير خاف
كان اطلاق اسم الايماء والاشارة عليها مناسبا وكقول البحتري * اوما رأيت
المجد القى رحله * في آل طلحة ثم لم يتحول * فانه في افادة ان آل طلحة امجاد
ظاهر وكقول الآخر * اذا الله لم يسق الا الكرام * فسقى وجوه بني حنبل *
* وسقى ديارهم باكرا * من الغيث في الزمن الممحل * فانه في افادة كرم بني حنبل

كما ترى وكقول الآخر * متى تخلو تميم من كريم * ومسلمة بن عمرو من تميم * فانه في
افادة كرم مسلمة اظهر من الجميع واما قوله * سألت الندى والجود مالي اراكما *
تبدلتما ذلا بعز مؤبد * وما بال ركن المجد امسى مهدما * فقالا اصبنا بابن يحيى محمد *
فقلت فهلا متما عند موته * فقد كنتما عبديه في كل مشهد * فقالا اقمنا كي نعزي بفقده *
مسافة يوم ثم نتلوه في غد * ففي افادة جود ابن يحيى محمد فعلى ما ترى من الظهور
واعلم ان التعريض تارة يكون على سبيل الكناية واخرى على سبيل المجاز فاذا قلت
آذيتني فستعرف واردت المخاطب مع المخاطب انسانا آخر معتمدا على قرائن
الاحوال كان من القبيل الاول وان لم ترد الا غير المخاطب كان من القبيل
الثاني فتأمل على هذا نفسك وفرع ان شئت فقد نبهتك واعلم ان ارباب البلاغة
واصحاب الصياغة للمعاني مطبقون على ان المجاز ابلغ من الحقيقة وان الاستعارة
اقوى من التصريح بالتشبيه وان الكناية اوقع من الافصاح بالذكر والسبب في
ان المجاز ابلغ من الحقيقة هو ما عرفت ان مبنى المجاز على الانتقال من الملزوم الى
اللازم فانت في قولك عينا الغيث ذاكر للملزوم النبت مريدا به لازمه بمنزلة مدعي الشيء

ببينة فان وجود الملزوم شاهد لوجود اللازم لامتناع انفكاك الملزوم عن اللازم
لاداء انفكاكه عنه لما كون الشيء ملزوما غير ملزوم باعتبار واحد في ذلك دعينا
الثبت مثل الشيء لا ببينة وكم بين ادعاء الشيء لا ببينة ومن ادعائه بها والسبب
في ان الاستعارة اقوى من التصريح بالتشبيه ان احدهما اي في التصريح بالتشبيه
اعترافا بكون المشبه به اكمل من المشبه في وجه التشبيه على ما قررت في باب
التشبيه والثاني ان في ترك التصريح بالتشبيه لها الاستعارة التي هي مجاز مخصوص
الفائدة التي سمعت في المجاز انفا من دعوى الشيء ببينة والسبب في ان الكناية
الشيء اوقع من الافصاح بذكره نظير ما تقدم في المجاز بل عينه بيّن ذلك ان
مبنى الكناية كما عرفت على الانتقال من اللازم الى الملزوم معتبرا ومعلوم عندك
ان الانتقال من اللازم الى ملزوم معين يعتمد مساواته اياه لكنهما عند التساوي
يكونان متلازمين فيصير الانتقال من اللازم الى الملزوم اذ ذاك بمنزلة الانتقال
من الملزوم الى اللازم فيصير حال الكناية كحال المجاز في كون الشيء معها مدعى ببينة
ومع الافصاح بالذكر مدعى لا ببينة وبهذا الطريق يخطو اماطين السماء ثباتا

فبانت في سلك بحور مينا الغيث فافهم هذا ما امكن من تقرير كلام السلف
رحمهم الله في هذين الاصلين ومن ترتيب الانواع فيهما وتذييلها بما كان يليق
بها وتطبيق البعض منها بالبعض وتوفية كل من ذلك حقه على موجب
مقتضى الصناعة وستجد ما اوردت ذو البصائر ولا اوصيهم ان ادرتهم
كلام نوع استعماله فانهم ذلك في كلام السلف اذ انصفوا ان لا يجدوا ذلك
متعززا للسلف وفضلا لهم عليهم فغير مستبدع في اما نوع فرض ان ينال عن
اصحابه ما هو اشبه بذلك النوع في بعض الاصول او الفروع او التطبيق للبعض
بالبعض متى كانوا المعبر عنه له واما استبدع ذلك ممن نحى نحوهم زاعما في
ما بذ نحو تلك ثم لم يقوا ان يتنبه وعلماء هذا الفن وقليل ما هم كانوا في اختراعه
واستخراج اصوله وتمهيد قواعدها واحكام ابوابها وفصولها والنظر في تفاريعها
واستقراء امثلتها اللائقة بها وتلقطها من حيث يجب تلقطها واتعاب
الخاطر في التفتيش والتنقير عن ملاقطها وكد النفس والروح في ركوب المسالك
المتوعرة الى الظفر بها مع تشعب هذا النوع الى شعب بعضها ادق من البعض

وتفننها افانين بعضها اغمض من بعض كما عسى ان يقرع سمعك طرف من ذلك
فعلوا ما وفت به القوة البشرية اذ ذاك ثم وقع عند فتورها منهم ما هو لازم الفتور
واما بعد فان خلاصة الاصل هي ان الكلمة لا تفيد البتة الا بالوضع او الاستلزام
بواسطة الوضع واذا استعملت فاما ان يراد معناها وحده او غير معناها
وحده او معناها وغير معناها معا والاول هو الحقيقة في المفرد وهي تستغني
في الافادة بالنفس عن الغير والثاني هو المجاز في المفرد وانه مفتقر لنصب
دلالة مانعة عن ارادة معنى الكلمة والثالث هو الكناية ولا بد له من دلالة حال
وللحقيقة في المفرد والكناية تشتركان في كونهما حقيقتين وتفترقان في التصريح
وعدم التصريح وغير ذلك في المجاز فاما ان يتقيد فاما مقام معناها بواسطة المبالغة
في التشبيه او لا يتقيد والاول هو الاستعارة والثاني هو المجاز المرسل والمذكور في
الاستعارة اما ان يكون هو المشبه به او المشبه والاول هو الاستعارة بالتصريح
والثاني هو الاستعارة بالكناية وقرينتها ان ينسب للمشبه او ينسب اليه ما هو مختص
بالمشبه به والمشبه به المذكور في الاستعارة بالتصريح اما ان يكون مشبهه المتروك

المتروك شيئا له تحقق او شيئا لا تحقق له والاول الاستعارة التحقيقية والثاني
التخييلية والكلمة اذا اسندت فاسناده بحسب راي الاصحاب دون راينا
اما ان يكون على وفق عقلك وعلمك او لا يكون والاول هو الحقيقة في الجملة والثاني
هو المجاز فيها ثم ان الحقيقة في الجملة اما ان تكون معروفة بافادة مستلزم او لا تكون
والاولى داخلة في الكناية والثانية داخلة في التصريح واذ قد عرفنا الحقيقة
في المفرد وفي الجملة وعرفنا فيهما التصريح والكناية وعرفنا المجاز في المفرد وفي الجملة
وعرفنا نوع الكناية تطلق تعريضا وتلويحا ورمزا وايماء واشارة وعرفنا نوع المجاز
بلا مرسلا مفيدا وغير مفيد وبلا استعارة مصرحا بها ومكنيا عنها وعرفنا ما يتصل
بذلك من التحقيقية والتخييلية والقطعية والاحتمالية ومن الاصلية والتبعية
على راي الاصحاب دون راينا على ما تقدم والمجردة والمرشحة وحصل لنا العلم
بتفاوت التشبيه في باب المبالغة لا الضعف في القوة ولحال كونه تشبيها مثلا
وكونه تمثيلا ساذجا وكونه تمثيلا بالاستعارة وكونه مثلا وقضينا الوطر عن
كمال الانقطاع على هذه المقاصد فنقول البلاغة هي بلوغ المتكلم في تادية المعاني

حد الى اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها وايراد انواع التشبيه
والمجاز والكناية على وجهها ولها اعني البلاغة طرفان اعلى واسفل متباينان
تباينا لا يتراءى له ناراهما وبينهما مراتب تكاد تفوت الحصر متفاوتة فمن الاسفل
تبتدئ البلاغة وهو القدر الذي اذا انتقص منه شي التحق ذلك الكلام
بما شبهناه به في صدر الكتاب من اصوات الحيوانات ثم تأخذ في التزايد
متصاعدة الى ان تبلغ حد الاعجاز وهو الطرف الاعلى وما يقرب منه واعلم
ان شان الاعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن
وصفها وكالملاحة ومدرك الاعجاز عندي هو الذوق ليس الا وطريق
اكتساب الذوق طول خدمة هذين العلمين نعم للبلاغة وجوه ملتثمة
ربما تيسرت اماطة اللثام عنها لتجلى عليك اما نفس وجه الاعجاز فلا واما الفصاحة
فهي قسمان راجع الى المعنى وهو خلوص الكلام عن التعقيد وراجع الى اللفظ
وهو ان تكون الكلمة عربية اصلية وعلامة ذلك ان تكون على السنة الفصحاء
من العرب الموثوق بعربيتهم ادور واستعمالهم لها اكثر لا مما احدثها المولدون ولا

ولا مما اخطأت فيه العامة وان تكون اجرى على قوانين اللغة وان تكون
سليمة عن التنافر والمراد بتعقيد الكلام هو ان يعثر صاحبه فكرك في
متصرفه ويشيك طريقك الى المعنى ويوعر مذهبك نحوه حتى يقسم فكرك ويشعب
ظنك الى ان لا تدري من اين تتوصل وباي طريق معناه تتصل كقول الفرزدق

وما مثله في الناس الا مملكا ... ابو امه حي ابوه يقاربه

وكقول ابي تمام

ثانيه في كبد السماء ولم يكن ... كاثنين ثان اذ هما في الغار

وغير المعقد هو ان يفتح صاحبه لفكرك الطريق المستوي ويمهده وان كان
فيه معاطف نصب عليه المنار واوقد الانوار حتى تسلكه سلوك المتبين
لوجهته وتقطعه قطع الواثق بالنجح في طيته واذ قد وقفت على البلاغة
وعلى الفصاحة المعنوية واللفظية فانا اذكر على سبيل الانموذج اية اكشف
لك فيها عن وجوه البلاغة والفصاحتين ما عسى يستر عنك ثم ان ساعدك
الذوق ادركت منها ما قد ادرك من تحدى بها وهي قوله علت كلمته وقيل
يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي

وقيل بعدا للقوم الظالمين والنظر في هذه الآية من اربع جهات من جهة
علم البيان ومن جهة علم المعاني وهما مرجعا البلاغة ومن جهة الفصاحة
المعنوية ومن جهة الفصاحة اللفظية اما النظر فيها من جهة علم البيان و
هو النظر فيما فيها من المجاز والاستعارة والكناية وما يتصل بها فنقول انه عز
وجل لما اراد ان يبين معنى اردنا ان نرد ما انفجر من الارض الى بطنها فارتد
وان نقطع طوفان السماء فانقطع وان نغيض الماء النازل من السماء فغاض
وان نقضي امر نوح وهو انجاز ما كنا وعدنا من اغراق قومه فقضي وان نسوي
السفينة على الجودي فاستوت وابقينا الظلمة غرقى بنى الكلام على تشبيه
المراد بالمامور الذي لا يتأتى منه لكمال هيبته العصيان وتشبيه تكوين المراد
بالامر الجزم النافذ في تكون المقصود تصويرا لاقتداره العظيم وان السموات
والارض وهذه الاجرام العظام تابعة لارادته ايجادا واعداما ولمشيئته فيها
تغييرا وتبديلا كانها عقلاء مميزون قد عرفوه حق معرفته واحاطوا علما بوجوب
الانقياد لامره والاذعان لحكمه وتحتم بذل المجهود عليهم في تحصيل مراده وتصوروا

تصوروا مزيد اقتداره فعظمت مهابته في نفوسهم وضربت سرادقها
في افنية ضمائرهم فكما تلوح لهم اشارته كان المشار اليه مقدما وكما يرد عليهم من
كان المامور به متمما لا تلقي لاشارته بغير الانقياد والامضاء ولامره بغير
الاذعان والامتثال ثم بنى على تشبيهه هذا نظم الكلام فقال جلت ذاته
قيل على سبيل المجاز عن الارادة الواقع بسببها قول القائل وجعل قرينة
المجاز الخطاب للجماد وهو يا ارض ويا سماء ثم قال كما ترى يا ارض ويا سماء
مخاطبا لهما على سبيل الاستعارة للشبه المذكور ثم استعار لغؤور الماء في
الارض البلع الذي هو اعمال الجاذبة في المطعوم للشبه بينهما وهو الذهاب
الى مقر خفي ثم استعار الماء للغذاء استعارة بالكناية تشبيها له بالغذاء لتقوي
الارض بالماء في الانبات للزروع والاشجار تقوي الآكل بالطعام وجعل
قرينة الاستعارة لفظة ابلعي لكونها موضوعة للاستعمال في الغذاء دون
الماء ثم امر على سبيل الاستعارة للشبه المتقدم ذكره وخاطب في الامر
ترشيحا لاستعارة النداء ثم قال ماءك باضافة الماء الى الارض على سبيل

المجاز تشبيها لاتصال الماء بالارض باتصال المأكول بالآكل لاختيار ضمير الخطاب
لاجل الترشيح ثم اختار لاحتباس المطر الاقلاع الذي هو ترك الفاعل الفعل
للتشبيه بينهما في عدم ما كان ثم امر على سبيل الاستعارة وخاطب في الامر
قائلا اقلعي لمثل ما تقدم في ابلعي ثم قال وغيض الماء وقضي الامر واستوت على
الجودي وقيل بعدا فلم يصرح من غاض الماء ولا من قضى الامر وسوّى السفينة
وقال بعدا كما لم يصرح بقائل يا ارض ويا سماء في صدر الآية سلوكا في كل
واحد من ذلك لسبيل الكناية ان تلك الامور العظام لا يتأتى الا من ذي قدرة
لا تكتنه قهار لا يغالب فلا مجال لذهاب الوهم الى ان يكون غيره جلت عظمته
قائل يا ارض ويا سماء ولا غائض ما غاض ولا قاضي مثل ذلك الامر الهائل
او ان يكون تسوية السفينة واقرارها بتسوية غيره واقراره ثم ختم الكلام
بالتعريض تنبيها لسالكي مسلكهم في تكذيب الرسل ظلما لانفسهم لا غير ختم اظهار
لمكان السخط ولجهة استحقاقهم اياه وان قيامة الطوفان وتلك الصورة
الهائلة ما كانت الا لظلمهم واما النظر فيها من جهة علم المعاني وهو النظر في

فائدة كل كلمة فيها وجهة كل تقديم وتأخير فيما بين جملها فذلك انه اختير
يا دون سائر اخواتها لكونها اكثر في الاستعمال وانها دالة على بعد المنادى
الذي يستدعيه مقام اظهار العظمة وابداء شان العزة والجبروت
وهو تبعيد المنادى المؤذن بالتهاون به ولم يقل يا ارض بالكسر لامداد
التهاون ولم يقل يا ايتها الارض لقصد الاختصار مع الاحتراز عما في
ايتها من تكلف التنبيه غير المناسب للمقام واختير لفظ الارض دون
سائر اسمائها لكونه اخف وادور واختير لفظ السماء لمثل ما تقدم في
الارض مع قصد المطابقة وسنعرفها واختير لفظ ابلعي لكونه اخصر
لمجيء حظ التجانس بينه وبين اقلعي وقيل ماءك بالافراد دون الجمع لما
كان في الجمع من صورة الاستكثار المتأتى عنها مقام اظهار الكبرياء والجبروت
وهو الوجه في افراد الارض والسماء وانما لم يقل ابلعي بدون المفعول ان
لا يستلزم تركه ما ليس بمراد من تعميم الابتلاع للتلال والجبال والبحار وساكنات
الماء باسرهن نظرا الى مقام ورود الامر الذي هو مقام عظمة وكبرياء ثم اذ بين

المراد اختصر الكلام مع اقلعي احترازا عن الحشو المستغنى عنه وهو الوجه
ان لم يقل فقيل يا ارض ابلعي ماءك فبلعت ويا سماء اقلعي فاقلعت في الخبر
غيض على غيض المشدد لكونه اخصر واخف واوفق لقيل وقيل الماء
دون ان يقال ماء طوفان السماء وكذا الامر دون ان يقال امر نوح وهو
انجاز ما كان الله وعد نوحا من هلاك قومه لقصد الاختصار والاستغناء
بحرف التعريف عن ذلك ولم يقل سويت على الجودي بمعنى اقرت على حد قيل
وغيض وقضي في البناء للمفعول اعتبارا لبناء الفعل للفاعل مع السفينة
في قوله وهي تجري بهم مع قصد الاختصار في اللفظ قيل بعدا للقوم
دون ان يقال ليبعد القوم طلبا للتأكيد مع الاختصار وهو نزول بعدا منزلة
ليبعدوا بعدا مع فائدة اخرى وهي استعمال اللام مع بعدا الدال على معنى ان
البعد حق لهم ثم اطلق الظلم ليتناول كل نوع حتى يدخل فيه ظلمهم انفسهم لزيادة
التنبيه على فظاعة سوء اختيارهم في تكذيب الرسل هذا من حيث
النظر الى الكلم واما من حيث النظر الى ترتيب الجمل فذلك انه قدم النداء على الامر فقيل

يا ارض ابلعي ويا سماء اقلعي دون ان يقال ابلعي يا ارض واقلعي يا سماء
جريا على مقتضى اللازم فيمن كان مأمورا حقيقة من تقديم التنبيه ليتمكن الامر
الوارد عقيبه في نفس المنادى قصدا بذلك لمعنى الترشيح ثم قدم امر الارض
على امر السماء وابتدأ به لابتداء الطوفان منها ونزولها لذلك في القصة منزلة
الاصل والاصل بالتقديم اولى ثم اتبعهما قوله وغيض الماء لاتصاله بقصة الماء
واخذه بحجزتها الا ترى اصل الكلام قيل يا ارض ابلعي ماءك فبلعت ماءها
ويا سماء اقلعي عن ارسال الماء فاقلعت عن ارساله وغيض الماء النازل من
السماء فغاض ثم اتبعه ما هو المقصود من القصة وهو قوله وقضي الامر اي
انجز الموعود من اهلاك الكفرة وانجاء نوح ومن معه في السفينة ثم اتبعه حديث
السفينة وهو قوله واستوت على الجودي ثم ختمت القصة بما ختمت هذا
كله نظر في الاية من جانبي البلاغة واما النظر فيها من جانب الفصاحة
المعنوية فهي كما ترى نظم للمعاني لطيف تأدية لها ملخصة مبينة لا تعقيد
يعثر الفكر في طلب المراد ولا التواء يشيك الطريق الى المرتاد بل اذا

جربت نفسك عند استماعها وجدت الفاظها تسابق معانيها ومعانيها تسابق
الفاظها فما من لفظة في تركيب الجملة ونظمها تسبق اليك اذنك الا ومعناها
اسبق اليك قلبك واما النظر فيها من جانب الفصاحة اللفظية فالفاظها على
ما هي عربية مستعملة جارية على قوانين اللغة سليمة عن التنافر بعيدة عن
البشاعة عذبة على العذبات سلسة على الاسلات كل منها كالماء في السلاسة
وكالعسل في الحلاوة وكالنسيم في الرقة ولقد رسان التنزيل لا يتامل العالم
اية من اياته الا ادرك لطائف لا تسع الحصر ولا تظن الآية مقصورة على ما
ذكرت فلعل ما تركت اكثر مما ذكرت لان المقصود لم يكن الا مجرد الارشاد
لكيفية اجتناء ثمرات علمي المعاني والبيان وان لا علم في باب التفسير بعد علم
الاصول اقرأ منه على المرء لمراد الله من كلامه ولا اعون على تعاطي تاويل
مشتبهاته ولا انفع في درك لطائف نكته واسراره ولا اكشف للقناع عن وجه اعجازه
هو الذي يوفي كلام رب العزة من البلاغة حقه ويصون له في مظان التاويل
ماءه ورونقه ولكم اية من ايات القران تراها قد ضيمت حقها واستلبت ماءها

ما آها ورونقها ان وقعت الى من ليسوا من اهل هذا العلم فاخذوا
بها في ماخذ مردودة وحملوها على محامل غير مقصودة وهم لا يدرون
ولا يدرون انهم لا يدرون فتلك الاية من ماخذهم في عويل ومن محاملهم
على ويل طويل وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ثم ما لهذا العلم من الزهر
الظاهر والفضل الباهر لم ترى علما لقي من الضيم ما لقي ولا مني من سوء
الخسف ما مني ابن الذي تهذد له قواعد ورتبت له شواهد وبين له حدود
يرجع اليها وعين له رسوم يعرج عليها ووضع له اصول وقوانين وجمع له حجج
وبراهين وشمر لضبط متفرقاته ذيله واستنهض في استخلاصها من الايدي
رجله وخيله على تراه ايادي سبا فجزء حوته الدبور وجزء سفته الصبا انظر
باب التحديد فانه جزء منه في ايدي من هو انظر باب الاستدلال فانه جزء
منه في ايدي من هو بل تصفح معظم ابواب اصول الفقه من اي علم
هي ومن يتولاها وعدد عدد ولكن استجلت حكمته اذ وفق لتربيل العلم
فيه عسى ان يغطى العرش بارزها يحل منه عز سلطانه وقوته فالحول والقوة

البديع وقد تقرر أن البلاغة بمرجعيها وأن الفصاحة بنوعيها مما يكسو الكلام
حلة التزيين ويرقيه أعلى درجات التحسين فههنا وجوه مخصوصة كثيراً ما يصار
إليها لقصد تحسين الكلام فلا علينا أن نشير إلى الأعرف منها وهي قسمان قسم يرجع إلى المعنى وقسم
يرجع إلى اللفظ أما القسم الأول فمنه **المطابقة** وهي أن تجمع بين متضادين كقوله
أما والذي أبكى وأضحك والذي ، أمات وأحيا والذي أمره الأمر ، وقوله
علت كلمته قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز
من تشاء وتذل من تشاء وقوله فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً وقوله وتحسبهم أيقاظاً
وهم رقود ومنه **المقابلة** وهي أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وبين ضديهما
ثم إذا شرطت هنا شرطاً شرطت هناك ضده كقوله عز وعلا فأما من أعطى و
اتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره
للعسرى لما جعل التيسير مشتركاً بين الإعطاء والاتقاء والتصديق جعل ضده
وهو التعسير مشتركاً بين أضداد تلك وهو المنع والاستغناء والتكذيب منه ،
المشاكلة وهي أن تذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته كقوله قالوا

، قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخه ، قلت اطبخوا لي جبة وقميصا ، وقوله عز وعلا
صبغة الله وقوله تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك وقوله بل يداه مبسوطتان
وقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها ومنه **مراعاة النظير** وهي عبارة عن الجمع بين
المتشابهات كقوله ، وحرف كنون تحت راء ولم يكن ، بدال يؤم الرسم غيره النقط ،
ومنه **المزاوجة** وهي أن تزاوج بين معنيين في الشرط والجزاء كقوله ، ،
، إذا ما نهى الناهي فلج بي الهوى ، أصاخت إلى الواشي فلج به الهجر ، ومنه
اللف والنشر وهو أن تلف بين شيئين في الذكر ثم تتبعهما كلاماً مشتملاً على
متعلق بواحد ومتعلق بآخر من غير تعيين ثقة بأن السامع يرد كلاً منهما إلى
ما هو له كقوله تعالت صفاته ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار
لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ومنه **الجمع** وهو أن تدخل شيئين فصاعداً
في نوع واحد كقوله إن الشباب والفراغ والجده ، مفسدة للمرء أي مفسده
فنوال الأمير بدرة عين ، ونوال الغمام قطرة ماء ومنه **التفريق**
التقسيم وهو أن تذكر شيئاً ذا جزأين أو أكثر ثم تضيف إلى كل واحد

من اجزائه ما هو له عندك كقوله، اذ بيان في بلخ له باكلان، اذا اضحى الزعفر الكبد

فهذا طويل كظل القناة، وهذا قصير كظل الوتد، ومنه الجمع مع التفريق

وهو ان تدخل شيئين في معنى واحد وتفرق جهتي الادخال كقوله، فوجهك

كالسك ضوءه وشعابه كالمسك خلقا، فانه شبه الضوء والخلق بالمسك

ثم فرق من جهتي المشابهة كما ترى ومنه الجمع مع التقسيم وهو ان تجمع امورا

كثيرة تحت حكم ثم تقسم او تقسم ثم تجمع مثال الاول قول المتنبي، الدهر معتذر والسيف منتظر

وارضهم لك مصطاف ومرتبع، للسبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا، والنهب ما

جمعوا والنار ما زرعوا، فانه جمع في البيت الاول ارض العدو وما فيها في كونها

خالصة للممدوح وقسم في الثانية ومثال الثاني قول حسان، قوم اذا حاربوا

ضروا عدوهم، او حاولوا النفع في اشياعهم نفعوا، سجية تلك منهم غير محدثة،

ان الخلائق فاعلم شرها البدع، فانه قسم في البيت الاول حيث ذكر ضرهم

للاعداء ونفعهم للاولياء ثم جمع في الثاني فقال سجية تلك ومنه الجمع مع التفريق

والتقسيم كما اذا قلت، فكالنار ضوءا وكالنار حرا محياحبيبي وحرقة بالي كذلك

فقد لك من ضوئه في احتباك وشبه الحرقة في اختلال، وذلك ان تلحق بهذا

القبيل قوله عز وعلا يوم يأتي لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد فاما الذين

شقوا ففي النار واما الذين سعدوا ففي الجنة الآية ومنه الايهام وهو ان يكون

للفظ استعمالان قريب وبعيد فيذكر لايهام القريب في الحال الى ان يظهر ان

المراد به البعيد كقوله حملناهم طرا على الدهم بعد ما خلعنا عليهم بالطعان ملابسا

اراد بالحمل على الدهم تقييد العدى فاوهم انه اركابهم الخيل الدهم كما ترى وقوله

سبحانه الرحمن على العرش استوى وقوله والارض جميعا قبضته يوم القيمة

والسموات مطويات بيمينه واكثر المتشابهات من هذا القبيل ومنه

تاكيد المدح بما يشبه الذم كقوله هو البدر الا انه البحر زاخرا سوى انه الضرغام

لكنه الوبل، ومنه التوجيه وهو ايراد الكلام محتملا لوجهين مختلفين كقول من

قال للاعور، ليت عينيه سواء، وللمتشابهات للقرآن مدخل في هذا النوع باعتبار

ومنه سوق المعلوم مساق غيره ولا احب تسميته بالتجاهل كقوله،

اذاك ام ربش بالوشي اكرعه، اذاك ام خاضب بالسي مرتعه، وقولها

ابا بحر لخانوب مالك موبقا، كانكم لم تجزعوا على ابن طريف، وقوله سبحانه

وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ومنه الاعتراض ويسمى الحشو

وهو ان يدرج في الكلام ما يتم المعنى بدونه كقول طرفة، فسقى ديارك غير مفسدها

صوب الربيع وديمة تهمي، فادرج غير مفسدها وكما قال النابغة، لعمري وما

عمري علي بهين، وكما قال ابن المعتز، ان يحيى لا زال يحيى صديقي وخليلي

من دون هذا الانام، فادرج لا زال يحيى، وكما قال عز قايلا فان لم تفعلوا

ولن تفعلوا فاتقوا النار فقوله ولن تفعلوا اعتراض وكما قال فلا اقسم

بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم اعتراض وقوله لو تعلمون اعتراض

في اعتراض ومنه الاستتباع وهو المدح بشي على وجه يستتبع مدحا آخر

كقوله، نهبت من الاعمار ما لو حويته، لهنيت الدنيا بانك خالد، الاراه كيف

مدحه بالشجاعة على وجه استتبع مدحه بكمال السخاء وجلال القدر من وجه

آخر يوضح لك ما ذكرت اذا تتبعته ملياً ولك فيه من الاعمار ما لو اجتمع

لك لبقيت مخلداً ومنه الالتفات وقد سبق ذكره في علم المعاني ومنه تقليل

تقليل الالفاظ ولا تقليلها بمثل يا وهيا وغاض ويغيض اذا صادف

الموقع ويتفرع عليهما الايجاز في الكلام والاطناب فيه وقد سبقا في الذكر

ومن القسم اللفظي التجنيس وهو تشابه الكلمتين في اللفظ والمعتبر منه في

باب الاستحسان عدة انواع احدها التجنيس التام وهو ان لا يتفاوت المتجانسان

في اللفظ كقولك رحبة رحبة وثانيها التجنيس الناقص وهو ان يختلفا في

الهيئة دون الصورة كقولك البرد مع البرد وقولك البدعة شرك الشرك

وكقولك الجهول اما مفرط او مفرط والمشدد في هذا الباب يقام مقام المخفف

نظرا الى الصورة فاعلم وثالثها التجنيس المذيل وهو ان يختلفا بزيادة حرف

كقولك فلان جاد جدي وكاس كاسب ورابعها التجنيس المضارع او

المطرف وهو ان يختلفا بحرف او حرفين مع تقارب المخرج كقولك في الحرف

الواحد امس وطامس وحصب وحسب وكتب وكتم وفي الحرفين كقولهم

ملخصتي والمختستي وخامسها التجنيس اللاحق وهو ان يختلفا لا مع

التقارب كقولك سعيد بعيد وكاتب كاذب وعايب عايث وفي الحلقان في

اللاحق اذا اتفقا كتبة لقولك عايث عابث تجنيس تصحيف و المتجانسان
اذا وردا على قولهم من طلب جد جد وجد او قولهم من قرع بابا ولج ولج او على نحو
المؤمنون هينون لينون وجئتك من سبإ بنبإ او على نحو قولهم النبيذ بغير النغم
غم وبغير الدسم سم سمي ذلك مزدوجا ومكررا ومرددا او فيهما نوع آخر يسمى تجنيسا
مشوشا ومثل ذلك بلاغة وبراعة واذا وقع احد المتجانسين في الكلام مركبا و
لم يكن مخالفا في الخط كقوله ، اذا ملك لم يكن ذا هبة ، فدعه فدولته ذاهبة ،
سمي متشابها وان كان مخالفا في الخط كقوله ، فلكم قد اخذ الجام ولا جام لنا ،
ما الذي ضر مدير الكاس لو جاملنا ، سمي مفروقا ومما يلحق بالتجنيس نظيره قوله عز وجل
وانا لعملكم من القالين وقوله وجنا الجنتين وكثيرا ما يلحق بالتجنيس الكلمتان الراجعتان
الى اصل واحد في الاشتقاق مثل ما في قوله عز اسمه فاقم وجهك للدين القيم وقوله
فروح وريحان ومن جهات الحسن رد العجز على الصدر وهو ان يكون احدى الكلمتين
المكررتين او المتجانستين او الملحقتين بالمتجانس في آخر البيت والاخرى قبلها في
احد المواضع الخمسة من البيت وهي صدر المصراع الاول وحشوه وآخره وصدر

صدر المصراع الثاني وحشوه كما اذا قلت ، مشتهر في علمه وحلمه ، وزهده
وعهده مشتهر ، في علمه مشتهر وزهده ، وعهده وحلمه مشتهر في علمه و
حلمه مشتهر ، وزهده وعهده مشتهر ، في علمه وحلمه وزهده ، مشتهر وعهده مشتهر
في علمه وحلمه وزهده ، وعهده مشتهر مشتهر ، والحسن في هذا النوع
ان لا يرجع الصدر والعجز الى التكرار ومن جهات الحسن القلب كقولك
حسامه فتح لاوليائه حتف لاعدائه وانه يسمى مقلوب الكل او كقوله اللهم استر
عوراتنا وآمن روعاتنا وانه يسمى مقلوب البعض واذا وقع احد المقلوبين في
الكلام في اول البيت والثاني في آخره سمي مقلوبا مجنحا واذا وقع قلب الكل في
كلمتين او اكثر شعرا او غير شعر كقولك كبل مليك وخان اذا ناخ وكقوله ،
اس ارملا اذا عرا ، وارع اذا المرء اسا ، سمي مقلوبا مستويا ومن جهات
الحسن الاسجاع وهي في النثر كالقوافي في الشعر ومن جهاتها الفواصل القرآنية
والكلام في ذلك ظاهر ومن جهات الترصيع وهو ان يكون الالفاظ مستوية
الاوزان متفقة الاعجاز او متقاربتها كقوله عز اسمه ان الينا ايابهم ثم ان علينا

حسابهم وقوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وكقوله وآتيناهما
الكتاب المستبين وهديناهما الصراط وأصل الحسن في جميع ذلك ان تكون
الالفاظ توابع للمعاني لا ان تكون المعاني لها توابع اعني ان لا تكون متكلفة
ويورد الاصحاب منها انواعا مثل كون الحروف منقوطة او غير منقوطة
او البعض منقوطا والبعض غير منقوط بالسوية فلك ان تستخرج من هذا
القبيل ما شئت وتلقب كلا من ذلك بما احببت اذ قد تحقق ان علم
المعاني والبيان هو معرفة خواص تراكيب الكلام ومعرفة صياغات المعاني
ليتوصل بها الى توفية مقامات الكلام حقها بحسب ما يفي به قوة ذكائك
وعندك علم ان مقام الاستدلال بالنسبة الى سائر مقامات الكلام جزء واحد
من جملتها وشعبة فردة من دوحتها علمت ان تتبع تراكيب الكلام الاستدلالي
ومعرفة خواصها مما يلزم صاحب علم المعاني والبيان وحين تصدينا لافادة
لزمنا ان لا ننفض شيء هو من جملته وان نستمد الله التوفيق في تكملة
فقد تم علم البيان بتوفيق الملك الديان منه المستعان وعليه التكلان

178

ختمت كتابة الفنون الثلاثة ۔ رجاء من الله علوم الهداية
ضحى الاحد السادس من الشهر الآخر ۔ من الحج التي حجت قبيل القراءة
ببلدة عثمان شهير ببروسا ۔ حماها وايانا بحصن الملامة
واسأل ان اعطي بذي فضيلة ۔ بها نكسب اهبة لاجل القيامة
ويرحم من يدعو لشيخ مسود ۔ ويصلح خبطه عقيب الدراية
حسبت لنفسي اذ طلبت بوقفها ۔ جزيل نواله بدار السلامة

صحيح بلا ريب

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

ان احسن مفتاح لاستكشاف مغالق ابواب المقاصد
وابين مصباح لايضاح المطالب وتلخيص موائد الفوائد
حمد من بعنايته الاطلاع على اسرار البلاغة ودلائل الاعجاز
وشكر من بتوفيقه الوقوف على نكت الفصاحة ورتب الاطناب والايجاز
واولى قول يقتضيه المقام والحال بعد اداء الحمد وقضاء شكر
ذي المن والافضال واحرى مدح به الى نيل الشفاعة يتوسل
هو الصلوة والسلام على النبي المرسل محمد خاتم الانبياء
العظام وعلى آله وصحبه الكرام وبعد فان علم البلاغة
من العلوم كالبدر من النجوم حسنا وكمالا وكالشمس في
رابعة النهار على الفلك الدوار عزا وجلالا اذ به يمكن الغوص
في تيار بحار عويصات التنزيل وبه يتمكن من استخراج
فرائد فوائد التفسير والتاويل والمفتاح والكشاف في

هذا الفن من التصانيف كبيت القصيدة وشمسة القلادة
عند ارباب التعاريف فبالهما من غرر الدرر ودرر الفكر
في سلك العبارات الفصيحة ونظم الاستعارات المليحة
لم ير ولم ير مثلهما في كتب المتقدمين ولن يوازيهما او
يدانيهما ما يسمح به افكار المتاخرين مبانيهما رايقة ومعانيهما
فائقة مطالعهما مطبوعة ومقاطعهما مصنوعة وبذلك
اشتهرا اي اشتهار وبمعرفتهما المباهاة والافتخار وقد قرأ
على المفتاح من البداية الى النهاية والزهراوين من الكشاف
على وجه الدراية الشاب الالمعي والفتى اللوذعي المتوجه
بصفاء القريحة وجلاء البصيرة الى طرق اكتساب العلوم والمعارف
والمجتهد بصدق الهمة وجلاء الفطنة في استكشاف الحقائق
واللطائف وانه قد سعى في تحركهما بقدر الفهم والذكاء سعيا
جميلا وبذل جهده في تقييدهما وابدهما دهرا طويلا واقتبس

من انوار اللطائف المندرجة في مطاويهما واقتبس من الاسرار المحتوية
عليها في خوافيهما فاستوفى منهما حظا وافرا حتى صار بين بني
الفن ماهرا وهو الحسيب النسيب والفاضل اللبيب
والعالم النجيب المعروف بالشيخ الطبيب الملقب بجمال الملة
والدين شرفه الله بضياء الحق وانس اليقين ولما جال
طرف الطرف في ميدان مسائلهما وسلك مسالك حقائق دلائلهما
وروى من مشارب معارفهما وحظي بمشاهدة لطائفهما
استجازني في القراءة والرواية ليكون من الشواهد له على الدراية
فاجبته بموجب مسؤوله والتزمت بتحصيل مأموله فاستخرت
الله واجزته لان يفيد كما استفاد شارطا عليه ما شرط على
الاستاد وهو الامام العلامة الرباني السيد علاء الملة والدين
الجرجاني ادام الله معاليه ومد ايامه ولياليه والشرط هو التاهل
الصادق والتفكر اللائق في المداخل والمخارج من المضائق

وفي حل المعاقد وفتح المغالق فان ذلك سيرة من اهتدى واسترشد
وتجنب عن الغواية وبالتوفيق تايد وصرف فوق الدهاء والفراسة
وجودة الذكاء والكياسة في مسارح الانظار ومطارح الافكار
واقتفى اثر من على منهج الحق قد مشى وذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء جعلنا الله واياه من الفائزين بفضله والحائزين
للرقيب والمعلى من قداح منّه وطوله وصلى الله على سيدنا
محمد واله ما لاح لاح معنى بباله ونسج الكلام على منواله

حرره الواثق بالله الفقير صفرشاه
شرفه الله بنيل ما يتوخاه في اولاه واخراه
في اواخر الجمادى الاولى لسنة اربع
وتسعين وسبعمائة
الهجرية

Süleymaniye U. Kütüphanesi
Kısmı: H. Hüsnü
Yeni Kayıt
Eski Kayıt: 1439